جامعة الجزائر 3

كلية علوم الإعلام والاتصال

قسم علوم الاتصال

الشباب الجزائري والإنترنت

دراسة في التملك الاجتماعي

دراسة ميدانية لعينة من طلبة جامعة الجزائر 3

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث في علوم الإعلام والاتصال

تخصص: دراسات الجمهور والوسائط الجديدة

إعداد الطالب:

ضيف عبد القادر

إشراف:

أ.د. بهناس سعيد عادل

المرسم الجامعي 2025/2024

شكر وتقدير

في البداية أشكر المولى عزّ وجلّ أن وفقني لإتمام هاته الأطروحة.

كل الشكر والعرفان والامتنان للأستاذ الدكتور بهناس سعيد عادل المشرف على هاته الأطروحة لما قدمه لي من توجيهات وتعليمات.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور مخلوف بوكروح الذي رافقني في بدايات هاته الرسالة.

الإهداء

أهدي هذا المجهود المتواضع إلى روح أمي الطاهرة.

إلى أبي.

إلى رفيقة الدرب ريمة.

إلى مرام، وهيب، أرسلان، شكيب.

إلى كل الأصدقاء والأحبة.

فهرس الأشكال والجداول

شكل رقم (01) يوضح تطور عدد مستخدمي الانترنت في الجزائر من جانفي 2013 إلى جانفي 2023 ..... **115**

شكل رقم (02) الحظيرة الاجمالية لمشتركي الانترنت الثابت والنقال: 2023 115

جدول رقم (03) يوضح نوع جهاز الاتصال بالإنترنت ونوع الربط بالشبكة 137

جدول رقم (04) يوضح المتغيرات السوسيوديموغرافية للمبحوثين 138

الشكل رقم (05) رسم بياني يوضح عدد ساعات الملاحظة عبر الخط كل أسبوع.....141

الشكل رقم (06) متوسط الوقت المستغرق في استخدام الكومبيوتر.....143

الشكل رقم (07) نسبة استخدام الإنترنت المسجلة لدى الطلبة 148

الشكل رقم 08 لقطات شاشة لبعض حواسيب المبحوثين ذات السياق العلمي والأكاديمي.....156

شكل رقم(09) يوضح كيفية انتقال الطالب بين التصفح الدراسي واليومي في جلسة واحدة 158

الشكل رقم 10لقطات شاشة لبعض حواسيب المبحوثين ذات السياق اليومي 159

الشكل رقم (11) لقطات من شاشات حواسيب لبعض عينات الدراسة متعلقة بالترفيه 170

الشكل رقم (12) يبين البعد الزمني لاستخدامات الإنترنت لمفردات العينة.....169

الشكل رقم(13): لقطات من شاشات حواسيب تظهر بعض المشاكل تقنية في الاتصال بالإنترنت.....177

الشكل رقم (14): نموذج بسيط يوضح تبني الإنترنت من قبل الطلبة 187

الشكل رقم (15) يوضح : البريكولاج بين ما هو رسمي وغير رسمي.....195

الشكل رقم (16) صيرورة التملك الاجتماعي للإنترنت من طرف الطلبة 199

الشكل رقم (17) : يوضح الجانب الطقوسي في استخدام الانترنت من قبل الطلبة.....213

الفهرس

شكر وتقدير 2

الإهداء 3

الفهرس. 5

ملخص الدراسة 9

مقدمة 12

1. إشكالية وتساؤلات الدراسة: 17

2. أهمية الدراسة وأهدافها: 26

3. مجتمع البحث وعينة الدراسة: 27

4. منهج الدراسة: 29

4.1 الإثنوغرافيا وأدواتها: 29

4.2- الخطوات الإجرائية: 37

- 1.2.4جمع المعطيات: 37

4.2.2- أخلاقيات البحث الإثنوغرافي: 40

3.2.4- تحليل البيانات: 41

5. تحديد المفاهيم والمصطلحات: 42

5.1 الاستخدام: 42

5.2 التملك: 44

5.3 المنظومة أو العُدّة التقنية Dispositif: 46

5.4 المجتمع الافتراضي: 47

5.5 الثقافة الرقمية 48

6. الدراسات السابقة: 49

تقييم للدراسات السابقة: 60

الفصل الثاني: مقاربة سيسيولوجيا الاستخدامات والتملك الاجتماعي 64

المبحث الأول: نشأة وتطور مقاربات الاستخدامات 64

المطلب الأول: نشأة دراسات سوسيولوجيا الاستخدامات 64

1. مفهوم الاستخدام: 68

2. تكّون الاستخدام: 71

المطلب الثاني: المقاربات النظرية للاستخدامات 72
1. مقاربة الانتشار: 72
2. مقاربة التمثلات: 74
3. مقاربة التملك الاجتماعي: 76
المبحث الثاني: مقاربة التملّك الاجتماعي: السيرورات والسياقات 79
المطلب الأول: التملك الاجتماعي... الشروط والسيرورات: 79
1. الولوج التقني: 79
2. التحكم التقني والمعرفي للتكنولوجيا: 80
3. دمج تكنولوجيات الإعلام والاتصال في اليومي: 81
4. الوسيط الجماعي وتمثيل المجتمع: 82
المطلب الثاني: العوامل المؤثرة في سيرورة التملك الاجتماعي: 84
1. السياق السوسيو اقتصادي للمستخدم: 84
2. تمثّلات المستخدمين: 84
3. العلاقات الداعمة للمستخدم: 85
4. جنس المستخدم: 86
الفصل الثالث: تكنولوجيات الإنترنت في المجتمع 90
المبحث الأول: تكنولوجيا الإنترنت 90
المطلب الأول: الإنترنت: الخصائص والوظائف 90
1- خصائص ومميزات الإنترنت 91
أ-البعد العالمي للأنترنت: 91
ب-العوالم الافتراضية: 91
ج- لغة خاصة: 92
د- النص التشعبي كطريقة للتفكير: 93
هـ- حرية يقينية: 93
و- مصدر للمعلومات: 94
ي- التفاعلية: 94
2- وظائف الإنترنت: 95
المطلب الثاني: من الانتشار ووعود القطيعة إلى الفجوة الرقمية 99
1-الانتشار والفجوة الرقمية 99

2-الأنترنت ووعود القطيعة: 101
ا- الوعد الافتراضي: 101
ت- الوعد الديمقراطي: 102
ج- الوعد الاقتصادي: 102
المبحث الثاني: الشباب والثقافة الرقمية: 104
المطلب الأول: مفهوم الشباب وعلاقته بالإنترنت: 104
المطلب الثاني: الثقافة الرقمية كثقافة فرعية: 108
المبحث الثالث: واقع الإنترنت في الجزائر: 113
المطلب الأول: واقع الانترنت في الجزائر: 113
المطلب الثاني: مجتمع المعلومات في الجزائر: 116
المطلب الثالث: استخدامات الانترنت في الوسط الجامعي الجزائري: 122
الفصل الربع: الوصف والتفسير الإثنوغرافي لاستخدامات الطلبة الجامعيين للإنترنت 129
المبحث الأول: الوصف والتحليل الإثنوغرافي الطلبة المستخدمين للإنترنت: 129
المطلب الأول: وصف منظومة الإنترنت 129
المطلب الثاني: الوصف الإثنوغرافي لعينة الدراسة: 137
المطلب الثالث: علاقة عينة الدراسة بالإنترنت وسياقات الاستخدام 142
1- استخدام مفردات العينة للإنترنت 142
2-: الإنترنت في السياق الجامعي 143
المبحث الثاني: الأثر الثقافي والعلمي والتواصلي للإنترنت لاستخدامات الطلبة الجامعيين 147
المطلب الأول: الأثر المعرفي وأهم استراتيجيات البحث عن المعلومة 148
المطلب الثاني: الأثر التواصلي والترفيهي 163
1-الأثر التواصلي 163
2- الأثر الترفيهي: 168
الفصل الخامس: التملك الاجتماعي لأداة الإنترنت من طرف الطلبة الجامعيين 174
المبحث الأول: إجراءات وسيرورات تملك الطالب الجامعي للإنترنت 174
المطلب الأول: الولوج التقني والتحكم المعرفي في الإنترنت 174
المطلب الثاني: تبني ودمج الإنترنت في الحياة الدراسية واليومية للطلبة: 181
المطلب الثالث: الابتكار والترميق في استخدامات الإنترنت من قبل الطلبة 188
لمبحث الثاني: تحليل سياقات التملك وطقوس الاستخدام للإنترنت من قبل الطلبة الجامعيين 200
المطلب الأول: السياقات السوسيولوجية والاقتصادية لاستخدامات الطلبة للإنترنت 200

المطلب الثاني: مظاهر الطقوس والروتين في استخدام الإنترنت من قبل الطلبة.....208
نتائج الدراسة 215
الخـــــاتمة 218
المراجع باللغة العربية.....220
المراجع بالغة الأجنبية 224
الملاحق.. 229

ملخص الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى محاولة الإمساك بسيرورات تملك الإنترنت من قبل الطلبة الجامعيين لجامعة الجزائر 3 بمختلف أطوارهم الأكاديمية، طور الدكتوراه، طور الماستر وطور الليسانس، وذلك بالاستعانة بمقاربة التملك الاجتماعي. حاول الباحث الكشف عن الشروط والإجراءات الواجب توافرها حتى نتحدث عن تملك اجتماعي لهذه التكنولوجيا، وراعى الباحث في هذه الدراسة السياقات التي تتم فيها استخدامات الإنترنت، وما تلعبه من دور أساسي في التأثير على ممارسات الطالب/ المستخدم للإنترنت. تم الاستعانة في هذه الدراسة بالمنهج الإثنوغرافي، الذي يرى الباحث أنه يناسب هذا النوع من الدراسات التي تجمع بين البعد التقني والبعد الرمزي وبناء المعاني، فاختار الباحث عينة قصدية مكونة من أربعة وعشرون (24) مفردة موزعة على كليات جامعة الجزائر3، وتشمل أطوار التدرج الأكاديمية، وتتميز بأنها تراعي التنوع الاجتماعي (الجنس)، فنصف المفردات ذكور والنصف الآخر إناث، حيث يؤثر عامل النوع الاجتماعي على بناء واستخدامات الإنترنت.

وتقوم إشكالية الدراسة على الكيفيات والسيرورات التي يبني بها الطالب/ المستخدم علاقته مع الإنترنت وطرق تملكه لهاته الأداة. وقد استخدم الباحث الملاحظة عن بعد وعززها بالمقابلة من أجل أن يطابق ما تم رصده مع تصريحات المبحوثين، وذهبت الدراسة إلى استخراج اهم ثيمات الاستخدام للإنترنت والأثر الرقمي لهاته التكنولوجيا. كما كشفت الدراسة عن طقوس في الاستخدام من قبل الطلبة، هاته الطقوس التي تأتي في شكل روتين يومي يتبعه الطالب/ المستخدم للإنترنت، آخذة في عين الاعتبار السياقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية مثل: التنشئة الاجتماعية، الدعم المالي والمعنوي للعائلة دون نسيان السياق الجامعي الذي يعتبر محفز على استخدام الإنترنت.

Study Summary

This study seeks to capture the processes of internet ownership by university students at the University of Algiers 3, across their various academic levels—doctoral, masters, and bachelor's—using a social ownership approach. The researcher attempted to uncover the conditions and procedures required to speak of social ownership of this technology. In this study, the researcher considered the contexts in which the internet is used and the essential role it plays in influencing student/user internet practices. The ethnographic approach was employed, which the researcher believes is appropriate for this type of study, which combines technical, symbolic, and meaning-building dimensions. The researcher selected a purposive sample of twenty-four (24) students distributed across the faculties of the University of Algiers 3, encompassing all academic levels. Its consideration of social diversity (gender), with half of the students being male and the other half female characterized the sample, as gender influences the construction and use of the internet.

The study's problem is based on the methods and processes by which students/users build their relationship with the internet and their ways of owning this tool. The researcher used remote observation and supported it with interviews to match the observed data with the respondents' statements. The study extracted the most important themes of internet use and the digital impact of this technology. The study also revealed usage rituals by students. These rituals take the form of a daily routine followed by the student/internet user, taking into account social, cultural, and economic contexts such as socialization, financial, and moral support from the family, not to mention the university context, which is considered a motivator for internet use.

Résumé de l'étude

Cette étude vise à appréhender les processus d'appropriation d'Internet par les étudiants de l'Université d'Alger III, à travers leurs différents cycles d'études (doctorat, master et licence), en utilisant une approche d'appropriation sociale. Le chercheur a tenté de mettre en lumière les conditions et les procédures nécessaires pour parler d'appropriation sociale de cette technologie. Dans cette étude, il a examiné les contextes d'utilisation d'Internet et son rôle essentiel dans l'influence des pratiques des étudiants et des utilisateurs. L'approche ethnographique a été privilégiée, car elle est jugée appropriée à ce type d'étude, combinant des dimensions techniques, symboliques et de construction de sens. Le chercheur a sélectionné un échantillon ciblé de vingt-quatre (24) étudiants répartis dans les facultés de l'Université d'Alger III, tous cycles confondus. Cet échantillon se caractérisait par sa prise en compte de la diversité sociale (genre), la moitié des étudiants étant des hommes et l'autre moitié des femmes, le genre influençant la construction et l'utilisation d'Internet.

La problématique de l'étude repose sur les méthodes et processus par lesquels les étudiants/utilisateurs construisent leur relation à Internet et leurs façons de s'approprier cet outil. Le chercheur a utilisé l'observation à distance et l'a appuyée par des entretiens afin de mettre en correspondance les données observées avec les déclarations des répondants. L'étude a dégagé les thèmes les plus importants de l'utilisation d'Internet et de son impact numérique. Elle a également révélé les rituels d'utilisation des étudiants. Ces rituels prennent la forme d'une routine quotidienne suivie par l'étudiant/utilisateur d'Internet, prenant en compte les contextes sociaux, culturels et économiques tels que la socialisation, le soutien financier et moral de la famille, sans oublier le contexte universitaire, considéré comme un facteur de motivation pour l'utilisation d'Internet.

مقدمة

أحدث ظهور الشبكة العنكبوتية في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين انقلابًا في الممارسات الاجتماعية لدى الأفراد، فأصبحت هذه التكنولوجيا متاحة لعدد معتبر من الأفراد حول العالم، حيث عرفت قفزات نوعية في الانتشار عبر أرجاء المعمورة في السنوات الأخيرة، مع الأخذ بعين الاعتبار الفجوة الرقمية بين بلدان الشمال والجنوب. أثّرت هذه التكنولوجيا على شتى مناحي الحياة الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية والثقافية. ومع تنامي ظاهرة الإنترنت وتطورها وازدياد عدد مستخدميها، بادرت العديد من التخصصات العلمية إلى دراستها، سواء في التخصصات التقنية مثل علوم الحاسوب والبرمجيات، أو تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية مثل علم الاجتماع وعلم النفس، فظهرت العديد من الدراسات التي تتناول هذه التكنولوجيا بالبحث والتمحيص.

أفرز تغلغل الإنترنت داخل المجتمع العديد من الممارسات التي تجمع بين ما هو تقني وما هو اجتماعي، فجاءت مقاربات سيسيولوجيا الاستخدامات La sociologie des usages لتحاول تفسير العلاقة بين المستخدم والتقنية. وتندرج دراستنا في إطار هذا المنظور الأبستمولوجي، حيث اختار الباحث مقاربة التملّك الاجتماعي وهي مقاربة تندرج ضمن تيار سوسيولوجيا الاستخدامات، كمدخل مناسب لتفسير العلاقة ما بين المستخدم والإنترنت. وتشير المعطيات والاحصائيات عالميا، ان أكثر فئة مستخدمة لهذه التقنية هي فئة المراهقين والشباب من كلا الجنسين، فجاءت العديد من الدراسات التي جمعت بين متغير الشباب ومتغير الإنترنت مع الاختلاف في المداخل النظرية المستخدمة في التفسير، فمنها من ركّزت على الاحتياجات والإشباعات، ومنها من ركّزت على الإدمان وتشتت الانتباه... إلخ. أما دراستنا فركّزت على الأثر الرقمي الذي يتركه المستخدم ومآلات هذا الاستخدام من تبني ودمج للإنترنت في الحياة اليومية ضمن السياق التكنولوجي والاجتماعي الجزائريين.

فجاءت الدراسة مكونة من خمسة (5) فصول، الفصل الأول خاص بالإطار المنهجي، الفصل الثاني خاص بالمقاربة النظرية المستخدمة في الدراسة، الفصل الثالث يتمحور حول التكنولوجيا داخل المجتمع وركز الباحث على تكنولوجيا الإنترنت داخل المجتمع الجزائري، أم الفصلين الرابع والخامس فهما فصلان تطبيقيان على عينة الدراسة على النحو التالي:.

– الفصل الأول: ويتعلق بالإطار المنهجي، حيث قام الباحث ببناء إشكالية تتمحور حول تملّك الطلبة الجامعيين للإنترنت وكيفيات تبنيها ودمجها في حياتهم الجامعية واليومية؟، وتم تفكيك هذه الإشكالية إلى تساؤلات فرعية تساعد على الإجابة على السؤال الرئيسي. وتأتي أهمية الدراسة، أن هناك تشبع في الدراسات التي تجمع بين متغير الطلبة والإنترنت المرتكزة على تلبية الاحتياجات والإشباعات، أو تلك التي ترى في استخدام الإنترنت معضلة نفسية تتمثل في الإدمان، فجاءت هاته الدراسة والتي تندرج ضمن الدراسات التي تبحث عن الأثر الذي يتركه الطالب عند استخدامه للإنترنت والسياق الذي يحيط بهذه الممارسات الاجتماعية. ويرى الباحث أن المنهج الإثنوغرافي بأدواته المستخدمة في الدراسة، الملاحظة عن بعد والمقابلة المعمقة، هو المنهج المناسب لهذا النوع من الدراسات التي تسبر أغوار الاستخدامات وبناء المعاني التي يضفيها الطالب على الإنترنت واستخداماتها، وهذا ما برر صغر حجم العينة التي تميز الدراسات الكيفية، المكونة من أربعة وعشرون (24) طالب من جامعة الجزائر 3 للموسم الدراسي 2022/2021.

– الفصل الثاني: يتمحور هذا الفصل حول المقاربة النظرية المستخدمة في الدراسة، والتي تتمثل في تيار الاستخدامات وبالضبط مقترب التملك الاجتماعي للأدوات التقنية، فقد تم التطرق إلى نشأة وتطور هذا التيار، الذي يركّز على استخدام التكنولوجيا لا ككيانات مستقلة بل أدوات يضفي عليها المستخدم المعاني والرموز، ويسعى هذا التيار إلى دراسة الاستخدامات الفعلية بعيدا عن التصورات المعيارية والجاهزة عن التكنلوجيا، وبعيدا عن التحمية التكنولوجية، يرى هذا التيار أنه لا يجب إغفال التفاعلات الفردية والجماعية مع التقنية. ومتسلحا بعدة مفاهيم مثل: التملك، الانحراف في الاستخدام، البريكولاج والطقوس اليومية حاول الباحث توظيف مقترب التملك الاجتماعي لتقديم تفسير لعلاقة الطالب/ المستخدم بالإنترنت في ضوء جملة من السياقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وأهم الشروط الواجب توافرها حتى نكون بصدد تملّك اجتماعي لمنظومة الإنترنت.

– الفصل الثالث: جاء تحت عنوان تكنولوجيا الإنترنت في المجتمع، في هذا الفصل تناول الباحث تكنولوجيا الإنترنت كأكثر تكنولوجيا منتشرة في المجتمع أي البعد العلمي لها، وعرج الباحث على أهم ميزاتها وخصائصها والوظائف التي تقدمها. ورغم ما جاءت به الإنترنت من وعود مثل الدمقراطية وحرية الرأي والتعبير، إلا أن هناك إشكالات تهز من قيمة هاته الوعود مثل الفجوة الرقمية وهيمنة الفاعلين على هاته التقنية. كما تناول الباحث أهم مفهوم في الدراسة وهو الشباب وعلاقته بالإنترنت، وكيف أن هذه

الفئة خلقت ثقافة فرعية خاصة بها عند استخدامها للإنترنت، واسقاط كل ذلك على الشباب والإنترنت في الجزائر، فتم تناول واقع الإنترنت في الجزائر وأهم تطوراتها خلال العقدين الأخيرين، خاصة في الوسط الجامعي.

– الفصل الرابع: أما في هذا الفصل، قام الباحث بالوصف والتحليل الإثنوغرافي للطلبة المستخدمين للإنترنت، من خلال وصف منظومة الإنترنت ووصف عينة الدراسة، وتفسير العلاقة بين استخدامات مفردات العينة للإنترنت وأهم السياقات التي تتم فيها. كما قام الباحث بتقصي الأثر التواصلي والثقافي والترفيهي لهاته الاستخدامات، وتم الكشف عن أهم الاستراتيجيات التي يستخدمها الطالب الجامعي في استخدام الإنترنت في البحث عن المعلومات ذات السياق الدراسي وذات السياق اليومي الشخصية.

– الفصل الخامس: قام هنا الباحث بمقاربة شروط تملك الإنترنت مع عينة الدراسة، من خلال التطرق إلى إجراءات وشروط تمّلك الطالب الجامعي للإنترنت بدأً بالولوج التقني والتحكم المعرفي مرورًا بدمج وتبني هذه التقنية في الحياة الدراسية والشخصية وصولاً إلى الابتكار والترميق في استخدامها. كما لم يهمل الباحث السياقات السوسيولوجية والاقتصادية والثقافية التي تتم فيها استخدامات الطالب الجامعي للإنترنت، وما رافق ذلك من مظاهر طقوسية في الاستخدام حيث أبانت الدراسة عن وجود روتين يومي للطالب/ المستخدم للإنترنت.

– وفي ختام الدراسة توصلنا إلى جملة من النتائج التي تحصلنا عليها من الوصف والتحليل الإثنوغرافي لعينة الدراسة، تمت فيها الإجابة عن إشكالية البحث وتساؤلات الدراسة.

الفصل الأول

الإطار المنهجي

الفصل الأول: الإطار المنهجي

1. إشكالية وتساؤلات الدراسة
2. أهمية الدراسة
3. مجتمع البحث وعينة الدراسة
4. منهج الدراسة
5. تحديد مفاهيم الدراسة
6. الدراسات السابقة

1. إشكالية وتساؤلات الدراسة:

شهدت المجتمعات منذ ظهورها تحولات في بنيتها السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية وحتى الثقافية، إذ مرّت بسيرورة تاريخية، ابتداء بالمجتمع الزراعي ثم المجتمع الصناعي الحداثي وصولاً إلى مجتمع المعلومات والخدمات الما بعد حداثي. رافق هذه التحولات تطوراً متصاعداً للخط التكنولوجي والتقني للابتكارات في شتى الميادين.

إن الظاهرة الاتصالية كظاهرة اجتماعية لم تكن بمنأى عن هذه التكنولوجيا، بل كانت في قلب هذه الاختراعات والمبتكرات التقنية، خاصة في بداية القرن العشرين ق 20م مع ظهور الإذاعة، والتلفزيون وصولاً إلى تكنولوجيات الأقمار الصناعية والحاسبات فتكنولوجيا الشبكات، مخترقة الحواجز الزمنية والمكانية.

وعليه أثار تغلل التقنية في المجتمع، خاصة تكنولوجيات الاتصال، إشكالات إبستمولوجية حاولت عدة مقاربات علمية في ميدان علوم الاعلام والاتصال وغيرها، تفسير عناصرها الاتصالية وعلاقتها ببعضها البعض. فكانت البداية مع براديغم التأثير القوي والمحدود، حيث يكون لوسائل الإعلام تأثير على الجمهور سواء على المدى القصير أو البعيد. ثم جاءت دراسات التلقي في بداية الثمانينات لتهتم بالكيفية التي يؤول بها المتلقي الرسائل الإعلامية، أي التركيز على عملية التلقي في حد ذاتها باعتبارها ممارسة لها أسسها اجتماعيًا وثقافيًا، وباعتبارها عملية بناء اجتماعي للمعاني التي يضفيها المتلقي على الرسائل الإعلامية [1].ووصولاً إلى مقاربات الاستخدام، هذه الأخيرة جاءت لتفسر العلاقة بين ما هو تقني وما هو اجتماعي في ظل مجتمعات أصبحت التكنولوجيا والوسائط الجديدة السمة البارزة لها.

يمثِّل الاستخدام مفهوما مركزيا في علوم الاعلام والاتصال لأنه ارتبط بالمحاولات النظرية المتعددة والمتراكمة للخروج بإشكالية العلاقة مع وسائط الاعلام من دائرة التأثير. هكذا اكتشفنا مع نظرية

[1] قسايسية, علي .*المنطلقات النظرية والمنهجية لدراسات التلقي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال* . قسم علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر, 2007، ص 122.

الاستخدامات والإشباعات Uses and gratifications أن هذه العلاقة لا تقوم على انصياع المشاهد–القارئ والمستمع إلى سلطة الاعلام، بل إن العلاقة أكثر تعقيدا لأن مستهلك المضامين الإعلامية كائن نشط يبحث عن إشباع رغبات ثقافية[1].

في هذا المقام فإن السيرورة التاريخية للاستخدامات وتناول هذا المفهوم في تقليد بحوث الإعلام والاتصال لم يكن حديثاً، حسب ما أشارت إلى ذلك Jouet، بل تعود إلى ستينيات القرن الماضي مع تقليد البحوث الانجلوسكسونية تحت مسمى الاستخدامات والإشباعات كما أشرنا سابقاً، والتي أعادت النظر في أنموذج التأثير من زاوية معاكسة لتحليل ماذا يفعل الأفراد بوسائل الإعلام؟، بدل ماذا تفعل وسائل الاعلام بالأفراد؟ ومن ثم أعيد الاعتبار للنشاط الايجابي للمستخدم في البحوث بدل النشاط السلبي في بداية التحريات العلمية لظواهر الإعلام والاتصال.[2] فلقد عمّق هذا التيار في الثمانينات من القرن الماضي، مفهومه الخاص للقراءة المتفاوض عليها: المعنى والتأثيرات تولد من تفاعل النصوص والأدوار التي يضطلع بها الجمهور. وإن فك الرموز يرتبط بمشاركة الجمهور في عملية الاتصال، وترتبط المشاركة ذاتها بالطريقة التي تُبنى بها مختلف الثقافات دور المتلقي.[3] وشكّلت الدراسات الثقافية Cultural studies مساهمة أخرى هامة في عملية تجاوز النظرة الكلاسيكية لتأثير وسائل الاعلام، ومن نتائجها الحاسمة التأكيد على الدور النشط لعملية التلقي وعلى قدرة الفرد على تأويل المضامين الإعلامية.[4]

لتأتي طروحات ميشال دوسارتو خاصة في كتابه الموسوم بـ " ابتكار الحياة اليومية/ فنون الأداء العملي"، وتطرح إشكالية سوسيولوجية تتمحور حول الابتكارات اليومية من خلال الاستخدامات الثقافية للناس البسطاء، فهم ليسوا مستخدمين سلبيين، بل مبتكرون من خلال جملة من الحيل والتكتيكات في تعاملهم مع المنتجات المفروضة عليهم، فهم يقومون بالتحرر منها. فالمستهلك عندما

[1] الحمامي الصادق. *الميديا الجديدة: الإبستيمولوجيا والإشكاليات والسياقات*. منوبة: المنشورات الجامعية بمنوبة، 2012، ص38.

[2] Jouët, J. retour critique sur la sociologie des usages. (Réseaux, Éd.) *communication à l'ère des réseaux, 18*(100), 2000, p493.

[3] أرمان ماتلار، و ميشال ماتلار. (2005). *تاريخ نظريات الاتصال* (المجلد 1). (نصرالدين لعياضي، و الصادق رابح، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ص167.

[4] الحمامي الصادق. مرجع *سبق* ذكره، ص 76.

يستخدم هذه المنتجات فهو يبتكر الحياة اليومية الخاصة به. هذه الأفكار ساهمت في بروز اتجاهات قوية في علم الاجتماع المعاصر من بينها سيسيولوجيا الاستخدامات. حيث تحوّلت الدّراسات من تحليل ظاهرة التأثير إلى دراسات التلقي والاستخدام، وذلك بعد أن تمركز النّظر في عديد الدراسات، حول تحليل توزيع وسائل الإعلام وتكنولوجيات الاتصال من جهة اعتماد أو تبني هذه التقنيات وقبولها من طرف المستخدمين، حيث ركّزت البحوث اللّاحقة على مسألة تحليل الابتكارات التقنيّة والتّجديد التكنولوجي، كبني اجتماعية، وكذلك على مسألة تملّك هذه التقنيّات من طرف المستخدمين، بمعنى تحليل تشكّل الاستخدامات الاجتماعية من خلال تملّك هذه التقنيات وكيفيّة استخدامها [1]. وبالتالي الكشف عن العلاقة بين الابتكار التقني والابتكار الاجتماعي.

ترى Jouet أن الإضافة النظرية الأولى والهامة لسيسيولوجيا الاستخدام الاجتماعي تتمثل في فكرة ان الاستخدام الاجتماعي يتميز بأنه نشط وذكي ولا يتماهى مع الغايات الأولى التي وضعها مبتكرو هذه التكنولوجيات. تقوم إذن بحوث السوسيولوجية على رؤية تفاعلية بين المستخدم والتقانة تتداخل فيها خصوصيات التقنية والخصوصيات الاجتماعية والثقافية لعملية الاستخدام[2].

كما برهنت الدراسات أن الأشخاص يستخدمون هذه التكنولوجيات لغايات اجتماعية متعددة (التحرر من القيود الاجتماعية، بناء علاقات اجتماعية جديدة، التواصل ...). والأنترنت كتكنولوجيا، تأتي كجزء من تكنولوجيات الاعلام والاتصال TIC، ويعتبرها كل من Breton وProulx أنها شبكة الشبكات، إذ تقدم نفسها على أنها تصميم ضخم يربط تقنيا بين الكثير من الشبكات ذات المصادر الإنسانية والتقنية. الانترنت تشكل منظومة سوسيوتقنية تجمع أساسا: مجموع بروتوكولات الاتصالات، محولات تضمن نقل الإشارات بين الشبكات، بناءات للشبكة التقنية تتيح الاتصال عن بعد بواسطة عدة نقاط ولوج للشبكات، كالحاسوب والهاتف ...الخ.[3]

[1] ثريا السنوسي. (2016). *كنولوجيات الإتصال ومسألة الإستعمالات*. أبوظبي: دار الكتاب الجامعي، ص 13.

[2] الصادق الحمامي. (2005). المساءلة النظرية لمفهوم مجتمع المعلومات. (إتحاد إذاعات الدول العربية، المحرر) *مجلة الإذاعات العربية*(3)، ص 16.

[3] Breton, P., & Proulx, S. *L'explosion de la communication à l'aube du XXIe siècle.* Montréal : Les Éditions du Boréal, 2002, p294.

فالإنترنت منظومة اجتماعية وتقنية اتاحت الكثير من طرق الاتصال، ويُعدّد Proulx وظائف الانترنت، فهي تسمح بالإنتاج، النشر والبحث عن المعلومة على مستوى العالم، فالإنترنت تتحكم في المصادر المكتوبة، المصورة، السمعية والسمعية البصرية، كما تعمل على تطوير طرق خاصة في التواصل.[1]

إذن، تأتي الإنترنت في مقدمة تكنولوجيات الاعلام والاتصال الحديثة في احداث تغييرات في النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية داخل المجتمع، كان لها انعكاساتها وآثارها الواسعة على الصعيد الفردي والأسري والمجتمعي، وقد أدى هذا إلى شيوع أنماط جديدة ومتزايدة من السلوكيات والقيم الاجتماعية التي أثّرت، وبشكل واسع، في عملية التفاعل الاجتماعي، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي[2]. صحيح ان الأنترنت حررت الأفراد من القيود والتراتبيات الاجتماعية ولكن مع الإنترنت ظهرت أيضًا طقوس اتصال جديدة، هذه الأخيرة تخلق مجتمعات افتراضية من جميع أنحاء العالم، يكون أعضاؤها منظمات وأفراد غير متجانسين، فمثلاً: قراءة رسائل البريد الإلكتروني في وقت محدد –الصباح مثلا– والإجابة عليها يؤكد لنا أن هذا الالتزام الروتيني يأخذ بعداً طقوسياً، تمامًا مثلما يُؤكد أفراد الأسرة اجتماعهم على وجبة الإفطار، فهذه المجتمعات الافتراضية يتم تشكيلها من خلال أفعال طقوسية تُحيل إلى بعضها البعض ، ويتم إنجازها من أماكن مختلفة داخل مجتمع الشبكة[3]. إن طقوس الاتصال الإلكتروني تزداد تواتراً وشدة، خاصة بين الشباب والمراهقين الذين يسعون لاكتساب ثقافة لكل أشكال الاتصال الرقمي والإلكتروني واستبدال أشكال التبادل التقليدية، ويُعتبر الهاتف النقال والإنترنت امتداد لهذه الثقافة[4].

وفي السياق الجزائري فإن قطاع تكنولوجيات الاعلام والاتصال بصفة عامة وخدمة الانترنت بصفة خاصة تعرف تقدما بطيئا مقارنة بالدول الأخرى، فالجزائر تحتل المرتبة 88 عالميا بمعدل 77.8

[1] Proulx, S. *La révolution Internet en question.* Qc: Québec Amérique, 2004, p36.

[2] فايز المجالي. استخدام الإنترنت وتأثيره على العلاقات الاجتماعية لدى الشباب الجامعي. *المنارة، لمجلد 13*(العدد 7)، 20 1, 2007، ص 161.

[3] Wulf, Christoph. «Le rituel : formation sociale de l’individu et de la communauté.» *Spirale* 31 (2003): pp 71,72 .

[4] Le Douarin, Laurence. «Usages des nouvelles technologies en famille.» 181.1 (2014): p 68.

نقطة[1]، وهو مؤشر متوسط لتطور تكنولوجيات الاعلام والاتصال، وبالتالي فمشكل الفجوة الرقمية مطروح في هذا المقام، لكن رغم ذلك نستطيع القول إنه يوجد حد أدنى من الاستخدام لمنظومة تكنولوجيات الإعلام والاتصال في الجزائر. ولقد سجّلت الحظيرة الإجمالية لمشتركي الانترنت ارتفاعا قُدر ب 46.97 مليون مشترك خلال الثلاثي الأول من سنة 2022، نشأت هذه الزيادة، من جهة، نتيجة للنمو الكبير المسجل في حظيرة انترنت النقال (الجيل الثالث والجيل الرابع)، حيث بلغ المشتركون النشطون لهذه التكنولوجيا نسبة 90.87% من اجمالي الحظيرة، وجاء مشتركو ADSL والألياف البصرية بنسبة 9.13%[2]، هذا من الناحية التقنية.

أما من الناحية الاجتماعية، فلقد نشأت الأجيال الجديدة (الشباب والمراهقين) في ظل تكنولوجيا الإعلام والاتصال بدءاً من الأسرة والمدرسة وصولاً إلى الجامعة والوسط المهني: فكلما كان المرء صغير السن ازداد احتمال امتلاكه التجهيزات التكنولوجية[3]. وراجع ذلك إلى طبيعة المجتمع الجزائري حيث يمثل الشباب الفئة العمرية الغالبة، وكذلك لطبيعة تكنولوجيات الاتصال لما توفره من ترفيه مثل الموسيقى والألعاب، وتكوين لشبكات اجتماعية عابرة للحدود، وكم هائل من المعلومات. هذه الخصائص والميزات تتناسب وطبيعة تكوين الشباب النفسية وحتى الفسيولوجية. وعليه أصبحت تكنولوجيات الاعلام والاتصال الحديثة بأنواعها في حياة الشباب اليومية شيئا ملاحظا بقوة، وأصبح عدم امتلاكهم لهذه التكنولوجيا يدخل في منطق الغريب وغير المألوف، وعليه أخذت تكنولوجيا المعلومات مكانة معتبرة تجسدّت في استخدامهم اليومي لهذه التقنية في مختلف أنشطتهم اليومية لإثراء حياتهم الخاصة وأيضا المجتمع الذي ينتمون إليه. وهذا ما يفسر أن الشباب أكثر من غيرهم في فهم أن تكنولوجيا الإعلام والاتصال تساعد في صنع الفارق في حياة الناس. فالشباب يشكل الفئة الاجتماعية الأكثر انفتاحا على تكنولوجيات الإعلام والاتصال واستخدامه لها، وهي الفئة الساعية أكثر إلى امتلاك المهارات التقنية التي تسمح لها بذلك مقارنة ببقية الفئات الاجتماعية.

[1] الاتحاد الدولي للاتصالات. *تقرير قياس مجتمع المعلومات*. ITU، 2023، ص12 .

[2] سلطة الضبط للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية، تقرير حول سوق الانترنت في الجزائر، الثلاثي الأول 2022، ص 2.

[3] إيريك ميغري. *سوسيولوجيا الاتصال والميديا*. المترجمون نصرالدين لعياضي. ط 1. المنامة: هيئة البحرين للثقافة والآثار، 2018، ص 544.

لكن، دراسة العلاقة بين ما هو تقني وما هو اجتماعي كعلاقة الشباب بالأنترنت، يطرح عدة تحديات لعل أهمها تلك التي تتعلق بصعوبة دراسة العوالم الذاتية وبالهوة بين ما يصرح به المستخدمون وبين ما يمارسونه، إذ يمثل استخدام الانترنت جزءا من العوالم الذاتية للناس، فهو يحيل على تجاربهم الخاصة[1]. وبالتالي لا يمكن الاقتصار على دراسة الاتجاهات استخدام الانترنت وأنماطها، تكرار الاستخدام، الاشباعات المحققة، سلبيات وايجابيات الانترنت. والكثير من الدراسات في الجزائر تنحى هذا الاتجاه عندما تُريد أن تدرس العلاقة بين الشباب والإنترنت.

لكن قبل هذا، علينا أن نعترف بتعقيد هذه التكنولوجيا (الانترنت)، ويظهر هذا في أن استخدامات الانترنت متنوعة تماما ومختلفة من مستخدم لآخر، بسبب عوامل تلعب دورها في هذا الاستخدام، مثل تمثّلات الأفراد للتكنولوجيا، السياق الاجتماعي والاقتصادي، وعامل الجنس[2]. فالأدوات الاتصالية TIC – ومنها الانترنت– هي دعامة للتصورات والتمثّلات التي تضفي البعد الرمزي. هذه المواضيع البحثية الجديدة تتمركز حول تصورات هذه الأدوات، وتملكها. وترى Jouet أن التملك هو أحد المحاور التي تثير إشكالات في الاستخدامات المنزلية والمهنية، وتجد تحليلها في البعد الشخصي والجماعي، وتُضيف أيضاً، التملك هو سيرورة بناء في استخدام تكنولوجيا ما، المستخدم ليس مستهلك سلبي للمنتجات والخدمات المعروضة عليه، بل هو فاعل (نشط)، فالاستخدام الاجتماعي لوسائل الاتصال يتجلى دائما في شكل ما للتملك.[3]

يتطلب هذا التملك الاجتماعي للإنترنت سيرورة من الإجراءات التي تنطبق على أية عُدة تكنولوجية[4]: بدأ بالولوج التقني، وهو شرط مسبق وضروري لعملية تملك الإنترنت، رغم ما يطرحه من

[1] الحمامي الصادق. مرجع سبق ذكره، ص 26.

[2] REYES GARCIA, P. (2010). *L'appropriation d'Internet chez les visiteurs des télécentres au Chili.* Montréal: Département de communication ,Faculté des arts et des sciences, p86.

[3] Jouët, J, op, cit, p 502.

[4] Voir : Proulx (Serge), « Trajectoires d'usages des technologies de communication : les formes d'appropriation d'une culture numérique comme enjeu d'une société du savoir », op.cit. ; Proulx (Serge), « Penser les usages des TIC aujourd'hui: enjeux, modèles, tendances » in L. Vieira et N. Pinède, éds, Enjeux et usages des TIC : aspects sociaux et culturels, t.1, Presses universitaires de Bordeaux, 2005, p. 7-20

إشكالات فيما يتعلق بالفجوة الرقمية ومدى انتشار العُدة التقنية التي تساعد المواطن/ المستخدم والمجتمع في استخدام الإنترنت، هذا الشرط يجرنا إلى شرط آخر متعلق به وهو السياسة العامة للدولة ومدى توجهها في دمقرطة التكنولوجيا الرقمية وانتشارها والعلم على الحد من الفجوة الرقمية عالميا ومحليا. وكمرحلة ثانية من هذه السيرورة تتمثل في حيازة وامتلاك مهارات معرفية وتقنية ضرورية للتحكم في التكنولوجيا واستخدام بروتوكولاتها، هذه المهارات تكون نتيجة تكوين رسمي مثل: المدرسة ومعاهد التكوين المتخصصة، أو غير رسمي مثل: العائلة، الأصدقاء، التجربة الشخصية...إلخ. وكشرط آخر لعملية سيرورة التملك يتم دمج التقنية في الحياة اليومية، وهي اللحظة التي من خلالها يرى المستخدمون أن ممارساتهم القديمة قد تم تعديلها، فتبني التقنيات الجديدة يُغيّر من طرق ممارساتهم اليومية، هذا الدمج يقودنا إلى فكرة الإبداع، وهي القدرة على تحويل الأدوات التقنية عن أغراضها الأولية، أو حتى اتدخل في المباشر وغير المباشر في تصميمها، وبالتالي ظهور ممارسات جديدة (فردية وجماعية) بمعية استخدام الأداة، حيث يصبح هذا الاستخدام الفردي موضوع تبادل بين أعضاء المجتمع، الذي بدوره يتحول إلى ممارسات منظمة تخدم الاهتمامات والقيم المتشابهة داخل المجتمع.

مما سبق، فالملاحظ ان هناك اهتمام متزايد من قبل الشباب بتكنولوجيا الإنترنت، ولا يمكن عزو هذا الاهتمام دائماً إلى الإدمان على الإنترنت، بل هناك ثقافة تكنولوجية ورقمية منتشرة بين هذه الفئة، هذه الثقافة الرقمية تقوم في الأساس على المشاركة participation التي تتمثل في نشر وتحميل وإنتاج الرسائل الإعلامية، الصور والفيديوهات بالإضافة إلى استخدام غرف الدردشة، هناك عنصر آخر مهم جدا في الثقافة الرقمية يستدعيه معظم الباحثين في الدراسات الإعلامية والثقافية، وهو مفهوم bricolage عند وصف إعادة خلط وإعادة بناء وإعادة استخدام الأدوات والأفعال والأفكار والعلامات والرموز والأنماط المنفصلة من أجل إنشاء رؤى أو معاني جديدة، خاصة في الوسط الافتراضي ، يمكن للمرء إعادة تحديد العناصر وإعادة ترتيبها حتى يظهر نمط يبدو أنه يلبي الأغراض التي تهم المستخدم عبر وسيط (الإنترنت) يكون فيه كل شيء دائمًا "قيد الإنشاء"[1].

[1] Deuze, Mark. «Participation, Remediation, Bricolage: Considering Principal Components of a Digital Culture.» The Information Society 22.2 (2006): p-p:68-70.

والطلبة كفئة شبابية لها استخداماتها لشبكة الإنترنت سواء في الفضاء الجامعي، المنزل أو فضاءات أخرى، ويتجلى ذلك في الحضور القوي للطلبة على شبكة الإنترنت، مع استخدامات تتركز حول الممارسات التفاعلية والمتعة، فالبعد التواصلي بالنسبة لغالبية الطلبة أصبح أساسيا على هذه الشبكة، وأصبحت هذه الأداة المصدر الرئيسي للمعلومات والوثائق، فعندما يسعون إلى المعلومة سواء لأعمالهم البيداغوجية أو الشخصية فإنهم يستخدمون الإنترنت، وبذلك أصبح الويب بوابة لاكتساب المعرفة العامة والمتخصصة بالنسبة لهم، مستخدمين في ذلك محركات البحث ومجموع التطبيقات التي تُتيحها هذه الشبكة. هذا الاستخدام يظهر في شكل سلوكيات وطقوس لها أثرها، سواء تعلق الأمر بالنشاط البيداغوجي الجامعي أو بالنشاط اليومي لحياة الطالب الجامعي.

في سياق الجامعة الجزائرية، نلاحظ غياب احصائيات دقيقة حول استخدام الطلبة الجامعيين للتكنولوجيات الحديثة بصفة عامة والإنترنت بصفة خاصة سواء داخل الجامعة أو خارجها، رغم وجود العديد من الدراسات التي تبحث في العلاقة بين الطالب الجامعي والإنترنت مع اختلاف المقاربات والمداخل النظرية والمنهجية المتبناة في ذلك، الدراسات التي أُجريت على مجتمع الطلبة في الجزائر وعلاقتهم بالتكنولوجيا كانت بدون توافر احصائيات رسمية يُعتمد عليها في البحث، التي تفوق قدرة الباحث وامكاناته وحتى إمكانات المؤسسة البحثية التي ينتمي إليها، خاصة أن الخطاب الرسمي للدولة الجزائرية يتحدث عن أن عدد الطلبة الجزائريين يفوق 1.7 مليون طالب جامعي للموسم 2021/ 2020[1] لا توجد حولهم احصائيات حول استخداماتهم للإنترنت والتكنولوجيات الحديثة. في حين تقوم بعض المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في بعض الدول، مثلا: في فرنسا يوجد المرصد الوطني لحياة الطلاب وموقع بارومتر استخدامات الإنترنت، حيث تقوم هذه المؤسسات بتوفير الاحصائيات المتعلقة باستخدام الطلبة للتكنولوجيا والإنترنت، مثل نسبة الطلبة المستخدمين للإنترنت، نسب حول إمكانية الوصول إلى للإنترنت داخل الحرم الجامعي وخارجه، الوقت المستغرق في استخدام الشبكة العنكبوتية،

[1] *دخول جامعي 2021-2022*. (10 أكتوبر, 2021). تاريخ الاسترداد 28 02, 2022، من وكالة الأنباء الجزائرية: https://shorturl.at/LgG2E

بالإضافة إلى اتجاهات التصفح واستخدام البريد الإلكتروني والدردشة وغيرها من الاحصائيات المتعلقة باستخدام الإنترنت[1] والتي توفر للباحث أرضية انطلاق صلبة تساعده في بحثه.

في ظل هذا الواقع – غياب إحصاءات رسمية عن استخدام الطلبة للأنترنت- وبالاعتماد على الملاحظة البسيطة للباحث من جهة، ونتائج بعض الدراسات الأكاديمية من جهة أخرى، تبين لنا أن هناك تغلغل معتبر لتكنولوجيا الإنترنت في حياة الطالب الجامعي من حيث إمكانية الولوج، الاستحواذ ثم الاستخدام لهذه الأداة وما يترتب عنه من تملك اجتماعي لها إذا توافرت شروطه سابقة الذكر.

وبالتالي إن دراسة التملك الاجتماعي للإنترنت تتمثل في تحديد درجة ونوع دمج الإنترنت في أسلوب حياة الطالب الجزائري. وتهدف الدراسة بشكل خاص إلى تقييم تأثير هذه الممارسات الجديدة في النشاط اليومي للطلبة. وإلى أي مدى، على سبيل المثال، يُعدّ الوصول إلى الإنترنت أن يُثري أو يضعف السلوكيات الاجتماعية، وتأثير ذلك على أنماط وطرائق التعلم، عادات الاستهلاك الثقافي والإعلامي، وآفاق التوقع من هذه التكنولوجيا.

في هذا السياق نحن مهتمون في هذه الدراسة بالكشف عن سيرورات التملك للإنترنت من قبل الطلبة لها وفهمها، لا يكفي معرفة الترددات والمواقع التي يزورها الطالب، ولكن ماذا يفعل بهذه المواقع والتطبيقات المتاحة على الأنترنت؟ معرفة كيف يقوم الطالب بإدماج أو دمج الانترنت في حياته اليومية، وأثر هذا الاندماج على المستوى البيداغوجي والمعرفي وعلى مستوى الحياة اليومية، وعليه ضرورة اكتشاف المعاني التي يعزوها الطالب في استخدامه للأنترنت، وصولاً إلى الابتكارية أثناء الاستخدام.

وعليه يمكن طرح السؤال الرئيسي:

[1] Vayre,, Émilie, Sandrine Croity-Belz and Raymond Dupuy. "Usages d'Internet chez les étudiants à l'université: effets des dispositifs de formation en ligne et rôle du soutien social." L'orientation scolaire et professionnelle. 15 juin 2012. En ligne. consulté le 31 août 2021. <http://osp.revues.org/1918>. P 2.

كيف يتم بناء التملك الاجتماعي من طرف الطلبة الجامعيين عند استخدامهم للإنترنت؟ وما هو أثر هذا التملّك في حياتهم اليومية والبيداغوجية؟

يمكن تفكيك الإشكالية إلى تساؤلات فرعية، تتمثل في:

- كيف يبني الطالب الجامعي علاقته بالإنترنت؟
- في أي سياق وفضاء يستخدم الطالب الجامعي الإنترنت؟
- ما هو أثر الإنترنت على عاداتهم الوظيفية وممارساتهم الإعلامية والثقافية والعلمية؟
- كيف يتم إدماج الإنترنت فيما هو يومي للطالب الجامعي؟
- ماهي طرق تملك الطالب الجامعي للإنترنت؟
- فيما تتجلى طقوس الاستخدام ومظاهر التملك لهذه التقنية من قبل الطالب الجامعي؟

2. أهمية الدراسة وأهدافها:

كان للثورة التكنولوجية للمعلومات الأثر الكبير على أنماط السلوك الفردي والجماعي، إذ أصبحت التكنولوجيا لصيقة بالفرد ومتغلغلة في المجتمع بشكل ما، هذا التغلغل شكّل ملمحاً بارزاً للمجتمعات الحديثة، ولقد عرف المجتمع الجزائري دخول تكنولوجيات الاعلام والاتصال في إطار عولمة يشهدها العالم، صحيح أن حيازة التكنولوجيا في المجتمع الجزائري والقدرة على الوصول إليها محدودة مقارنة بالمقاييس العالمية، لكن هذا لا يمنع من أنه يوجد قدر من الاستخدام للتكنولوجيات خاصة الإنترنت من قبل الشباب. في هذا الصدد تأتي مقاربة التملك الاجتماعي كأحد أهم تجليات هذا التيار ليُقدم تفسيرات لاستخدام التكنولوجيا من طرف الفرد والمجتمع على حدٍ سواء، إذ تحاول هذه الدراسة أن تكشف عن مدى اندماج التقنية – الإنترنت– في الحياة اليومية لمستخدميها وتحاول أيضا أن تُبرز مظاهر تملك هذه الأداة فردياً وجماعياً في وسط الشباب الجزائر، وبالتالي تتموقع الدراسة ضمن الدراسات التي تبحث في التملك الاجتماعي للإنترنت لكنها تأخذ بعين الاعتبار السياق المحلي

الجزائري وفئة الطلبة بشكل مُحدد. حيث تسعى الدراسة إلى التقاط الممارسات الثقافية والعلمية والاتصالية لطلبة جامعة الجزائر 3 أثناء استخدامهم للإنترنت واخضاعها للتحليل والتفسير لاستنباط المعاني التي يعطونها لهذه الاستخدامات من جهة، والطريقة التي يلائمون بها هذه الأداة (الإنترنت) مع حياتهم الشخصية، العلمية وحتى المهنية. تساهم هذه الدراسة في تسليط الضوء على الطقوس والممارسات في استخدام الطلبة للإنترنت من خلال الحصول على بيانات كيفية موثوقة بواسطة أداتي الملاحظة عن بعد والمقابلة.

في هذا الإطار يمكن أن نجمل الأهداف التي نتوخى تحقيقها في هذه الدراسة إلى:

- الكشف عن العلاقة السوسيوتقنية بين الطلبة الجامعيين والإنترنت؛
- معرفة إجراءات وطرق دمج الانترنت كأداة تقنية في الحياة اليومية للطالب الجامعي؛
- معرفة أثر هذا الوسيط التقني –الانترنت– في الحياة الاجتماعية للطالب الجامعي؛
- الكشف عن سيرورات تملّك الانترنت من قبل الطلبة الجامعيين؛
- معرفة مختلف السياقات والفضاءات التي تتم فيها عملية التملك للإنترنت من قبل الطلبة.

3. مجتمع البحث وعينة الدراسة:

تعتبر مرحلة تحديد مجتمع البحث من الخطوات والمراحل الهامة للبحث العلمي، والعينة هي صورة مصغّرة لمجتمع البحث، حيث يتم اختيارها بهدف تقليل الجهد وربح المال والإمكانات. وتعرف العينة على أنّها " عبارة عن مجموعة جزئية من مجتمع البحث، يتّم اختيارها بطريقة معيّنة، وإجراء الدراسة عليها، ومن ثّم استخدام تلك النتائج وتعميمها على كامل مجتمع الدراسة الأصلي"[1].

ولتحقيق أهداف البحث، فإن عيّنة الدراسة تندرج ضمن المعاينة غبر الاحتمالية، أما نوع العيّنة المناسبة للدراسة هي العيّنة القصدية، وتسمى أيضا في بعض الكتابات المنهجية العيّنة العمدية. وهي

[1] محمد عبيدات و آخرون، **البحث العلمي ، مفهومه و أدواته و أساليبه،)** ط1 ، عمان :دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ص7 .

تلك العينات الناتجة عن استخدام الأسلوب القصدي في اختيار مفرداتها بتدخل الباحث للقيام بذلك، دون ترك المجال لعاملي الصدفة أو الانتظام.[1]

كما تعرف بأنها: اختيار مقصود تبعاً لطبيعة الموضوع وأهداف البحث، إذ تتشكل مفردات العينة ممن تتوفر فيهم الشروط المحددة مسبقاً، وبالتالي فهي تخضع لاختيار كيفي من طرف الباحث[2]

وانطلاقا من موضوع بحثنا المتمثل في تملك الإنترنت من طرف الشباب، أخذنا عيّنة من طلبة جامعة الجزائر3 كنموذج في هذه الدراسة، والذين يزاولون دراستهم للعام الدراسي 2021-2022 على مستوى ثلاث كليات، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، كلية علوم الاعلام والاتصال وكلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، بالإضافة إلى معهد التربية البدنية والرياضية. لذا توجهنا مباشرة إلى أفراد العينة وهم مستخدمو الانترنت، وتتكون العينة من 24 مفردة. صغر حجم العينة يجد تبريره في المنهج الكيفي وخاصة الإثنوغرافي.

كل مفردة من مفردات العينة تتوفر على جهاز حاسوب محمول أو حاسوب مكتبي، يكون متصل بالأنترنت سواء خط ADSLأو 4G. حتى نتمكن من الملاحظة عبر الخط لكل مفردة على حدا. وبالتالي فإن مفردات العينة لها القدرة والامكانية للولوج إلى الانترنت واستخدامها بشكل مُعتاد.

ما يميز هذه العينة أن نسبة الذكور 50% ونسبة الاناث 50 %، وبالتالي فمتغير الجنس حاضر في العينة للكشف إن كانت هناك فروقات في الاستخدام والتملك بين الجنسين. سوف نتطرق للسمات الديمغرافية للعينة بالتفصيل والتحليل عند التطرق إلى الوصف الإثنوغرافي لعينة الدراسة في الجانب التطبيقي.

[1] بن مرسلي أحمد، الأسس العلمية لبحوث الاعلام والاتصال، الورسم للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2013، ص 161.

[2] علي غربي. أبجديات المنهجية في كتابة الرسائل الجامعية. جامعة منتوري قسنطبينة: منشورات مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، 2009، ص 137.

4. منهج الدراسة:

إن الهدف من دراستنا هو معرفة سيرورات التملك الاجتماعي واستخدام الإنترنت من قبل الطلبة الجامعيين في حياتهم اليومية، في هذا الصدد يأتي المنهج النوعي كمنهج أكثر ملائمة لفهم العلاقة بين المستخدم والتقنية، إذ يسمح بالكشف عن تجارب المستخدمين بكل تعقيداتها. فهو يهدف في الأساس إلى فهم الظاهرة موضوع الدراسة، وعليه ينصب الاهتمام هنا أكثر على حصر معنى الأقوال التي تم جمعها أو السلوكيات التي تمّت ملاحظتها، لهذا يركّز الباحث على دراسة الحالة أو دراسة عدد قليل من الأفراد[1]، في سياقها الذي تحدث فيه الظاهرة محل الدراسة، إذ يُعتبر السياق جزءاً من الظاهرة ذاتها، وهنا لا يقوم الباحث بأية محاولة لإدخال ضوابط تجريبية عليها أو أن يتحكم في المتغيرات الخارجية المحيطة بها. وفي هذه الدراسة سوف نعتمد على المقاربة الإثنوغرافية وما تُتيحه من أدوات وعُدّة لجمع المعلومات والمعطيات، ومرونة في التحليل، هذا الاعتماد له ما مبرراته التي سوف نسردها لاحقاً.

4.1 الإثنوغرافيا وأدواتها:

يطلق هذا المصطلح عادة على طائفة من الأعمال سواء تلك التي تقوم بملاحظة سلوك الجماعة الاجتماعية ملاحظة مباشرة، أو تلك التي تقوم على إعداد وصف مكتوب لذلك السلوك. كما يشير هذا المصطلح إلى العمل نفسه. ويقترن هذا المصطلح بشكل عام اقتراناً وثيقاً بأساليب البحث في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية. فعلماء الاجتماع عندما يقومون بدراسة مجتمع محلي فهم يقومون بالتأكيد بعمل ميداني، وتعد الملاحظة هي الأسلوب الرئيسي في البحث[2].

المقاربة الإثنوغرافية يتم تناولها كمنهج نوعي على أنها وصف منظم للسلوك البشري والثقافة السائدة في التنظيم الاجتماعي باستخدام الملاحظة بالمشاركة، و هي تستخدم الاستقراء كاستراتيجيات

[1] موريس أنجرس. منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية. المترجمون بوزيد صحراوي، كمال بوشرف و سعيد سبعون. 2. الجزائر: دار القصبة للنشر، 2006، ص 100.

[2] جوردن مارشال. *موسوعة علم الاجتماع*. المترجمون محمد الجوهي وآخرون. ط1. المجلد 1. المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 2000، ص 87.

للتحليل[1]. إذن يتحدد مفهوم الإثنوغرافيا –اكاديمياً– بأنه: الوصف الدقيق والمترابط لثقافات الجماعات الإنسانية.

وتُعّرف الإثنوغرافيا بأنها الدراسة التي تتناول بالتحليل المجموعات الإثنية العرقية في زمن معيّن لكل ما هو مادي، اجتماعي ولغوي، من خلال ملاحظة وتدوين المادة الثقافية من مجتمع البحث، ووصف النشاطات لهذه المجموعات كما تبدو في الواقع مثل: أسلوب الحياة، العادات والتقاليد، وصف البينة العائلية والاقتصادية والاجتماعية، وكذلك بنية اللغة. وبالتالي يعتمد المنهج الإثنوغرافي على الوصف والتحليل باستخدام الكلمة والعبارة عوضا عن الأرقام والجداول الإحصائية، وتتركز أهميته في كونه يقدم لنا وصفا مكثفاً Thick Description للظاهرة محل الدراسة، كما يسعى البحث الإثنوغرافي إلى الكشف عن غير المتوقع أو " المستور" من خلال دراسة الظاهرة[2].

إذا رجعنا إلى حقل الاعلام والاتصال، لقد جاءت الدراسات الثقافية كتحدي للبحوث التقليدية في دراستها للظاهرة الاتصالية، فأصبحت هذه الأخيرة تُدرس في إطار أوسع للفكر الاتصالي. بدلا من نماذج التأثير المباشر التي كانت تقوم على أساس مثير–استجابة، وإعطاء اهتمام أكبر للبناء اللغوي والفكري أكثر من مجرد تحليل المحتوى التقليدي، والتأكيد على مفهوم الترميز وفك الترميز للرسائل الإعلامية وتباين تفسيرات الجمهور، بدلا من مفهوم الجمهور الذي اتفقت عليه الدراسات التقليدية التي كانت تحت طلب المؤسسات الإذاعية و وكالات الإعلان باستعمال طريقة المسح[3]. أما البعد التجديدي للدراسات الثقافية فيتمثل في نجاحها في تشكيل فرق بحثية لمقاربة ميادين بحثية متعددة، مثل الإثنوغرافيا، الدراسات الإعلامية Media Studies، ونظريات اللغة والذاتية

[1] Chantal Charnet &Clair-Antoine Veyrier, **Virtual ethnography methodology for researching networked learning**, networked learning conference website,http://www.networkedlearningconference.org.uk/past/nlc2008/abstracts/PDFs/Charnet_32-37.pdf , Browsing date 20/11/2016, Browsing time 13:51, P32

[2] عمار بحوش. *مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث*. ط1. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص 137.

[3] مي العبدالله. *نظريات الإتصال*. بيروت: دار النهضة العربية، 2010، ص ص، 199, 200.

Subjectivity، والأدب والمجتمع، وربط هذه الأعمال بالقضايا التي أثارتها الحركات الاجتماعية في أوربا[1].

انصب الاهتمام في منتصف الثمانينات حول الاستخدامات الأسرية للتلفزيون، وأول من أهتم بهذا هو ديفيد مورلي Morley ، فقد عمق مورلي هذا الطريق (استخدام المنهج الإثنوغرافي) عندما اكتشف التفاعلات داخل الأسرة حول شاشة التلفزيون في السياق الطبيعي لتلقي المواد التلفزيونية في الفضاء العائلي، من خلال دراسته التي قام بها تحت عنوان The Nationwide Audience عام 1980، فالدراسة الإثنوغرافية تدرس الوسيلة الإعلامية أو تكنولوجيات الاتصال بذاتها، و تضعها ضمن الممارسات الثقافية والاجتماعية الأخرى التي تتدخل في تشكيل نمط الحياة[2]. ولقد توسع استعمال الإثنوغرافيا في دراسة جمهور تكنولوجيات الإعلام الجديدة، خاصة بعد تحرر المتلقي من سلطة القائم بالاتصال، وعليه أصبح المقترب الأكثر فعالية هو المقترب الإثنوغرافي من خلال الاندماج في عينة البحث. وتستمد هذه المقاربة البديلة مشروعيتها من أمور عديدة أهمها: مرونة المقاربة الإثنوغرافية ذاتها، حيث أن المنهج الإثنوغرافي في أبحاث الجمهور يستدعي الذهاب إلى الميدان كما أشرنا سابقا ومحاولة وصف وتأويل الممارسات في سياقي ثقافي خصوصي انطلاقا من الملاحظة المباشرة لنشاطات الحياة اليومية والمشاركة فيها مشاركة نشطة وتكمن أهمية هذه المقاربة في إمكانيات فهم السياق التي توفرها خاصة إمكانيات الربط بين مختلف مظاهر الظاهرة المدروسة وكذلك العامل الثاني المهم جدا ألا وهو قدرة المقاربة الإثنوغرافية على تجاوز سلبيات استعمال تقنية الاستمارة. وتم التوسع في استعمال المنهج الإثنوغرافي، الذي أملته الضرورة فلم يكن هناك معلومات ومعطيات سابقة عن هذه الظواهر الجديدة التي خلقتها تكنولوجيات الاتصال الجديدة.

ويعتمد هذا النوع من الدراسات الكيفية على أداتين هامتين لجمع المعلومات، الملاحظة والمقابلة. ويعتبر أسلوب **الملاحظة** أحد الأساليب الأولية لجمع البيانات عن السلوك غير اللفظي، وبالتالي فهة يقدم البعد الكيفي في وصف السلوك، ولا تهتم الملاحظة بالإجابة عن الأسئلة من ...؟

[1] أرمان ماتلار و ميشال ماتلار. *تاريخ نظريات الاتصال*. المترجمون نصرالدين لعياضي و الصادق رابح. المجلد 1. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005، ص 122.

[2] نصرالدين لعياضي. "أنفاس نت." 02 جويلية, 2011. 13 جويلية, 2017. <http://www.anfasse.org/>.

وماذا...؟ ولماذا...؟، وإنما تهتم بالسؤال كيف...؟ فتقدم تفسيرات للظاهرة في بعدها الكيفي.[1] وبالتالي فهي تقوم على ملاحظة سلوك الأفراد الفعلي في حالتهم الطبيعية، بناء على خطة إجرائية منظمة ترتبط بأهداف الدراسة. وتأتي **المقابلة المعمقة** كأداة مكملة للملاحظة لأنها تسمح بالاقتراب من الظاهرة أو المشكلة ومفردات البحث والتعرف عن قرب على أبعاد غير بارزة فيها. وتُعرّف على أنها ذلك التفاعل اللفظي المنظم بين الباحث والمبحوثين، إذ تسمح بالتعمق في أغوار المبحوث، لمعرفة أفكاره، آرائه، معتقداته ودوافعه من خلال الحوار المتصل والمناخ الودي الذي يعكسه نظام المقابلة، وبهذا يمكن التعرف على أبعاد جديدة في الدراسة[2].

فهي تقنية تسمح بأخذ معلومات كيفية، بهدف التعرف على مواقف الأشخاص؛ اتجاه وضعيات يعيشونها، يقول موريس انجرس:« تكون المقابلة، لاكتشاف الحوافز العميقة للأفراد أو التطرق إلى ميادين مجهولة كثيرا، أو التعرف على المعاني التي يمنحها الأشخاص للأوضاع التي يعيشونها»[3].

ولما كان يُنظر إلى التملّك على أنه بناء اجتماعي، لأنه يجمع بين التعقيد والاستخدامات المتعددة والمحتملة للتكنولوجيات الحديثة في إطار سيرورة اجتماعية وفردية، هذا التعقيد يزيد من صعوبته ومحدودية أداة البحث، في الكشف عن طبيعة وأشكال التملك للأنترنت وصيرورته. فالممارسون لا يستخدمون الأداة التكنولوجية بنفس الطريقة، هناك اختلافات فردية وجماعية حتى وإن تشابهت البيئة الاتصالية. هذا التعقيد اقتضى منا تبني المقاربة الكيفية متمثلة في المنهج الإثنوغرافي، وذلك لطبيعة البحث والاهداف المراد تحقيقها من هذه الدراسة. فهذا النوع من المناهج يتميز بالمرونة حيث يسمح للباحث بتعديل إشكالية الدراسة وإعادة صيغة الفرضيات وفق تطور ملاحظاته ومعاينته لمجتمع البحث أثناء تفاعله مع الظاهرة المدروسة. إذ ساهمت المناهج النوعية منذ عقد سبعينيّات القرن الماضي وثمانينيّاته، في فهم الاستخدامات الخاصة أو المهنية للكومبيوتر، والأتمتة المنزلية، والرسائل المتبادلة عبر التيليماتيك ... من خلال الملاحظة بالمشاركة والمجموعات البؤرية والمقابلة الموجهة أو نصف الموجهة

[1] محمد عبدالحميد. *دراسة الجمهور في بحوث الإعلام*. ط1. بيروت: دار الفكر، 1987، ص 248.

[2] نفس المرجع، ص 228.

[3] أميرة منصور. "المقابلة: رؤية منهجية في بحوث تعليماللغة العربية." مجلة الأثر ديسمبر, 2016، ص 215.

والملاحظة عن بعد المستخدمة بكثرة في دراسة حالات استخدام الإنترنت: مثل أنظمة تسجيل زيارات المواقع الإلكترونية[1].

نرى أن المنهج الإثنوغرافي هو الأنسب لهذا النوع من الدراسات. فهذا المنهج يتيح فهم استخدامات التكنولوجيا واندماجها في الحياة اليومية للمستخدمين، كما يتيح للباحث استيعاب تجارب المستخدمين بكل تعقيداتهم. الإثنوغرافيا استراتيجية بحثية تساعد على فهم سلوك وتفاعلات المستخدمين للأنترنت في سياقات محددة تحدث فيها الظاهرة. وهذا ينقلنا للحديث عن المجتمع الافتراضي، فالجماعات الافتراضية تتسم بسهولة تجمع الأشخاص والطابع النشط للأعضاء وسهولة الانضمام والانسحاب[2]، ولقد أُعتُبر المنهج الإثنوغرافي مناسبا لدراسة العلاقات الافتراضية بين مستخدمي خدمات شبكة الإنترنت، لذلك يتم العمل على إعادة تشكيل الطرق التقليدية لاستخدام المنهج الإثنوغرافي حتى تناسب الدراسات الجديدة في هذا المجال، و التحول الذي نشهده في هذا الصدد هو الانتقال من دراسة" الأماكن الحقيقية "إلى دراسة" الأماكن الافتراضية.[3] فالإثنوغرافيا على الإنترنت تُتيح عُدّة مناسبة لجمع البيانات عن المجتمعات الافتراضية، وهدفها هو النظر إلى التقديرات والتصنيفات في محاولة لكشف أسباب أعمق للسلوكيات والمشاعر، كما تحاول العثور على إجابات للسؤال" لماذا؟".

الدراسات الإثنوغرافية تناسب الرؤية النشطة لمستخدمي الإنترنت في الفضاء الافتراضي، إذ تمكّن من جمع المعطيات حول السلوكيات والمعتقدات و التمثلات الثقافية و الدوافع التأويلات الخاصة بالأفراد انطلاقا من واقعهم الفيزيائي بتفاعلاتهم و علاقاتهم بالأجهزة التقنية و الاتصالية التي

[1] إيريك ميغري. *سوسيولوجيا الاتصال والميديا*. المترجمون نصرالدين لعياضي. ط 1. المنامة: هيئة البحرين للثقافة والآثار، 2018، ص 550.

[2] الحمامي الصادق. مرجع سبق ذكره، ص 54.

[3] 1Mahmoud M. Na'amneh, Rethinking Ethnographic Practice in Anthropology: Challenges and Transformations, "Dirasat" Human and Social Sciences Magazine, Volume 36, 2009, p4.

يستخدمونها، أو انطلاقا من الواقع الافتراضي الناتج عن دخول الأفراد والجماعات في علاقات اتصالية افتراضية شبكية عن طريق استخدام وسائط الإعلام و الاتصال الجديدة[1].

كذلك، الإثنوغرافيا الافتراضية تسعى للتعرف على الثقافات الرقمية، أي ما يربط مختلف الفئات الاجتماعية في ممارساتها وتمثّلاتها للأدوات التكنولوجية[2]. في هذا الشأن تتمثّل أدوات الإثنوغرافيا الافتراضية في المقابلات الالكترونية مع المستخدمين المشاركين، أو الملاحظة المشاركة أو غير المشاركة، كما تجرى مقابلات جماعية متعمقة باستخدام الرسائل المباشرة الفورية للرد على تساؤلات الإثنوغرافيين، أو يتم تحليل البريد الالكتروني والصور والرسوم ولغة الجسد ونبرة الصوت وتعبيرات الوجه، أو تحليل طرق استخدام المشاركين لكاميرات الويب أو الفيديو[3].

كما أن الاتجاهات المنهجية السائدة في حقل الميديا الجديدة، تُبيّن نزوع الباحثين إلى المناهج الكيفية بإعتبارها سمة أساسية لحقل دراسات الإنترنت والميديا الجديدة، هذا أكدته دراسة Kim & Weaver، حيث أظهرت أن حقل الإنترنت اتسم بهيمنة الدراسات الكيفية (72.9%) على حساب الدراسات الكمية (26.7%). وفي حين استخدمت الدراسات الكمية المناهج المسحية وتحليل المضمون وتحليل المعطيات التجريبية الصادرة عن مؤسسات بحثية، فإن الدراسات الكيفية استخدمت تحليل القضايا والمسائل الفكرية وتحليل الخطاب والمقاربات الفلسفية والتاريخية والقانونية والتحليل الثقافي والمجموعات البؤرية والملاحظة[4].

فلقد استخدم الكثير من باحثي الإنترنت المنهج الإثنوغرافي لوصف المجتمعات الافتراضية، وذلك لأهميته وملائمته العملية في وصف الأفراد والجماعات وحركة التفاعل كما هي، أو كما يتبين للباحث في الوسط الاتصالي المستخدم، وبخاصة غرف الدردشة، ومن أهم أشهر الباحثين الذين استخدموا هذا

[1] علي قسايسية و عبد اللطيف بوزير، إثنوغرافيا مستخدمي الوسائط الإعلامية و الاتصالية الجديدة :رهانات البحوث الاجتماعية ، النوعية على الخط، مداخلة ألقيت في الملتقى الوطني الأول حول :وسائط الاتصال بين التلقي و الاستخدام، جامعة الجزائر3 ، يومي 10-2014/12/11، ص 101.

[2] Plantard, P. (2014). *Anthropologie des usages du numérique.* Université de Nantes, p66.

[3] ثريا أحمد البدوي. *المعالجة التنظيرية والمنهجية لمشاركة المستخدم في المجال العام الرقمي*. القاهرة: كلية الاعلام، جامعة القاهرة، 2015، ص19.

[4] الصادق، الحمامي. *الميديا الجديدة: الإبستيمولوجيا والإشكاليات والسياقات*. منوبة: المنشورات الجامعية بمنوبة، 2012، ص 30.

الأسلوب البحثي، Reid، Trukle، Rhiengold، Paym، Robin Hamman، Kerrie Michelle Smyres[1].

وهنا تأتي **الملاحظة عبر الخط** كأداة مهمة لجمع المعلومات والبيانات من المبحوثين عند استخدامهم للأنترنت، حيث يعتمد فيها الباحث على تقنية تسجيل الفيديو، حيث تتيح هذه التقنية تسجيل مقاطع فيديو لشاشة حاسوب كل مفردة أثناء استخدامها للإنترنت خلال فترات زمنية محددة، بالإضافة الى تقنية تصوير الشاشة Screen shot . هناك دراسات اعتمدت على هذه التقنية ، على سبيل المثال لا الحصر الدراسة التي قام بها Amandine Degand[2] حيث قام بدراسة تشكّل الممارسات والتمثّلات المهنية للصحفيين عبر شبكة الواب، مستخدما في ذلك التقاط الشاشة في جهاز الكومبيوتر الخاص بالصحفيين المستخدمين ثم إخضاعها للتحليل.

تُشير الأبحاث الإثنوغرافية عبر الإنترنت إلى ضرورة تعديل طرق وإعدادات الملاحظة عند العمل عبر الخط، وذلك لاختلاف الواقع الحقيقي عن الواقع الافتراضي ولعدة اعتبارات أهمها[3]:

أولاً، أن الإثنوغرافي عبر الخط لا يمكنه مراقبة الأشخاص الذين يدرسهم مباشرة، وبالتالي فإن طبيعة الملاحظة تتغير. ثانيًا، تؤدي التقنية في تسجيل الأحداث والتفاعلات في بحوث الإنترنت إلى تغيير دور الملاحظة الميدانية ومن ثمّ التأثير على صياغة التقرير والنتائج النهائية. ثالثًا، تتطلب طبيعة البيانات عبر الإنترنت على سبيل المثال، المواد النصية والمرئية بدلاً من الأشخاص الذين يتحدثون ويتصرفون، مجموعة مختلفة من المهارات لفهمها وتحليلها. رابعا، تميل الإثنوغرافيا الحالية للإنترنت إلى تفضيل الظواهر المستندة إلى النصوص على حساب الظواهر البصرية (المشاهدة التي ترصد الصوت والحركة عند الاستخدام).

[1] محمد رحومة. *علم الاجتماع الآلي: مقاربة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب*. الكويت: سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، 2008، ص 160.

[2] Degand, Amandine. Le journalisme face au web:Reconfiguration des pratiques et des représentations professionnelles dans les rédactions begles francophones. Vol. 680. de Louvain: Presses univ, 2012.

[3]Cora Garcia, Angela, et al. "Ethnographic Approaches to the Internet and Computer-Mediated Communication." *Journal of Contemporary Ethnography* 38.1 (2009): pp,57-58.

هذا ما يُعيب الملاحظة عبر الخط، أنها تتضمن مشاهدة النص والصور على شاشة الكمبيوتر بدلاً من مشاهدة الأشخاص في إعداداتهم الطبيعية غير المتصلة بالإنترنت. ومع ذلك، لا تزال البيئة التكنولوجية توفر اتصالًا مباشرًا بعالم المجتمع الذي تدرسه الإثنوغرافيا.

الأداة الثانية تتمثل في **المقابلة عبر الخط**، تُستخدم المقابلة عبر الخط، في شكل توجيه أسئلة مباشرة للمبحوثين الافتراضيين، الذين يرغب الباحث في الحصول على معلومات وبيانات معينة مهم، عن طريق استعمال غرف الدردشة مثلاً أو البريد الإلكتروني أو ما شابه من وسائل الاتصال الرقمي على الخط[1]. فالمقابلات عبر الخط تُتيح للمبحوث حرية أكثر في التعبير عن آرائه ومشاعره والشعور بالارتياح، كما أن عامل عدم الكشف عن الهوية في المقابلة عبر الخط يُخلّص المبحوث من ضغط المقابلة وجهاً لوجه. لكن تطرح المقابلة عبر الخط بعض الإشكالات التي لا يمكن تجاوزها، مثل اللاتزامنية، خاصة في المقابلات القائمة على النص والتي يكون مصدرها –مثلا– البريد الإلكتروني وغرف الدردشة، فالمبحوث له إمكانية أخذ وقت للتفكير في الأسئلة المطروحة عليه، وهذا يحد من الردود العفوية والتي بدورها قد تُؤثّر على النتائج، في هذا الشأن يمكن استخدام كاميرا الويب كأداة مفيدة لإجراء المقابلات المتزامنة عبر الخط، التي تُمكّن الباحث من مراقبة السلوكيات غير اللفظية.

ويُؤكّد بعض الباحثين على ضرورة اجراء المقابلة الميدانية مع المبحوثين، لأن المقابلة على الخط وحدها غير كافية، فهي تُمكن الباحث من التحقق من المعلومات التي جمعها عبر الإنترنت، والتحقق من هوية الأشخاص المتصلين بالإنترنت، كما أن مهارات الكتابة لا تسعفهم للتعبير عن أنفسهم بشكل جيّد، هذا ما ذهبت إليه Sherry Turkle في دراستها بعنوان Life on the Screen: Identity in the Age of the Internet، حيث استخدمت كلتا الطريقتين[2].

وعليه لفهم أكثر عمق للعلاقة بين الطلبة الجامعيين واستخداماتهم للأنترنت في البيئة الرقمية (وهو موضوع دراستنا)، كان من المهم اعتماد ملاحظة إثنوغرافية متعددة المزايا، توفر أثناء استخدام الطلبة لأجهزة الحاسوب المتصلة بالإنترنت نظرة ثاقبة لنشاطاتهم، حيث تكون شاشات الحواسيب

[1] محمد رحومة. مرجع سبق ذكره، ص 168.

[2]Cora Garcia, Ibid, p 67.

الخاصة بهم مسرحا لهذه النشاطات. اما المقابلات المعمقة مع أفراد العينة فهي تُتيح تحليل العلاقة بين تمثلات واستخدامات الطلبة للإنترنت وبين حياتهم الجامعية واليومية. وبالتالي فالاعتماد على المنهج الإثنوغرافي ، جعل من الممكن النظر إلى عدة مستويات في الاستخدامات الرقمية والأنشطة التي قد يتملكها الطلاب وهذا ما سوف نُبينه في الخطوات الإجرائية لمنهجية البحث.

4.2–الخطوات الإجرائية:

يقتضي البحث الإثنوغرافي عملية سرد لأهم الخطوات الإجرائية التي قام الباحث بإتباعها. في هذه الدراسة سوف نستعرض أهم هذه الخطوات التي قمنا بإتباعها، بدءاً من جمع المعلومات والبيانات مروراً بالجانب الأخلاقي الذي لا يمكن تجاهله في هذا النوع من الدراسات، وانتهاء بعملية التحليل والتفسير.

- 1.2.4جمع المعطيات:

بداية، من الصعب ملاحظة الحياة اليومية للفرد التي تتخللها العلاقات الاجتماعية والحميمة ورموز الاتصال وتأكيد الهويات في البيئة الرقمية، باستخدام الأدوات التقليدية في العلوم الاجتماعية مثل المقابلة والملاحظة والسجل اليومي...إلخ. إذ كان لابد من تكييف هذه الأدوات مع الخصائص الجديدة للبيئة الرقمية والمعلومات العديدة والمتنوعة الملتقطة من هذه البيئة. فالباحثون المهتمون بالممارسات الرقمية يجدون أنفسهم مكبلون بمحدودية الأدوات الكلاسيكية في جمع البيانات والمعطيات، هذه المقاربة الكلاسيكية توفر بعض الإجابات، لكن لا تسمح بفهم مفصل ومعمق للبيئة الرقمية، فالفرد عندما يستخدم الإنترنت فهو لا يقوم بنشاط واحد يمكن ملاحظته، بل يتعدى ذلك إلى قيامه بعدة مهام على الشاشة في وقت واحد، هذا يسمى بتعدد المهام Le multitâche، وكل ذلك يتطلب وسيلة اتصال واحدة، مثل كومبيوتر مكتبي أو محمول، هاتف ذكي، جهاز لوحي. فالمستخدم له القدرة على استخدام عدة تطبيقات معاً، مثل برنامج معالجة النصوص ومتصفح الإنترنت، هذه الأخير أيضا يُتيح إمكانية فتح العديد من علامات التبويب وزيارة عدة مواقع: تتبع رسائل البريد، التحقق من الملف الشخصي على مواقع التواصل الاجتماعي، متابعة الأخبار، الاستماع للموسيقى...إلخ، كل ذلك في نفس الوقت وبضع دقائق.

ومن أجل المضي قُدماً في جمع البيانات قمنا بتصميم أداة منهجية رقمية تُمكننا من إجراء إثنوغرافيا حقيقة لكائن متصل، باستخدام برامج تسجيل البيانات لمراقبة الأنشطة المرتبطة بشاشة الكومبيوتر سواء الثابت أو المحول حسب كل مفردة من مفردات العينة.

بعد تحديدنا للعينة وفق الشروط التي تتطلبها الدراسة (راجع مجتمع البحث وعينة الدراسة)، كان لزاماً علينا الاستعانة بالبرامج التي تسمح لنا بالملاحظة عبر الخط، ففي المجال البحثي تُتيح التكنولوجيا وشبكة الإنترنت ترسانة من البرمجيات التي تساعد في جمع البيانات والمعطيات، فحسب Richard Rogers فإن هذه الترسانة تسمح بدراسة شبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي من أجل فهم تطور المجتمع والثقافة والاعلام في العالم الواقعي وليس الافتراضي[1]. في هذا الصدد قمنا بالاستعانة ببرنامج TeamViewer[2] (الملحق رقم01)، وتثبيت البرنامج في كل جهاز كومبيوتر شخصي، سواء محمول أو مكتبي لكل مفردة من العينة، حتى نتمكن من جمع البيانات والمعطيات عن بعد. حيث يكون لكل مستخدم والجهاز بالضرورة رقم تعريف خاص به ID، يمكننا هذا الرقم التعريفي بالولوج إلى جهاز المبحوث عن بعد والقيام بجمع المعلومات من خلال شاشة كل مستخدم.

قمنا بملاحظة استخدامات المبحوثين للإنترنت عبر شاشات الكمبيوتر عن بعد، وتجنبنا هنا التأثير على الميدان الملاحظ من خلال ترك مسافة بين الباحث والمبحوثين أثناء استخدامهم للإنترنت، وبالتالي لعب الباحث دور المراقب غير المشارك، وكانت الملاحظة وفق مستويين، الأول: الملاحظة المباشرة والحية لشاشة المستخدم أثناء استخدامه للإنترنت. ثانيا: تسجيل مقاطع فيديوهات والتقاط صور لشاشات الكمبيوتر لاستدراك ما فاتنا من معلومات وبيانات، والتي حتماً سوف تساعدنا في عملية التحليل. وهذان المستويان كانا متزامنين، أي في نفس الزمن الذي كانت تجري فيه الملاحظة الحية عبر الخط كان هناك تسجيل لمقاطع فيديو والتقاط صور لشاشة المستخدم، ومن أجل هذا تم الاعتماد على دفتر للملاحظات

[1] نصرالدين لعياضي. "علوم الاعلام والاتصال: من التفكير بالمنهج إلى التفكير بالمنهجيات." مخلوف بوكروح، وآخرون. التفكير في منهجيات دراسة الإعلام والاتصال في المجتمع الجزائري. جامعة الجزائر 3: مخبر استخدامات وتلقي المنتجات الاعلامية والثقافية في الجزائر، 2016، ص 114.

[2] عبارة عن حزمة برامج للتحكم بجهاز الكومبيوتر عن بعد، مشاركة سطح المكتب، انشاء اجتماعات مرئية، بالإضافة إلى خدمة نقل الملفات بين الأجهزة. البرنامج يعمل على أنظمة تشغيل مايكروسوفت ويندوز، جنو/لينكس، وأندرويد. تأسست شركة TeamViewer ذات المسؤولية المحدودة سنة 2005 في مدينة Uningen بألمانيا.

(الملحق رقم02)، يُتيح تسجيل الوقائع والسلوكيات المتعلقة باستخدام الإنترنت التي ترتبط بأهداف الدراسة، وذلك لمدة ستة (6) أشهر من ديسمبر 2021 إلى غاية ماي 2022. كانت الملاحظة عبر الخط لا تتم وفق برنامج محدد مع كل مفردة، بل حسب استعداد المستخدم وموافقته القبلية لبدأ عملية الملاحظة والتسجيل للفيديوهات والصور، وذلك حرصاً منا على عدم التأثير على المستخدم أو وضعه تحت الضغط او الإكراه.

إن الفائدة المرجوة من البرنامج الذي يسمح لنا بتسجيل النشاطات التي تحدث على جهاز الحاسوب لكل مفردة من مفردات العينة، يمكن إجمالها في نقطتين:

1- الأولى: الباحث الذي يقوم بالملاحظة ليس حاضر فيزيائياً في الواقع، فالبرنامج يقوم بهذه المهمة تلقائيا بمجرد تشغيل الكومبيوتر.

2- الثانية: على مستوى جمع البيانات، تم أخذ جميع الأنشطة التي تتم على شاشة الكومبيوتر بعين الاعتبار في تحليلنا، من خلال عملية استردادها إلى برامج وتطبيقات تقوم بمعالجة هذه البيات معالجة كيفية، فاستخدمنا برنامج Nvivo لجعلها مرئية وقابلة للقراءة.

ومن أجل التعمق مع المبحوثين أكثر وملئ الفراغات التي قد تتركها الملاحظة عبر الخط، استعنا بأداة المقابلة كأداة مكملة للملاحظة عبر الخط، ، وفي هذا الصدد توفر المقابلة الميدانية كماً كبيراً من البيانات والتي تُختزل فيما بعد من أجل تحليلها[1]، فالهدف هو الحصول على بيانات كيفية وفيرة وذلك انطلاقاً من وجهة نظر أفراد العينة بالتركيز على موضوع دراستنا، فهذه الأداة تفيدنا في موضوع التملّك من خلال التركيز على المعلومات المتصلة به من قبل الطلبة.

فآثرنا القيام بالمقابلة المعمقة (الملحق رقم 03) في الميدان وتفضيلها عن المقابلة الافتراضية وذلك لعدة اعتبارات منها[2]: صعوبة التعبير لدى المبحوثين الافتراضيين، مثلما يُعبرون في الحياة الطبيعية بمختلف السبل(الكلمات، الحركات، الإيماءات ...إلخ) وهذا إلى حد ما مفقود على الخط.

ونعتقد أن سبر أغوار المبحوثين في هكذا مواضيع معقدة بطبيعتها كالتملك الاجتماعي للأنترنت يتطلب منا القيام بالمقابلة المعمقة الميدانية، والفائدة من المقابلة المعمقة هو استظهار الطقوس الاستخدام

[1] شارلين هس بيير و باتريشيا ليفي. *البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية*. المترجمون هناء الجوهري. ط1. القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2011، ص 212.

[2] محمد رحومة. مرجع سبق ذكره، ص 169.

اليومي للإنترنت، وذلك من خلال فهم البيانات الملتقطة من البرنامج المثبت على أجهزة الحاسوب (معرفة العادات والروتين اليومي وعلاقته بالإنترنت)، وبالتالي التحقق بين ما هو مصرح به وبين ما هو مسجل وملتقط في الواقع، كما تسمح المقابلة المعمقة من تحليل فترات استخدام الانترنت وفقاً لسياقات الاتصال الزمانية والمكانية للمستخدم.

قمنا بالمقابلة مع كل مفردة مباشرة بعدة فترة الملاحظة عبر الخط، وتحديدا في شهر جوان 2022، وبعد أخذ مواعيد مسبقة مع المبحوثين، كانت كلية الاعلام والاتصال وكلية العلوم السياسية هما الفضاءان اللذان تمت فيهما المقابلات (قاعات التدريس، المكتبة والفضاء المفتوح داخل الكليتين)، واعتمدنا في تصميم المقابلة على الأسئلة المفتوحة حتى نعطي المبحوث فرصة الكلام والاسترسال والارتجال، وبالتالي فإن مدة المقابلة كانت مفتوحة بقدر الحوار والنقاش وتفاعل المبحوث واستجابته، واستغرقت مدة المقابلة أحيانا الساعتين، وهي مدة كافية لبناء علاقة ودية بين الباحث والمبحوث تشجع هذا الأخير على التعبير بعفوية. كانت أسئلة المقابلة تدور حول مقاطع الفيديو وصور شاشات الكومبيوتر التي تم التقاطها، من أجل تشكيل صورة أوضح عن الاستخدامات والتملك الاجتماعي لدى المبحوثين، وهذا يُساعدنا في عملية التحليل، ولقد قامت Amandine Degand باستخدام هذا التكتيك في دراستها التي سبق الإشارة إليها سابقاً.

4.2.2– أخلاقيات البحث الإثنوغرافي:

تُعتبر المسألة الأخلاقية ذات حساسية بالغة في البحوث الإثنوغرافية، لما لها علاقة مباسرة بخصوصية المبحوثين، فيجب ألا يقع الباحث في عمل من شأنه إيذاء المبحوثين بأي شكل كان، مثلاً إزعاجهم بإجراءات البحث كالأسئلة والحوارات أو المراسلات غير المرغوب فيها، أو إجراء نوع من التجسس عليهم في خصوصياتهم، أو إحداث أي تغيير في البيئة التي يتعاملون ضمنها.... فالبحث العلمي على الشبكة، لا يعطي حقاً للباحث أن ينظر إلى المبحوثين كأشياء رقمية بل لهم مشاعر وحقوق[1].

[1] نفس المرجع، ص 154.

فالجانب الأخلاقي مطروح في هكذا نوع من البحوث المتعلقة بمراقبة المستخدمين للإنترنت، في دراستنا راعينا هذا الجانب من خلال أخذ الموافقة المسبقة من قبل أفراد العينة، وبالتالي فهم على علم بإجراءات البحث وأهدافه. كما التزمنا اخلاقياً بعدم نشر المعلومات والبيانات الخاصة بهم وإنها سوف تظل سرية. فبرنامج TeamViewer لا يُتيح لنا مراقبة شاشة المستخدم إلا بعد أن يقوم المستخدم بالضغط على زر الموافقة، عندها تبدأ عملية الملاحظة وتسجيل فيديوهات الشاشة والتقاط صور لها. وممن المهم دائماً أن نشير أن المعلومات المتعلقة بهوية المشاركين في هذه الدراسة تبقى "مجهولة وسرية"، أن كل
اسم يظهر في هذه الأطروحة هو اسم مستعار بما يسمح لنا بالاستشهاد بالمعلومات والمقولات المسجلة دون الكشف عن هوية الطالب.

3.2.4– تحليل البيانات:

إن التحليل الكيفي هو مهارة عقلية تستلزم قدراً كبيراً من المعرفة المنهجية والكفاءة الفكرية، وليس عبارة عن طريقة تشبه الطرق الواردة في كتب الطهي[1]. بداية التحليل يقتضي الوصف الدقيق والمكثّف للمواقع والتطبيقات التي يستخدمها كل مبحوث أثناء إبحاره في شبكة الإنترنت، وذلك من خلال مقاطع الفيديو المسجلة في فترة الاستخدام والصور الملتقطة لشاشة المبحوث أثناء استخدامه للإنترنت من أجل ترميزها وتصنيفها ثم تفسيرها وتأويلها، من أجل البحث عن أنماط من البيانات، أي السلوكيات المتكررة، أو الأشياء او الخطوات أو الأفكار وحتى الطقوس، والتي كلها تعتمد في تفسيرها على المقاربة المعتمدة في دراستنا وهي مقاربة التملك. من أجل ذلك قمنا بتصميم شبكة تحليل تمكننا من رصد وتدوين السلوكيات والطقوس اليومية التي تبرز مظاهر التملك الاجتماعي للإنترنت من قبل الطلبة.

ولقد قمنا أولا، **بتحضير البيانات** المستخلصة من الملاحظة عبر الخط والمقابلة الميدانية، وجعلناها في شكل قواعد للبيانات (قاعدة خاصة بالصور، وأخرى خاصة بالفيديوهات المسجلة عبر شاشات الحاسوب، وقاعدة خاصة بالنصوص المدونة في المقابلة)، وبدأنا في القراءة الدقيقة لها من أجل

[1] شارلين هس بيبر و باتريشيا ليفي. مرجع سبق ذكره ،ص 568.

تصحيح الأخطاء التي قد ترد أثناء إعداد هذه البيانات من جهة، ومن جهة أخرى استبعاد البيانات التي لا تمت بأي صلة للدراسة وأهدافها. ثم انتقلنا إلى مرحلة **ترميز البيانات وتصنيفها:** بعد قراءة البيانات النصية والبصرية واستكشافها قمنا بعملية ترميز لقاعدة البيانات، وذلك استخدام برنامج Nvivo[1] (الملحق 06)، وهو برنامج خاص بتحليل البيانات الكيفية، وتبقي القدرات العقلية والتأملية للباحث هي التي تعطي لتلك البيانات معنى من أجل إيجاد أنماط وأنساق Themes، هذا التصنيف يساعدنا على التفكير في كيفية تنظيم بيانات الدراسة داخل فئات وانماط مفهومة[2]، لها علاقة بالاستخدام والتملك الاجتماعي للإنترنت من قبل الطلبة الجامعيين، وبالتالي الإمساك بموضوع الدراسة، انتهاء بعملية **تفسير وتأويل** للنتائج ومناقشتها، وهذا ما سوف نتناوله بالتفصيل في الجانب التطبيقي.

5. تحديد المفاهيم والمصطلحات:

من أهم المفاهيم التي تتمحور حولها الدراسة نذكر:

5.1 الاستخدام:

إنّ مفهوم الاستخدام الذي ظهر في اللغة الفرنسية في القرن السابع عشر يشير منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا إلى نشاط اجتماعي تتم ملاحظته بسبب تواتره ويتمثل في استخدام شيء ما، و الاستفادة منه لغاية محّددة أو تطبيقية لتلبية حاجة ما، و في دراسات الاستخدامات فإن موضوع الاستخدام يحيل إلى الممارسة، كما يحول أيضا إلى تصرفات أو عادات أو اتجاهات[3]

[1] NVivo عبارة عن حزمة برامج تحليل بيانات نوعية (QDA) تنتجها QSR International. تم تصميمه للباحثين الذين يعملون على معلومات نوعية قائمة على النصوص و / أو الوسائط المتعددة ، حيث يتيح إجراء مستويات عميقة من التحليل على كميات صغيرة أو كبيرة من البيانات. يستخدم NVivo في الغالب من قبل الباحثين الأكاديميين والحكوميين والصحة والتجارية عبر مجموعة متنوعة من المجالات ، بما في ذلك العلوم الاجتماعية مثل الأنثروبولوجيا ، وعلم النفس ، والاتصالات ، وعلم الاجتماع ، وكذلك مجالات مثل الطب الشرعي والسياحة وعلم الإجرام والتسويق.

[2] شارلين هس بيبر و باتريشيا ليفي. *مرجع سبق ذكره* ص 687.

[3] عبد الوهاب بو خنوفة، " الأطفال و الثورة المعلوماتية، التمثل و الاستخدامات"، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، العدد2 : 20 " http://www.asbu.net/ revue.2/form.htm.تاريخ الإطلاع2012/05/

عرّف قاموس Robert de sociologie (1999) الاستخدام " L'utilisation d'un obget naturel ou symbolique, à des fins particulieres"، هو استخدام شيء م، مادي أو رمزي لأغراض خاصة. وبالتالي فالاستخدام الاجتماعي لأداة أو شيء ما، يحيل إلى تسليط الضوء على المعاني الثقافية المعقدة التي تنشأ جراء هذا الاستخدام فيما هو يومي.

يُعّد Jaques Perriault أول من تحدث عن هذا المفهوم، من خلال كتابه الذي أصدره بداية الثمانينيات والمعنون بـ منطق الاستخدام La logique d'usage، ومن ثم شكّل هذا المفهوم هاجساً بحثياً للعديد من الباحثين في تلك الفترة، وتم إقحامه في بحوث الاعلام والاتصال على مدار الثلاث عقود الماضية تحت ما يُطلق عليها دراسات الاستخدام، الذي اهتمت به العديد من التيارات البحثية، الفكرية والنظرية مثل تيار سوسيولوجيا الاستخدامات وبحوث الانتشار لتكنولوجيات الاعلام والاتصال واستخداماتها الاجتماعية [1].

ويقترح La croix تعريفا لمفهوم الاستخدام حيث يقول " :إنّ الاستخدامات الاجتماعية هي أنماط استخدام تظهر و تبرز بصورة منتظمة على نحو كاف حيث تشكل عادات مندمجة في يوميات المستخدم تفرض نفسها و ربما مقاومة الممارسات الأخرى المنافسة لها أو المرتبطة بها [2]

الباحثة Jouet هي أول من ميز بين مفهوم الاستخدام والممارسة، فالاستخدام أكثر تحديد ويحيل إلى الاستخدام البسيط، بينما الممارسة هي مفهوم أكثر جاهزية للإحاطة ليس فقط باستعمال التقنية بل يشمل السلوكيات، العادات، والتمثلات الفردية، المرتبطة مباشرة وغير مباشرة بالأداة [3].

في هذه الدراسة، مفهوم الاستخدام يُحيل إلى: ذلك الاستخدام البارز في شكل عادات وطقوس منظمة ومتكررة من قبل الطلبة الجامعيين الجزائريين عند استخدامهم للإنترنت وتطبيقاتها في ممارساتهم اليومية المرتبطة بالسياق الجامعي أو بحياتهم الاجتماعية بشكل عام.

[1] علي قسايسية و إسماعيل بن دبيلي. مرجع سبق ذكره، ص134.

[2] Jean Guy la croix, guettant Tremblay et gilles Pronovost, « la mise en place de l'offre et la formation des usages des NTIC : le cas de vidéo way et de télétel » , dans cahier de recherche sociologique , (n° : 21, 1995,p84.

[3]

5.2 التملك:

يرى الفيلسوف Mathieu Haumesser في كتابه La seconde nature، أن التملك هم نتيجة الإرادة الواعية للفرد والتي بدونها التملك لا يتحقق، فالتملك عملية مقصودة عبر التدريب والممارسة، فالفرد يغير من قواعد الاستخدام للأداة المتملكة وضبطها مع أهدافه، هذه الصيرورة تعتبر كطبيعة ثانية للفرد.

من جهتها Jouet، ترى أن التملك هو فعل آخر يُعبر عن إشكاليات الاستخدام للتكنولوجيات المنزلية والمهنية والتي نجد تحليلها في البعد الشخصي والجماعي، فالنسبة لها التملك هو Procès صيرورات البناء الذات والتي تتجسد في الهوية الشخصية والهوية الجماعية للفرد. التملك يحوز التفرد والانتماء للمجتمع[1]. فالتملك هو صيرورة فردية والذي يتجلى التعبير عنه على مستوى المجتمع. فالفرد أو الجماعة تتملك وسيلة ما من أجل تحقيق نتيجة معينة والتي تُعبّر عن حاجة ما، هذه الحاجة قد تكون اجتماعية، وبالتالي فمن الممكن أن تتغير وتتحول من خلال بناء العلاقات داخل جماعة الانتماء، فالثقافة ومعتقدات المحيط تمثل مكوناً اجتماعياً للحاجات الفردية[2].

أما Serge Proulx فيشرحه على أنه التحكم في الأداة أو الوسيلة وهو الغاية النهاية لعملية الاستخدام، وكذا الادماج الابتكاري لعناصر الثقافة الرقمية في الحياة اليومية للمستخدمين سواء أفراداً أو جماعات[3].

وفي نفس السياق، يرى نفس الباحث برولكس وجوب توفر أربعة شروط من أجل تملك تقنية ما[4]:

أ- التحكم في التقنية وإدراك للمصطنع Artefact،

[1] Jouet, Josiane. ibid, ,p 502.

[2] جوي جوزيان، نقلاً عن: سارة بوعيفي. علاقة التصو ارت الاجتماعية باستخدامات المرأة للإنترنيت. جامعة الجزائر 3: رسالة دكتوراه ل م د، 2017، ص33.

[3] Proulx, serge. «Trajectoires d'usages des technologies de communication : les formes d'appropriation d'une culture numérique comme enjeu d'une société du savoir.» Annales des télécommunications 2002: p 183.

[4] Poulx, Serge. 2005. www.sergeproulx.info (accès le mai 16, 2017).

ب- الاندماج المهم للتقنية في الممارسة اليومية للمستخدم،

ت- الاستخدام المتكرر للتقنية يتيح إمكانية الابداع وتوليد الجديد في الممارسة الاجتماعية،

ث- التملك الاجتماعي يفترض أن المستخدم يكون ممثلا بشكل كاف في عملية رسم السياسات العمومية من خلال الإنتاج الصناعي والتوزيع التجاري.

التملك يتمثل في ثلاث صيرورات، كل واحدة منها تمثل حالة من التملك. هذا ما توصلت إليه Nelly Massard[1]:

أ- الصيرورة الادراكية: المنحدرة من أعمال في علوم اللغة، علوم التربية وبيئة العمل، في هذا المستوى التملك هو صيرورة تسمح للفرد بإعادة التوازن لبنائه المعرفي بعد الاضطرابات التي تحدث في بيئته. عملية الادراك تتجلى في تكرار شروط الاستخدام ومميزاته عن طريق الحد الأدنى من التمكن المعرفي للمنظومة التقنية لإعادة الاستقرار لبيئة الاستخدام.

ب- عملية بناء المعنى: انطلاقا من أعمال سوسيولوجيا الاستخدامات وعلوم الاعلام والاتصال، وعلم الاجتماع وعلم النفس. التملك هنا هو عملية بواسطتها يستثمر الفرد المعاني والقيم في استخدام الأداة، فالمستخدم يعطي معنى للأداة، فهو يختار بين مجموعة من الإمكانيات ويبني الاستخدام الخاص به، ويختلف بناء المعنى من مستخدم إلى آخر وإن كان في نفس السياق.

ت- عملية تكوين الممارسات: التي جاءت في أعمال علوم التسيير، خاصة مقاربة Structurationnist، والتي تشرح التغييرات التي تشهدها منظومة تكنولوجيات الاعلام والاتصال، فالتملك للتكنولوجيات يؤدي إلى بروز وانتاج منظومات وهياكل جديدة ومستقرة.

أما مفهوم التملك الذي نعتمده في دراستنا: يُشير إلى أن الطلبة الجامعيين الجزائريين يقومون ببناء الاستخدامات الخاصة بهم من خلال الإدماج المبتكر جراء الاستخدام المتكرر والواعي للوسيط التقني –الإنترنت- في حياتهم اليومية في سياقات محددة.

[1] Massard, Nelly. Revisiter la notion d'appropriation : Pour une application au cas des ERP. Lyon: Université Claude Bernard, 2009.

5.3 المنظومة أو العُدّة التقنية Dispositif:

يشكل مفهوم المنظومة إطارا نظريا يسمح بفهم الممارسات الاتصالية المختلفة المرتبطة بتقنية ما، وأكثر المفاهيم في علوم الاعلام والاتصال المتعلقة بالمنظومة تعتمد على أعمال ميشال فوكو، فقد استخدم مصطلح الأدوات الذي يحيل على فكرة المنظمة أو الشبكة، فهو يشير إلى مجموع غير متناغم يتضمن الخطاب، والمؤسسات، وفنون العمارة، والقرارات التنظيمية، والقوانين، والإجراءات الإدارية، والمقولات العلمية، والمقترحات الفلسفية والأخلاقية، والأعمال الخيرية[1]. ولقد تمكنت أطروحات فوكو من التعرف إلى العدة التنظيمية التي يستثمرها الاتصال–السلطة، فالعدة فالتلفزيونية تمارس طريقة ضبط، تتمثل في طريقة تنظيم المكان /الفضاء، التجكم في الوقت، المراقبة المتواصلة للفرد، وضمان خلق سلوكيات ايجابية[2].

المنظومة هي مفهوم أساسي يرتبط ارتباطا وثيقا بتحليل صيرورات الوساطة، هذا التحليل مرتبط خاصة بالدعائم الإعلامية والتكنولوجية والعناصر المكونة لها وتفاصيلها والوضعيات الاجتماعية للفاعلين[3] .

ويرى Philippe Breton وآخرون، أن المنظومة هي تنسيق للعناصر وفق خطة من أجل تحقيق آثار وأهداف وغايات، هذه العناصر مستقرة وغير ملموسة ومطّعَمة بإجراءات وأفعال الوساطة، تتيح التبادل والارسال والانتاج[4].

ويرى الصادق الحمامي أن مفهوم المنظومة يحيل على نظام مركب تتفاعل داخله بشكل مخصوص عناصر عدة كأنظمة النشر وواجهات العرض والمضامين ونظام العلاقات والتبادل وآليات

[1] ماتلار, أرمان, مرجع سبق ذكره، ص110.

[2] نفس المرجع، ص 111.

[3] Appel, Violaine, Hélène Boulanger, et Luc Massou. Les dispositifs d'information et de communication. Concepts, usages et objets. Bruxelles: De Boeck, 2010, p 10.

[4] Breton, Philippe, Jean Caune, et Dominique Wolton. Médiations. france: CNRS EDITIONS, 2010, p154.

التموين. وهي أكثر تعقيدا وتشعبا، انها تقتضي من الاستخدام درجة عالية من التفاعل والمشاركة، كما أن المنظومة يمكن أن تشمل أكثر من وسيلة إعلامية تستخدم داخل نظام واحد يؤلفها[1].

ونقصد بمفهوم العُدّة التقنية أو المنظومة في دراستنا: هي الأنترنت كمنظومة تواصلية تحوي داخلها المدونات، منتديات الحوار، البريد الالكتروني، مواقع الشبكات الاجتماعية، مواقع الويكي Wikis، مواقع وبوابات المؤسسات الاقتصادية والحكومية، المواقع الإخبارية، بالإضافة إلى مجموع التطبيقات التي تُتيح للمستخدم القدرة على دمج وإنجاز نشاطاته الاجتماعية بواسطتها، سواء المهنية، الوظيفية أو الترفيهية...الخ.

5.4 المجتمع الافتراضي:

ظهر مصطلح المجتمع الافتراضي في صورته الإنجليزية عنواناً لكتاب هووارد راينجولد Rheingold (1993)ويعني جماعة من البشر تربطهم اهتمامات مشتركة، ولا تربطهم بالضرورة حدود جغرافيّة أو أواصر عرقيّة أو قبليّة أو سياسيّة أو دينيّة، يتفاعلون عبر وسائل الاتصال ومواقع التواصل الاجتماعي الحديثة، ويطوّرون فيما بينهم شروط الانتساب إلى الجماعة وقواعد الدخول والخروج وآليات التعامل والقواعد والأخلاقيات التي ينبغي مراعاتها. وبتعبير دي موور ووايجاند de Moor and Weigand المجتمع الافتراضي هو "نظام اجتماعي تكنولوجي".[2]

يصعب تحديد تعريف دقيق للمجتمع الافتراضي باعتباره مفهوما يتعلق بشقين الشق الأول يتعلق بالبرمجيات المستخدمة من حيث تجهيزها واستعمالها، أما الشق الثاني فيشير لمجموعة معينة من مستخدمي الانترنت، حيث يتكون هذا المجتمع حينما يكون مجموعة من الأفراد على الخط، يتشاركون في تفاعل اجتماعي رقمي بشكل ما وله خصائص تكنو –اجتماعية.

[1] الحمامي الصادق. مرجع سبق ذكره. ص 83.

[2] عبدالعالي الديربى. المجتمعات الافتراضية. 01 03, 2013.تاويخ الولوج 27 05, 2018. http://accronline.com/article_detail.aspx?id=9683>.>

إن مفهوم " المجتمع الافتراضي"، ليس من السهل الإمساك به وتحديده بالضبط، وما يثيره من إشكالات وأحيانا تعدد للمعاني، لأن هذا المفهوم هو هجين فمهمومين هما المجتمع والافتراضي، وتم فرضه من قبل السياسيين والصحفيين وخاصة التقنيين.[1]

وترى جوي أن هذا المفهوم يندرج في إطار السوسيوتقني الذي يدرس التفاعل بين الجهاز التقني وأشكال التبادل الاجتماعي، ودائما حسب جوي لكي نستطيع الإمساك بهذا المفهوم وجب ربطه بالفضاء العمومي الافتراضي، التبادلات الاقتصادية، ومسألة الهوية في المجتمعات الافتراضية وما تثيره المجهولية من اشكالات[2].

أما Serge Proulx فيعرف المجتمعات الافتراضية بأنها مجموعة من أفراد يستخدمون منتديات المحادثة وحلقات النقاش أو مجموعات الحوار حيث تنشأ بينهم علاقة انتماء إلى جماعة واحدة ويتقاسمون نفس الأذواق والقيم والاهتمامات ولهم أهداف مشتركة[3].

أما التعريف الاجرائي الذي نعتمده في هذه الدراسة للمجتمع الافتراضي هو: مجموعة الطلبة الجزائريين المستخدمين، والذين لهم تواجد مُعتاد على شبكة الانترنت يدخلون في تبادلات اجتماعية (وظيفية، مهنية، ترفيهية...) فيما بينهم، مستخدمين في ذلك أهم التطبيقات والأدوات التي تُتيحها الإنترنت.

5.5 الثقافة الرقمية

إن مفهوم الثقافة الرقمية من المفاهيم الحديثة في ساحة العلوم الاجتماعية، فهو يشير إلى المجال الذي يرتبط به (المجال الرقمي) مثله مثل الثقافة الصحية (المجال الصحي) والثقافة البيئية...وتعني هذه

[1] Serge, Proulx et Guillaume Latzko-Toth. «La virtualité comme catégorie pour penser le social: l'usage de la notion de communauté virtuelle.» Sociologie et sociétés 2000: p 99.

[2] Biochini, Estelle et Ken Lohento. De la recherche sur les usages des TIC à lq communauté virtualle: réflexions à partir d'un texte de Josaine JOUET. Paris: Séminaire GPB, 2002, p 6,7 et 8.

[3] Proulx, serge. «Communautés virtuelles : ce qui fait lien.» 2008. http://www.sergeproulx.info. 05 27 2018. <https://sergeproulx.uqam.ca/wp-content/uploads/2010/12/2008-proulx-communautes-vi-11.pdf>.

المصطلحات التمكن من مجال معين أو امتلاك الفرد للسلوكيات المعرفية التي يستطيع من خلالها التفاعل مع هذه المجالات[1].

هذا وإن تجسيد الثقافة الرقمية في وسط الشباب يكمن في المهارة التي يتمتع بها هؤلاء في استخدامهم لوسائل الاتصال الرقمي وعلى رأسها الحاسوب الموصول بشبكة الانترنت والهواتف الذكية دون أن يكون لهم تكوينا خاصا، وكذا قدرتهم على بناء علاقات افتراضية عبر مواقع التواصل الاجتماعي حيث يكون متحررا من جميع القواعد والقيود الاجتماعية. وهو الأمر الذي يبدو واضحا في الانترنت...حيث الابحار كونيا بصورة رقمية تتجاوز المحدود والمقنن والمقيد، ولا يوجد إلا القيد التكنولوجي والطقوس والقواعد الافتراضية...، يلتقون رقميا، بقواعد أكثر تحررا وطقوس جديدة ينشئونها لأنفسهم تناسب طبيعة مجتمعهم الجديد وأهدافه الرقمية[2].

لقد أصبح للشباب في ظل الثقافة الرقمية خصائص ومميزات تشير إلى قدرتهم على القيام بأكثر من مهمة في وقت واحد، من خلال قراءة صفحات الكترونية عديدة والاستماع إلى الموسيقى والتواصل مع الرفاق وفتح ملفات وكذا الانتقال من محيط معلوماتي إلى آخر، كل ذلك في وقت واحد وبشكل سريع. يتمز هؤلاء بالسرعة في ردة فعلهم في التعبير والتفاعل والتواصل خلال الدردشة. يأتي هذا ليؤكد تفوقهم ومهاراتهم في استخدام الأنترنت، وإن كان يتجه في غالبيته نحو الترفيه والتواصل[3].

وعليه يمكن اعتماد التعرف التالي في دراستنا: الثقافة الرقمية هي الحد الأدنى من المعرفة الإدراكية التي تمكّن المستخدمين – الطلبة الجامعيين الجزائريين- من استخدام بروتوكولات شبكة الانترنت وتطبيقاتها في إنجاز أعمالهم الوظيفية والشخصية، وكذا قدرتهم على التواصل والتفاعل الشبكي.

6. الدراسات السابقة:

تكمن أهمية الدراسات السابقة في إعطاء الشرعية العلمية والبحثية للدراسة المزمع إجراؤها، فهي تعتبر نقطة انطلاق يستند عليها الباحث في تطوير إشكاليته وتحديد مجتمع البحث الذي يدرسه وإبراز

[1] حسيبة لولي. "الثقافة الرقمية في وسط الشباب." مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية جوان, 2017: ص 67.

[2] محمد رحومة. مرجع سبق ذكره، ص 132.

[3] نديم منصوري. سوسيولوجيا الانترنت. ط1. بيروت: منتدى المعارف، 2014، ص37.

المناهج والأدوات البحثية التي يعالج بها موضوع دراسته. في حالتنا، تم الاطلاع على بعض الدراسات التي نعتقد أن لها علاقة بطريقة أو بأخرى بدراستنا من حيث الإشكاليات المطروحة أو من حيث المقاربات النظرية المعتمدة أو من حيث المناهج المستخدمة فيها. ومن بين هذه الدراسات نذكر:

- دراسة Florence Millerand بعنوان Appropriation du courier électronique: en tant que technologie cognitive chez enseingnants chercheurs universitaires. تملك البريد الالكتروني: كتكنولوجيا معرفية عند الباحثين الجامعيين. وقُدمت هذه الدراسة لنيل شهادة الدكتوراه PHD في الاتصال بجامعة مونتريال الكندية، قسم الإعلام، كلية الفنون والعلوم سنة 2003.

اهتمت الدراسة باستخدامات تكنولوجيات الاعلام والاتصال TIC وعلى وجه الخصوص تكنولوجيا المعرفة la cognitive de la technologie، فهي تقترح نموذجاً متجدداً في دراسة الاستخدامات والتي بدورها تهتم بالبعد المعرفي لصيرورات التملك. وانطلاقا من دراسة استخدامات البريد الالكتروني من قبل الباحثين الجامعيين تطرح الدراسة فكرة التملك والممارسة والمثاقفة المستمرة عند الباحثين. وذلك بطرح الإشكالية التالية: كيف للأستاذ الباحث الجامعي أن يتملك البريد الالكتروني؟ وفي أية مقاييس لاستخدامات هذه التقنية المعرفية يمكن لهم تطوير ثقافتهم الرقمية؟[1]

في الجانب النظري، اعتمدت الدراسة على مكتسبات سوسيولوجيا الاستخدامات، وبالأساس على الاعمال الخاصة بتملك تكنولوجيات الاعلام والاتصال، كما اعتمدت الدراسة على مقاربة انتشار المبتكرات، فتجاسر الحقول المعرفية يسمح بفهم أعمق لصيرورات الاستخدامات، وتحكم أمثل للدور الذي تلعبه الصناعات التكنولوجية.

اعتمدت الدراسة على المنهج الكيفي، الذي يناسب –حسب الباحثة– دراسة الظاهرة الاجتماعية، ومنها تملك تقنيات الاعلام والاتصال من طرف الأفراد أو المجموعات الصغيرة، وكانت الملاحظة الميدانية والمقابلات هي الأدوات التي اعتمدت عليها الباحثة في جمع المعلومات والمعطيات. وكانت العينة مكونة من 24 مفردة، مقسمة إلى 12 ذكور و12 إناث، من 6 تخصصات في العلوم

[1] Millerand, Florence, ibid,. P 23.

الإنسانية والاجتماعية و6 تخصصات في العلوم الطبيعية والمادة. فبُعد الجنوسة حاضر بالمناصفة، كما أن بُعد التخصصات حاضر من خلال حقليين معرفيين يبدو أنهما بعيدان كل البعد عن بعضهما البعض (العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الطبيعية).

وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

– وجود دلالات للاستخدام المشترك بين المستخدمين وفي نفس الوقت هناك إعادة تأويلات فردية وممارسات فردية أيضا للبريد الالكتروني تدل على أن المنظومة السوسيوتقنية مفتوحة وقابلة للتشكيل تسمح ببدائل عدة لإعادة اكتشاف المعنى.

– دلالات الاستخدام لهذه الأداة –البريد الالكتروني– تظهر من خلال فعالية إجراءات العمل إذ تساعد في ممارسة مهنة الأستاذ الباحث الجامعي.

– تلعب المكتسبات الذاتية والحرية الفردية في العمل دورا مهما في استخدام البريد الالكتروني، والذي ينظر إليه من قبل المستخدمين على أنه أداة للخدمة تحتوي الابتكارية والتنظيم، فالباحث المستخدم من خلال الممارسة اليومية عن طريق المحاولات الفردية يستهدف ضبط الاستخدام، رغم الانحرافات المسجلة في الاستخدام. فالأستاذ الجامعي ينظر إلى هذه الأداة على أنها شيء لا مفر منه، لأنها ترتبط بفكرة التقدم الاجتماعي وبالتالي لها فوائد إيجابية على الفرد والمجتمع معا.

– نتيجة أخرى وهي أنه لا يوجد فرق ظاهر بين الذكور والإناث في الاستخدام. أما في البُعد التخصصي فإن التحليل الجزئي لطرق التملك والدراسة المقارنة للاستخدامات الخاصة بالأساتذة الباحثين وفقا لأهمية التخصص (خاصة بين فيزيائي ورياضي ومتخصص في التاريخ) يبرز مؤشر الثقافات التنظيمية للتخصصات، فالباحثون في العلوم الطبيعية مقارنة بزملائهم في العلوم الاجتماعية والإنسانية والذين يحوزون ممارسات قديمة وأكثر اندماجا في المهنة، ويرجع ذلك إلى أشكال العمل التنظيمية والعلمية التي تفرض التعاون الوثيق بين الأساتذة الباحثين في التخصصات الطبيعية مثل الفيزياء، عكس ذلك، حيث استقلالية الباحث في التخصصات الاجتماعية والإنسانية مثل التاريخ. فالاستخدامات الأكثر إبداعا للبريد الإلكتروني كانت عند الأستاذة الباحثين في العلوم الطبيعية، لأنها

معنية بالاستخدامات المرتبطة بنشاطات البحث، في حين أن الأساتذة الباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية شهدوا ممارسات غير مسبوقة في العمل باستخدام البريد الالكتروني في نشاطاتهم التعلمية، إن التكيف الناجح مع الأداة من طرف المستخدم مرتبط بطبيعة العمل (جماعي أم فردي)، ومرتبطة أيضا بثقافة التبادل التي يفرضها تخصص ما.

– تلعب سياقات الاستخدام والمتمثلة أساسا في المصادر الإنسانية والتقنية المتوفرة كالعلاقات الشخصية والبنية التحتية للدعم كمحددات لصيرورة التملك، فتملك البريد الالكتروني يقتضي الاستحواذ على بعض المهارات ولو بدائية مثل التحكم في برنامج إلكتروني، وبالتالي وجوب امتلاك حد أدنى من الثقافة والمعرفة الرقمية والإلكترونية للمرور إلى مستوى التملك.

– إن استخدام البريد الالكتروني من طرف الأساتذة الجامعيين قد ساهم في تغيير ظروف ممارسة مهنة التدريس، فقد ساعدت هذه الأداة على التواصل والتفكير والتصرف بشكل مختلف، فالمستخدمون الذين امتلكوا البريد الالكتروني انعكس ذلك بشكل أساسي على المهنة من خلال تحويل ظروف العمل في بعده المكاني والزماني وأصبحت ممارسة العمل تتم عن بعد.

– تشير الدراسة إلى أن الممارسات العلمية أيضا تأثرت بهذه الأداة، فتم ملاحظة ظهور حالات عمل مشترك تساعد في انتاج المعرفة العلمية وإمكانية تداول هذه المعرفة وسهولة الوصول إليها، كما ظهرت أشكال جديدة من المؤانسة والتضامن المهني.

– لعبت حوسبة الجامعة وتطور شبكات المعلومات والاتصال دورا رئيسيا في تشكيل وتنظيم العمل وإعادة هيكلته، مما أحدث تغييرات في حقل المعرفة، ويبدو أن البريد الالكتروني هو جزء لا يتجزأ من هذه المنظومة.

- دراسة قام بها الباحث Pedro REYES GARCIA بعنوان L'appropriation d'Internet chez les visiteurs des télécentres au Chili، وهي دراسة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الاتصال، قسم الاتصال، كلية الفنون والعلوم، جامعة مونتريال 2010. الدراسة تتمحور حول تملك الانترنت من قبل زوار المراكز العامة المتصلة

بالإنترنت والتي أقامتها الحكومة التشيلية في بداية 2000م، وفق سياسة رسمية باعتبار الإنترنت أداة مهمة لتطور المجتمع ورقيّه، إذ تسمح هذه الأداة –حسب الخطاب الرسمي– لأفراد المجتمع الاستفادة من مزاياها، وتأتي هذه المراكز لتغطية عجز الولوج للإنترنت، فليس كل أفراد المجتمع لهم القدرة على الاشتراك في الإنترنت المنزلي.

تنطلق الدراسة من نقد البحوث الكمية التي تقدم معطيات وإحصائيات عن هذه المراكز ومستخدميها. حسب الدراسة فإن هذا غير كاف، إذ لا يكفي معرفة تكرار ذهاب شخص ما إلى مركز الاتصال بالإنترنت، بل لماذا يذهب إلى مركز الاتصال؟، كما أنه لا يكفي معرفة المواقع التي يزورها المستخدم، بل لماذا يزور هذه المواقع؟ وبالتالي كيف يتم ادماج الانترنت في الحياة اليومية؟ وما هي آثار هذا الادماج على المجتمع؟ للكشف عن المعاني الخفية عند استخدام التكنولوجيا.

ومن أجل تجاوز التعميمات وتسليط الضوء أكثر على ظاهرة تملك الانترنت، انتهجت الدراسة خطوات المنهج الكيفي، معتمدة في ذلك على المنهج الإثنوغرافي. إذ قام الباحث بزيارة خمس (5) مراكز للأنترنت في أربع (4) مدن مختلفة من مقاطعات الشيلي، وقام بالملاحظات الميدانية والمقابلات نصف المفتوحة مع مستخدمي ومسؤولي هذه المراكز.

توصل الباحث إلى عدة نتائج مهمة بشأن تملك الانترنت يمكن تلخيصها فيما يلي[1]:

– أن استخدام الانترنت يخضع للمستوى المعرفي من شخص إلى آخر، وبالتالي هناك مستخدمون لهم معرفة بسيطة بالإنترنت في حين هناك مستخدمون لهم قدرة على التحكم في جهاز الكمبيوتر والانترنت. إلا أنه تم رصد أفراد يستخدمون يوميا الانترنت بما تُتيحه من وظائف مختلفة، في حين هناك آخرون يستخدمون وظيفة واحدة للأنترنت، إما لجهلهم أو ليست لهم حاجة لاستخدام أدوات ووظائف أخرى في الانترنت. هذا ينقلنا إلى الحديث عن شدة استخدام الانترنت، فهي ليست مرتبطة بالضرورة دائما بالمعارف الشخصية حول التكنولوجيا.

[1] REYES GARCIA, P. ibid, p3.

– الاستخدام الأكثر ترددا في الانترنت يتمثل في: استخدام البريد الالكتروني، الدردشة، المسنجر، استخدام محركات البحث، تنزيل الأغاني والألعاب عبر الخط. هذا الاستخدام يخلق نوعاً من الحميمية مع الأصدقاء الافتراضيين.

– الانترنت هي أداة اندماج اجتماعي وديمقراطي تسمح بتساوي الفرص، والتطوير النوعي للحياة الاجتماعية للأشخاص الفقراء الذين يعيشون في الأحياء الشعبية والقرى النائية، فهي مصدر غير محدود للمعلومات وأداة اتصال أكثر فاعلية من غيرها من الوسائل (الهاتف، البريد ...).

– أصبح لمستخدمي مراكز الاتصال المحلية شعور بالانتماء لهذا الفضاء الفيزيائي، فهو مكان لالتقاء أفراد المجتمع بمختلف فئاتهم العمرية، فاستخدام الانترنت يضفي طابع الاعتراف من الأكبر سنا للشباب بتفوقهم في التحكم بالإنترنت والكومبيوتر، في نفس الوقت هناك تقدير من الشباب تجاه كبار السن لتعلمهم استخدام هذه المنظومة.

– يُميز الباحث بين نوعين من الاستخدام: استخدام منتج مثل (الاتصال بالعائلة والأصدقاء عن طريق البريد الالكتروني، البحث عن المعلومة من أجل الواجبات البيداغوجية، قراءة الصحف...)، والنوع الثاني من الاستخدام هو الاستخدام اللعوب، مثل (الدردشة مع أشخاص غير معروفين، ألعاب عن طريق الخط ...).

– ويصل الباحث إلى نتيجة مفادها أن التملك الاجتماعي للإنترنت هو صيرورة معقدة، وهو ليس تجربة فردية تتم بمعزل عن تدخل الآخرين والمجتمع.

- دراسة قام بها الباحث Moustapha Ndiaye بعنوان Approche comparative de l'appropriation de la téléphonie mobile et de l'internet dans les lieux d'accès publics des villes de Rennes et de Thiès .

ينطلق الباحث في دراسته المقارِنة من العلاقة بين التنمية وتكنولوجيات الاعلام والاتصال TIC. فلقد أطلقت الأمم المتحدة ONU برنامج الأمم المتحدة للتطوير PNUD والذي جاء

كخطاب جديد يشجع على استخدام تكنولوجيات الاعلام والاتصال لرفع تحدي التنمية القطرية، فالاقتصاد العالمي الجديد قد تأسس حول هذه التكنولوجيات وخاصة الانترنت[1]. وهذا التأسيس خلق ما يسمى الفجوة الرقمية، إذ تعمل بعض المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية مع الدول على ردم هذه الهوة. لكن –حسب الباحث– ما يؤخذ على هذه المقاربة المؤسساتية لتقليص الفجوة الرقمية انها لا تأخذ بعين الاعتبار الاختلافات الثقافية والاجتماعية. هذا من جهة ومن جهة أخرى البينية التحتية التي لا توفر خطوط الانترنت والاتصال للمستخدمين، وتبقى مقاهي الانترنت Cybercafés هي نقطة الاتصال المتوفرة في جنوب الصحراء الكبرى بإفريقيا.

لكن ما يمكن ملاحظته هو البعد الاجتماعي لهذه الأداة. يظهر في أن أعضاء الأسرة الواحدة وأعضاء العائلات المجاورة تتمحور استخداماتهم حول خط هاتفي واحد، مما يعزز علاقات الانتماء. بسبب عدم تطابق عدد خطوط الاتصال بشبكة الإنترنت والعدد الفعلي للمستخدمين. ان الاقتصار على فكرة الكم لعدد الخطوط هو كمعيار لتحقيق التنمية هو تجاهل لدور المستخدم في عملية الاتصال ولا يأخذ في الاعتبار حقيقة العلاقة بين مكان أدوات الاتصال في المجتمع والحقائق الثقافية والرمزية له. هناك دائما بصمة اجتماعية عند الاستخدام، ففي السينغال هناك رابط بين تكنولوجيا الاعلام والاتصال وقضايا الهجرة، والشركات الاقتصادية غير الرسمية، وبالتالي فاستخدام هذه التكنولوجيا في هكذا سياق يندرج ضمن ما هو اجتماعي انثروبولوجي. هذه الظاهرة تنطوي على تمثلات وسياقات اجتماعية وثقافية تمت ملاحظتها. إن تحليل ظاهرة تملك الأدوات التقنية، يمكّن من فهم طرق التفكير والتصرف الفردي والجماعي إزاء الاستخدام. فبقدر تدخل الجوانب التقنية والتكنولوجية في عملية الاستخدام هناك عوامل اجتماعية تتدخل في صياغة استخدامات تكنولوجيات المعلومات والاتصال.

وقد كشفت الملاحظة أن هناك تناقض ما بين الاستخدام الفعلي تكنولوجيات الاعلام والاتصال وتتعلق بالممارسات الخاصة بالمستخدمين وبتمثّلاتهم للتكنولوجيا، وبين ما تفرضه التقنية من بروتوكولات للاستخدام (الاستعمال)، وهذا يقودنا إلى فكرة تملك الأداة التقنية بربطها بذاته من خلال صيرورة معقّدة بين الأداة التقنية والفاعل الاجتماعي بخصوصيته، ووضعه الاجتماعي، وعالمه الرمزي.

[1] Ndiaye, M. (2008). *Approche comparative de l'appropriation de la téléphonie mobile et de l'internet dans les lieux d'accès publics des villes de Rennes et de Thiès.* Rennes: Université Rennes 2, p15.

فالتملك يطرح علاقة بين التقنية كمجموع من الخصائص والوظائف من جهة والمستخدم كفاعل له رؤيته للعالم وله خبراته وله نواياه[1].

فالدراسة تريد أن تفهم التملّك الاجتماعي للأنترنت والهاتف النقال في سياق اجتماعي معيّن. لذلك جاءت الدراسة مقارنة بين مدينة Rennes الفرنسية وThiès السينغالية. من عالمين مختلفين اجتماعياً، اقتصادياً وثقافياً. لما كانت ظاهرة التملك هي اندماج العناصر المختلفة ذات الصفات الرمزية، التقنية، الثقافية والاجتماعية، اعتمد الباحث على خطوات منهجية تمثّلت في الاستكشاف، التحقيق الأمبريقي ثم تحليل النتائج. مستخدما في ذلك الأدوات المستوحاة من تقاليد السوسيولوجيا وهي التحقيقات الكمية (الاستمارة)، وكذلك إجراءات الإثنوغرافيا (الملاحظة في عين المكان والمقابلات)، أي منهجية مختلطة.

يري الباحث أن اختيار المقاربة المقارنة للتملّك الاجتماعي للهاتف النقال والانترنت في الأماكن العامة، هو مدخل ممتاز لحصر الواقع السوسيوثقافية لمدينتي Rennes وThiès. إن تشخيص هذا الواقع السوسيوثقافي المتباين بين المدينتين له انعكاسه على أنماط وأشكال التملّك التي تم اعتماد نماذجه. فالخصائص الهوياتية تبرز وتظهر في تملّك المستخدمين لأدوات الاتصال، التمثّلات، والخصائص الشخصية للمستخدمين، والسياق السوسيوثقافي تندمج مع الأدوات التقنية لتحدد شكل ونمط التملك. البعد الرمزي حاضر في عملية الاستخدام والتاريخ الشخصي للمستخدم، تجاربه، مجموعته الاجتماعية التي ينتمي إليها، ميولاته... كلها تتدخل في صيرورات التملّك، وتضفي بعدا رمزيا على استخدام تكنولوجيات الاعلام والاتصال.

ان استخدام تكنولوجيات الاعلام والاتصال ولا سيما الهاتف النقال والانترنت ليست بمنأى عن منطق تكوين العلاقات الاجتماعية، فالتنظيم الاجتماعي ينطوي على فئات اجتماعية متنوعة تضّم أعضاء لهم قضايا مشتركة (مصالح، مواقف...)، فالبصمة الاجتماعية واضحة في الاستخدام.

[1] Ndiaye, M, op, cit, p19.

إن ظهور وسائل وأدوات جديدة للاتصال مثل الهاتف المحمول والانترنت خلق طرق جديدة للتواصل والمؤانسة مثل الدردشة والرسائل القصيرة SMS، إن تملك تقنيات الاتصال يحافظ على العلاقات الوثيقة داخل الفئة الاجتماعية الواحدة.

- الدراسة التي قام بها الباحث Emmanuel BÉCHÉ تحت عنوان Usages et représentations sociales de l'ordinateur chez les élèves dans deux lycées du Cameroun. ، وهي دراسة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في السوسيولوجيا بجامعة ياوندي بالكامرون. تبحث هذه الدراسة في كيفية تملك طلاب الثانوية العامة بياواندي (الكامرون) للكومبيوتر وإدماجه في عالمهم الاجتماعي والمعرفي اليومي، وتطرح إشكالية مفادها كيف تتشّكل الاستخدامات والتمثلات الاجتماعية لجهاز الكومبيوتر لدى هؤلاء التلاميذ؟ وماهي الطرق التي تساعدهم على تملك تكنولوجيا الكومبيوتر؟

وتطرح الدراسة فرضية عامة تتمثل في: أن الاستخدامات والتمثلات لها جوانب مشتركة لدى التلاميذ وكَون هناك اختلاف وفقاً للفئات الاجتماعية المختلفة للمبحوثين ووفق أيضا سياقات استخدام هذه التكنولوجيا (الكومبيوتر)، وبالتالي الكشف عن تملك هذه التكنولوجيا في أبعادها التقنية، الأكاديمية، الاجتماعية، المعرفية، والرمزية، هذا يعطينا تصور عن الفاعلين (التلاميذ) وما يقومون به بواسطة هذه التكنولوجيا.

اعتمدت الدراسة على المنهج الكيفي، مستخدمة المقابلة والملاحظة المباشرة على عينة طلاب حجمها 64 مفردة، تم اختيارها على أساس الجنس (32 ذكور، 32 إناث) والمستوى (32 مستوى أول، 32 مستوى ثاني) والتحكم بالكمبيوتر (32 مستواهم قوي، 32 مستواهم ضعيف)، وتمت الملاحظة في فصول الدراسة ومقاهي الإنترنت.

يمكن تلخيص نتائج الدراسة فيما يلي:

– دمج أجهزة الكمبيوتر من قِبل التلاميذ واستخدامها في الوظائف والأهداف الأكاديمية وكذلك مصالحهم الاجتماعية والشخصية كالتواصل واللعب، فهم لا يلتزمون دائماً بالمتطلبات المدرسية المؤسساتية.

– يتم استخدام الكومبيوتر من طرف التلاميذ الثانوية في فضاءات مختلفة مثل الدراسة، المنزل، مقاهي الانترنت...الخ، يأخذون القيود وفرص الاستخدام التي يوفرها كل فضاء. وبالتالي فإن فضاء الاستخدام يلعب دوراً في الطريقة التي يبني بها هؤلاء الطلاب ممارساتهم التكنولوجية.

– بالإضافة إلى الاستخدامات الأكاديمية والتواصلية التي تشكل جانباً مشتركاً لتملك الكومبيوتر من قِبل تلاميذ الثانوي، يتم تميز أيضا فروقات واختلافات في الممارسات الملاحظة وفق متغير الجنس، المستوى الدراسي والتحكم في الكومبيوتر.

- دراسة أخرى للباحث عبد الوهاب بوخنوقة بعنوان: المدرسة، التلميذ والمعلم، وتكنولوجيات الاعلام والاتصال، التمثل والاستخدامات، دراسة مقدمة لنيل أطروحة دكتوراه دولة في علوم الاعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والاعلام، جامعة الجزائر، سنة 2007.

تنطلق الدراسة من الإشكالية التالية: كيف يتمثل التلاميذ والمعلمون في الجزائر تكنولوجيات الاعلام والاتصال؟ وكيف يؤثر هذا التمثل في تملكهم واستخدامهم لهذه التكنولوجيات؟ وهل يؤدي هذا الاستخدام في تغيير تمثل التلاميذ والمعلمين في الجزائر للمدرسة ولوظيفتها التربوية والاجتماعية؟

وللإجابة على هذه الإشكالية تبنت الدراسة مقاربة التمثل والامتلاك والاستخدام الاجتماعي لدراسة العلاقة الصرفة التي تربط المستخدم بالأداة التقنية لتوسيع التحليل ليشمل المكانة التي تحتلها الممارسات في أساليب الحياة اليومية للفرد[1].

استندت الدراسة على المنهج الأمبريقي وأرجع الباحث ذلك إلى طبيعة الإشكالية المطروحة والأهداف التي تسعى هذه الدراسة إلى تحقيقها، وقد استعمل الباحث عدة طرق وأدوات لجمع

[1] بوخنوقة, عبدالوهاب. المدرسة، التلميذ والمعلم، وتكنولوجيات الاعلام والاتصال. الجزائر: أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم الاعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والاعلام, 2007، ص 22.

البيانات منها: الطريقة الوثائقية (الوثائق والنصوص الصادرة عن الهيئات الرسمية) والمقابلات الاستكشافية بغية صياغة أسئلة الاستمارة، وأداة الملاحظة بالمشاركة قصد ملاحظة سلوك التلاميذ في مقاهي الانترنت، وأخيرة أداة الاستمارة والتي اعتمد عليها الباحث كأداة أساسية لجمع بيانات الدراسة.

أما فيما يخص العينة فقد اعتمدت الدراسة على عينة حصصية طبقية غير احتمالية حتى تضمن –حسب الباحث– تمثيل مختلف شرائح مجتمع البحث، المتمثل في تلاميذ ومعلمي المراحل التعليمية الثلاث في الجزائر. وجاءت عينة التلاميذ على النحو التالي: ابتدائي 90 مفردة، المتوسط 95 مفردة، الثانوي 92 مفردة، المجموع 277 مفردة منها 71% إناث و29% ذكور. أما توزيع أفراد عينة المعلمين فكانت 54 ابتدائي، 69 متوسط، 95 ثانوي، بمجموع 218 مفردة، 71% إناث و29% ذكور.

ويمكن استعراض نتائج الدراسة وفق المحاور التالية[1]:

– محور التملك: أن امتلاك التلاميذ والمعلمين لأجهزة الكومبيوتر لا يزال ضعيفا مقارنة بتلاميذ ومعلمي دول أخرى. يتضح من ذلك من خلال ارتفاع أسعار التجهيزات الحاسوبية وتكلفة الارتباط بالأنترنت، وأن النفاذ لهذه الأخير يتم من مقاهي الانترنت، وهذا لا يمكن من الاستخدام الكافي لها، فعامل الوقت والمال يلعبان دورا هاما في ذلك. والدراسة بينت أن المدرسة أيضا لا تتيح للتلاميذ والمعلمين استخدام التكنولوجيات الحديثة نظرا لعدم توفرها على التجهيزات الحاسوبية والارتباط بالأنترنت. فالدراسة تطرح مشكل الفجوة الرقمية عندما تقارن المدرسة الجزائرية بمدارس بعض الدول. وقد انعكست هذه الفجوة على الثقافة الرقمية الضعيفة للتلاميذ والمعلمين التي تتجاوز الاستخدام البسيط المتمثل في معالجة النصوص أو الرسم، أما استخدام التطبيقات المعقدة فهو مازال بعيد عن قدرات التلاميذ والمعلمين معا.

[1] بوخنوفة, عبدالوهاب. نفس المرجع، ص 25.

– محور التمثلات: توصلت الدراسة إلى إبراز تمثلات إيجابية للحاسوب واستخداماته وكذلك الانترنت لدى التلاميذ والمعلمين على حد سواء، إذ تعتبر هذه المنظومات أدوات هامة تساعد في تطوير أدائهم التعليمي واستقاء المعلومات وإنجاز الواجبات المدرسية.

– محور الاستخدامات: كشفت الدراسة عن ضعف استخدام الانترنت لدة المعلمين وبنسبة أقل لدى التلاميذ، فاستخدام الانترنت يبقى محدودا وهامشيا في الحياة اليومية وهو استخدام ظرفي نتيجة العوامل السابقة الذكر. أما استخدام الحاسوب والوسائط المتعددة فهو استخدام يمكن اعتباره استخداما يندرج ضمن الممارسات اليومية للتلاميذ والمعلمين خارج الإطار المدرسي، عكس الاستخدام في إطار العملية التعليمية فهو منعدم تماما وذلك حسب الدراسة.

تقييم للدراسات السابقة:

مكّننا الاطلاع على هذه الدراسات أن نحصر أوجه الاختلاف والاتفاق بين هذه الدراسات وعلاقتها بدراستنا في النقاط التالية:

أولاً: من حيث الموضوع وإشكاليته: كل الدراسات السابقة المعتمدة في هذه الدراسة تشترك في طرح إشكالية العلاقة بين ما هو تقني وما اجتماعي، حيث تسعى الدراسات إلى تفسير استخدام تكنولوجيات الاعلام والاتصال في حياة الأفراد والمجتمع والأثر السوسيوتقني الناجم عن هذه العلاقة، كذلك هذه الدراسات في جانبها الميداني تركّز على تكنولوجيا واحدة أو اثنتين على الأكثر مثل البريد الإلكتروني، الانترنت، جهز الكومبيوتر والهاتف النقّال، وهذا لكثرة وتنوع التكنولوجيا المنتشرة في المجتمع واستحالة الإحاطة بجميعها، حتى الفئة المستهدفة من هذه الدراسات هي جزء من المجتمع وليس كل المجتمع مثل فئة الأساتذة الباحثين، الشباب، طلاب الثانوية، تلاميذ المدرسة ومعلموهم. وهذا ما يُفسر أن هذه الدراسات تتم على المستوى الميكروسوسيولوجي.

دراستنا بدورها لن تخرج عن هذا الإطار، فهي تدرس العلاقة بين الإنترنت كتكنولوجيا فرضّت نفسها في المجتمع وبين الشباب كفئة هامة في المجتمع، خاصة فيما يتعلق بجانب التملك الاجتماعي لهذه التقنية التكنولوجيا وصيرورات بناء وتشكّل استخداماتها من طرف الشباب في حياتهم اليومية.

تختلف دراستنا عن الدراسات الأجنبية في انها تأخذ السياق المحلي الجزائري كعامل أساسي بعين الاعتبار، رغم وجود دراسة جزائرية ضمن الدراسات السابقة إلا أن النتائج المتوصل إليها فيما يخص محور التملك للدراسة المذكورة ليس لها علاقة بتملك تكنولوجيا الإنترنت والكومبيوتر لأنها تخلط بين التملك الاجتماعي لتكنولوجيا ما ومجرد الحيازة المادية لها وهناك فرق بينها.

ثانياً: من حيث المقاربة النظرية: جميع الدراسات اتخذت من تيار سوسيولوجيا الاستخدامات مدخلاً لها، فاعتمدت على عدة مقاربات منها مقاربة الانتشار والابتكار، مقاربة التمثلات ومقاربة التملك. دراستنا سوف تستعين بهذا الإرث النظري في مقاربة موضوع تملك الشباب للأنترنت، وتحاول أن تركّز على مقاربة التملك الاجتماعي. أيضا هذه الدراسات تتقاطع نظريا مع دراستنا، فبعض من هذه الدراسات تناولت متغير الإنترنت ومتغير الشباب ومحاولة مقاربة هذه العلاقة من حيث الاستخدام والتملك.

ثالثاً: من حيث المنهجية وأدوات الدراسة: اختلفت الدراسات السابقة المعتمدة فيما بينها من حيث المنهج المستخدم، ثلاث دراسات اعتمدت المنهج الكيفي وبالأساس المنهج الإثنوغرافي، ودراستان اعتمدتا على المنهج الكمي، في نظرنا أن استخدام المنهج الكمي في مقاربة هكذا مواضيع ينعكس سلباً على النتائج المتوصل إليها، إذ لا تعدُ أن تكون محاولة لملامسة سطح ظاهرة هي بالأساس معقّدة تتمثل في استخدام وتملك تكنولوجيات الاعلام والاتصال.

تتلاقى دراستنا مع بعض تلك الدراسات التي استخدمت المنهج الإثنوغرافي الذي نراه مناسباً كما تم تبيان ذلك سابقاً، وتم توظيف أداتين لجمع المعطيات والبيانات هما الملاحظة والمقابلة، لكن ما يُميّز داستنا أنها اعتمدت على الملاحظة عبر الخط عكس الدراسات السالفة الذكر التي اعتمدت على الملاحظة الفيزيقية أي حضور الباحث الجسدي مع المبحوثين، وهذه الميزة أملتها ظروف الدراسة.

الفصل الثاني

مقاربات سوسيولوجيا الاستخدامات

والتملّك الاجتماعي

الفصل الثاني: مقاربة سيسيولوجيا الاستخدامات والتملك الاجتماعي

المبحث الأول: نشأة وتطور مقاربات الاستخدامات

المبحث الثاني: مقاربة التملّك الاجتماعي: السيرروات والسياقات

الفصل الثاني: مقاربة سيسيولوجيا الاستخدامات والتملك الاجتماعي

سوف نتعرض في هذا الفصل إلى المقاربة النظرية المستخدمة في دراستنا، وهي مقاربة التملك الاجتماعي، ولكن قبل ذلك وجب وضع هذه المقاربة في إطارها العام وهو سوسيولوجيا الاستخدامات، حيث سوف نتطرق إلى نشأة هذا الحقل المعرفي وتطوره، ومن ثم إلى اهم المقاربات النظرية التي تمثله، مقاربة الانتشار، مقاربة التمثلات الاجتماعية، وأخيراً مقاربة التملك الاجتماعي للتكنولوجيا والتي سوف تكون محور دراستنا، ولقد تناولناها بالتفصيل في هذا الفصل، وركّزنا على المفهوم والشروط والسيرورات والعوامل المرتبطة بهاته المقاربة.

المبحث الأول: نشأة وتطور مقاربات الاستخدامات

في هذا المحور سوف نتطرق إلى تطور ونشأة دراسات الاستخدام للتكنولوجيا، ثم نناقش مفهوم الاستخدام، و سيرورات تكّون وتشكّل الاستخدام، ثم نختم بالمقاربات المختلفة للاستخدامات.

المطلب الأول: نشأة دراسات سوسيولوجيا الاستخدامات

قام الباحثون والدارسون في حقل الاتصال بتحقيق منعرج معرفي في دراسات التأثير لوسائل الإعلام. فالتحقيقات الأمبريقية تخلت عن التوجه الذي يركّز على وسائل الاعلام بدل الجمهور[1]، وأدى هذا إلى ظهور بُعد آخر لبحوث الإعلام، تمثل في مقترب الاستخدامات والإشباعات، والذي عرف تطوراً كبيراً نتيجة تراكم البحوث الميدانية والدراسات الأمبريقية منذ أربعينيات القرن الماضي. هذا التوجه الوظيفي اهتم باستقلالية المستهلكين وعقلانية سلوكياتهم.

ساهم تيار الاستخدامات والإشباعات Usages et gratifications في الولايات المتحدة الأمريكية، والذي طُور على يد كاتز وآخرون في سبعينيات القرن الماضي، في الانتقال من براديغم الآثار المباشرة " ماذا تفعل مسائل الاعلام في الجمهور؟" إلى التأثير المحدود " ماذا يفعل الأفراد بوسائل الاعلام؟" [2].

[1] Breton, Philippe et Serge Proulx. L'explosion de la communication à l'aube du xxie siècle. Montréal: Les Éditions du Boréal, 2002, p 34.

[2] Jouet, Josiane. ibid: p 493.

فالفرد يتحاور مع الوسائط على ضوء حاجات يتم إعتبارها سابقة الوجود...حيث يتم مقابلتها مع الوسائط الجديرة بتلبيتها[1]. ولقد لخّص إليهو كاتز Eliho Katz هذا المقترب في أن المتلقي عنصر فعّال وهذا يعني أنه جزء هام من استخدام وسائل الإعلام والاتصال إذ يفترض بأنه المستهدف. وهكذا فإن استخدام المتلقي لوسائل الإعلام والاتصال يمكن تفسيره كاستجابة منه للحاجة التي يستشعرها، ويتوقع المتلقي أن ينال من خلال سلوكه في استعمال وسائل الإعلام والاتصال بعضاً من أشكال إرضاء الحاجة لديه مثل الحاجة إلى الاسترخاء وإلى قضاء وقت الفراغ وإلى الترفيه[2]. مع هذا التيار تطور مفهوم الجمهور النشط، ولكن الدراسات الثقافية ودراسات التلقي، هي التي ستحدد العمق الاجتماعي للاستخدام، لأن التلقي يأتي كنشاط مُعقّد مُثقل بتراكمات ثقافية التي تؤدي إلى بناء شخصي للمعنى[3].

وفي ظّل عقلنة الإنتاج المتزايد المعتمد على المعرفة، برزت ضرورة وجدوى معرفة الجانب الآخر من العملية وهو الاستهلاك والمستهلك، إذ يرى كل من أرمان وميشال ماتلار أن المستهلك أصبح موضوعاً للبحث من خلال أن الفعل–المعرفة الذي يتناول الفرد يبحث عن تفكيك حركاته بوصفه مستهلكاً أكثر من بحثه عن حاجياته ورغباته. وفي نفس الصدد يرى نفس الباحثان أنه إذا كانت الاستخدامات والإشباعات تركّز على الجوانب النفسية لمستخدم وسائل الإعلام والاتصال لإشباع حاجاته ورغباته، فإن تيار سوسيولوجيا الاستخدامات في الحقل الفرنكفوني يركز على الطابع الاجتماعي الذي يُميّز استخدام أدوات الاتصال، ولقد اهتم الباحثون بدور الوسيط والتفاعل في البناء الاجتماعي للموضوع التقني[4]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا تكفي المقاربات التقليدية مثل الاستخدامات والإشباعات بافتراضاتها، لفهم طبيعة الاستخدام الاجتماعي لتكنولوجيا الإعلام والاتصال، بل ظهرت مقاربات جديدة تحاول سبر أغوار فعل الاستخدام هذا، بدءاً من عملية تصوره الذهنية وهو ما يطلق عليه التمثلات، إلى التملك أي طبيعة ودرجة إدماج هذه التكنولوجيا ضمن أنشطة الحياة المختلفة[5]. هنا تأتي الأفكار التي طرحها ميشال دوسارتو

[1] بيرنار ميج. *الفكر الاتصالي*. المترجمون أحمد القصوار. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2011، ص28.

[2] مي العبدالله. مرجع *سبق* ذكره، ص ص 280،281.

[3] Jouet, Josiane. «Retour critique sur la sociologie des usages.» Réseaux 2000: p494.

[4] أرمان ماتلار و ميشال ماتلار. *تاريخ نظريات الاتصال*. المترجمون نصرالدين لعياضي و الصادق رابح. المجلد 1. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005، ص170.

[5] احمد عبدلي. "الاستخدام الاجتماعي لتكنولوجيا الاتصال الانترنت نموذجا: مقاربة نظرية." *مجلة العلوم الاجتماعية* 3.6 (2014): 51-64، ص 59.

خاصة في كتابه " ابتكار الحياة اليومية/ فنون الأداء العملي" لتُؤسس لإشكاليات سوسيولوجية تتمحور حول الابتكارات اليومية من خلال الاستخدامات الثقافية للناس البسطاء، فهو ليسوا مستخدمين سلبيين، بل مبتكرون من خلال جملة من الحيل والتكتيكات في تعاملهم مع المنتجات المفروضة عليهم، فهم يقومون بالتحرر من هذه القيود المفروضة عليهم. فالمستهلك عندما يستخدم هذه المنتجات فهو يبتكر الحياة اليومية الخاصة به.

يعود تطور سوسيولوجيا الاستخدامات إلى الدراسات التي عُنيت بأدوات تكنولوجيات الاعلام والاتصال، ولقد مكّنت الاستقلالية العلمية من تحليل النتائج ونشرها، والتي جاءت عكس توقعات التقنيين وبالتالي رفض وجهة نظر التقنية لصالح الدور النشط للمستخدم في تشكيل استخدامات التكنولوجيا. فقد اهتم علماء اجتماع الأسرة، وأنماط الحياة، والعمل، وعلماء السياسة بتنوع وتباين الابتكار الاجتماعي الذي يسبق وصول الحوسبة والتليماتيك، فإن الدراسات الأولى للاستخدامات تمت من قبل باحثين في المجالات المذكورة آنفاً والتي تبحث عن كيفية تناسب تكنولوجيات الإعلام والاتصال مع ديناميكيات الممارسات الذاتية[1].

إن سوسيولوجيا الاستخدامات تأتي كحقل معرفي تتجاسر فيه العديد من التخصصات العلمية. في هذا الشأن يجمع الباحثون في هذا الاتجاه على أن تكنولوجيات الاعلام والاتصال حقل بحثي مخصوص يتسم بتوظيفه لكل المكتسبات المعرفية للعلوم، ليمثل مزيجاً من عدّة استراتيجيات بحثية، ذلك أن الوسائط الجديدة متعددة الأبعاد تقتضي اختصاصات متنوعة من علوم الكومبيوتر مروراً بعلم الاجتماع والاقتصاد والأنثروبولوجيا[2]، إذ يأتي مفهوم Domestication أي إدماج التكنولوجيا في الفضاء المنزلي للأسرة من الأنثروبولوجيا ودراسات ظاهرة الاستهلاك والدراسات الإعلامية التي تأخذ في الاعتبار السياقات التي تستخدم فيها تكنولوجيات الاعلام والاتصال. ويأتي هذا المفهوم الذي ظهر في تسعينيات القرن الماضي لمحاولة تفسير تملك واستخدام التكنولوجيات المنزلية من قِبل مستخدميها، وفهم كيف يمكن للتقنيات والابتكارات أن تُكّون جمهوراً لها، أي رصد الاستخدامات وفهم ما تمثله التكنولوجيا للفاعلين في حياتهم[3].

[1] Jouet, Josiane. «Retour critique sur la sociologie des usages.» Réseaux 2000: p 495.

[2] الصادق الحمامي، مرجع سبق ذكره: ص 27.

[3] Lewkowicz, Myriam. s.d. https://www.cairn.info/revue-realites-industrielles-2017-2-page-33.htm.

وهذا ما أكّد عليه Pierre Chambat: أن سوسيولوجيا الاستخدام، هي ليست تخصص فرعي من علم الاجتماع، بمعنى يندرج تحت تخصص علم الاجتماع، بل هو حقل معرفي علمي ناتج عن التقاء أو تقاطع ثلاثة تخصصات هي: علم اجتماع التقنية، علم اجتماع الاتصال وعلم اجتماع أنماط الحياة. هذه التخصصات في تقاطعها تشكل سوسيولوجيا الاستخدامات[1]. وتضيف جوي أنه تم الاستعانة تخصصات أخرى لدراسة صيرورات الاستخدام من قبيل الإثنوميتودولوجيا، السوسيولوجيا النفعية وسوسيولوجيا اللسانيات.

ولقد قام باحثو سوسيولوجيا الاستخدامات في فرنسا في الثمانينات من القرن الماضي إلى دراسة العلاقة التبادلية ما بين الابتكار التقني والابتكار الاجتماعي، والذي يُعدّ أحد المحاور الرئيسة لسوسيولوجيا الاستخدامات، إذ أن دراسة التفاعل بين الفرد والتقنية يكتسي أهمية بالغة. ولقد كانت الدراسات الأولى للتليماتيك كوسيط تهدف إلى بناء مصفوفة Matrice تحليلية للروابط الفردية والاجتماعية جراء الاستخدام الاجتماعي للتليماتيك وتملكه[2]. هذه الدراسات جاءت في سياق تحولات شهدها المجتمع الفرنسي في نهاية ستينيات القرن الماضي، على مستوى الأسرة والعمل وعالم الترفيه، وبروز للنزعة الفردية والإرادة الحرة وبالتالي التحرر من الأشكال المختلفة للهيمنة، أدى إلى اهتزاز وتغيير في المؤسسات التقليدية مثل: الطبقات الاجتماعية، المؤسسة الدينية، النقابات العمالية، المؤسسات التربوية، وفي مجال الصحة والأسرة. بالإضافة إلى تآكل الأيديولوجيا، كلها عوامل أدّت إلى تغيير مصحوب بممارسات اجتماعية غير مسبوقة. وهذا ما يُؤكّده بيار ميج إلى أن الأعمال التي وجّهت الأنظار نحو المستعملين–المستهلكين تسعى إلى توضيح تعقيد الاندماج الاجتماعي للتقنيات وعلاقتها الوثيقة مع مجموع الممارسات الاجتماعية والثقافية[3].

[1] Biochini, Estelle et Ken Lohento. De la recherche sur les usages des TIC à la communauté virtualle: réflexions à partir d'un texte de Josaine JOUET. Paris: Séminaire GPB, 2002, p2.

[2] JOUËT, Josiane. «Des usages de la télématique aux!Internet Studies.» Denouël, Julie et Fabien Granjon. Des usages sociaux des technologies numériques d'information et de communication. Paris: Presses des mines, 2011, 52.

[3] بيرنار ميج. *الفكر الاتصالي*. مرجع سبق ذكره، ص59.

هكذا تقع سوسيولوجيا الاستخدامات على هامش الخطابات التفاؤلية والتشاؤمية لأنها تقوم بالملاحظة التجريبية للممارسات الاجتماعية المعيشة. ومن هذا المنطلق فهي تعطينا رؤية رصينة للميديا الجديدة، إذ يقوم مشروعها على فهم الاستخدامات في إطار العالم الاجتماعي واليومي الذي تتشكّل داخله.[1]

1. مفهوم الاستخدام:

إن مفهوم الاستخدام يشمل معانٍ متعددة، يمكن توزيع هذه المعاني على طول السلسلة المتواصلة من الاستعمال البسيط إلى التملك مروراً بالاستخدام والممارسة[2]. ووفقاً لسياق التحليل والأطر النظرية المعتمدة فإن مفهوم الاستخدام يتراوح ما بين قطبين، قطب التبني (الشراء، الاستهلاك، الطلب الاجتماعي للعرض الصناعي) وقطب التملك[3]. فمنذ الدراسات الأولى للاستخدامات التكنولوجية، فإن مفهوم الاستخدام لا يقتصر على الاستعمال البسيط للتكنولوجيا، بل يشير إلى سيرورة تأخذ في الاعتبار السياق الشخصي والاجتماعي، يرى Chambat أنه لا يمكن اختزال الاستخدام فقط في مستخدم يواجه آلة[4]. فالعلاقة بالتقنية ليست علاقة آلية محضة، بل عناك بعد إجتماعي[5].

بل إن مفهوم الاستخدام ينطوي على التفاعل، الحوار بين الانسان والآلة، المواجهة ، كلها تؤدي إلى مشاركة نشطة ومنتجة للمستخدم، هذا ما تؤكّده جوي، أن التقنيات الجديدة تدشن لطرائق جديدة للاستهلاك والتي تدور حول الخصائص التقنية لهذه الآلات، و أن هذا الاستهلاك يعتمد على وساطة الآلة. هذه الوساطة تسمح بتنفيذ مشاريع ذات استقلالية شخصية مُدعمة بنزعة فردانية.

[1] الصادق الحمامي. مرجع سبق ذكره، ص 39 و40.

[2] CHAMBAT, Pierre. «Usages des technologies de l'information et de la communication.» Technologies et Société 6.3 (1994): p 249.

[3] Breton, Philippe et Serge Proulx. ibid. P 255.

[4] CHAMBAT, Pierre.. ibid: p 261.

[5] Bourdeloie, Hélène. Retour sur quelques notions-clé de la sociologies des usages des TIC. consolté le 15 08 2018. <https://docplayer.fr/46371566-Retour-sur-quelques-notions-cle-de-la-sociologies-des-usages-des-tic-le-cas-des-cederoms-de-musee.html>.

كما أن تطور الاستخدامات الاجتماعية لا يكون بين عشية وضحاها وفقاً للاكروا وآخرين، لأن التكنولوجيا تأخذ وقتاً لاستقرارها وهذا ينعكس على تكّون الاستخدامات. وعليه يمكن اعتبار استعمالات التكنولوجيا Utilisations مساهمات في عملية تكوين الاستخدامات، فالاستعمال سابق على الاستخدام.

في حين يذهب كل من بروتون وبرولكس إلى وجوب التفريق بين الاستخدام Usage والممارسة Pratique، فمفهوم الممارسة أوسع من الاستخدام، ويشمل مختلف مجالات نشاط الأفراد (العمل، الترفيه، الاستهلاك) على سبيل المثال قد يكون الاستهلاك ممارسة، مثلاً يمكن للشخص أن يستخدم جهازاً فنياً معيناً لشراء منتج عن بعد، في هذه الحالة يتم تحقيق الاستخدام في إطار ممارسة الاستهلاك. هذا ما يُؤكده Chambat عندما يربط بين الاستخدام والاستهلاك، إذ يرى أن المستخدم ليس مجرد مستهلك سلبي للمنتوجات والخدمات التي تعرض عليه بل هو فاعل Acteur [1]. بمعنى أن الاستهلاك يأتي كجزء من الاستخدام.

وفي إطار ثنائية الاستخدام/الاستهلاك، يرى ميشال دو سارتو أنه في مقابل الإنتاج العقلاني التوسعي والمركزي، هناك انتاج آخر يُنعت بـ الاستهلاك Consommation، حيث أن المستهلك الثقافي Consomateur Culturel يستخدم المنتجات والمواد التي يفرضها نظام اقتصادي مهيمن من خلال التلاعب بها واخضاعها لقوانينه الخاصة[2]، ويصف دوسارتو مفارقة انتاج المستهلكين بالإبداع اليومي La créativité quotidienne. إن إعادة تأهيل الدور النشط للجمهور في البحوث – بداية من الثمانينات– يدين بالتأكيد لدو سارتو في عمله *ابتكار الحياة اليومية*، رغم أنه لا يستخدم مصطلح مستخدم للشخص الذي يستخدم وسائل الاعلام، لكنه يستخدم مصطلح الاستخدامات الذي يُشير إلى *طرق الأداء العملي*، وهذا المستهلك/المستخدم الذي قبض عليه دو سارتو ليس سلبياً بل نشط ويصنع Fabrique معنى.

[1] CHAMBAT, Pierre. «Usages des technologies de l'information et de la communication.» Technologies et Société 6.3 (1994): p 47.

[2] ميشال دو سارتو. ابتكار الحياة اليومية، فنون الأداء العملي. المترجمون محمد شوقي الزين. المجلد 1. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2011، ص 23.

صحيح أن السياق السوسيو- اقتصادي أعطى للمستخدم فرصاً كبيرة لاستغلال تكنولوجيات الاعلام والاتصال، لكن وفي الوقت نفسه أتاح للمصنعين من حصر هذه الممارسات للاستخدام بغرض دمجها في استراتيجيات التسويق وبهدف هيكلة مجموعات المستخدمين[1]، وبالتالي فأن المنطق الصناعي والاقتصادي يفرض نفسه على من يستخدم تكنولوجيات الإعلام والاتصال.

لكن وبالرجوع مرة أخرى إلى أعمال ميشال دوسارتو فإنها تفترض وجود مستخدم محتال يعمل لحسابه الخاص مستغلاً ثغرات المقترحات الصناعية غي تحويل الاستخدامات المحددة إلى استخدامات غير متوقعة، ووصفها بـ تكتيكات المستخدمين ضد استراتيجيات التصنيع ومنطق الانتاج، حتى ولو كان العرض الصناعي يحوي طابعاً مهيمناً على المستخدم إلا أن له القدرة على الاستقلالية لتطوير استخدامات محددة في استهلاكه واستخدامه.

ويُنبهنا كلٌ من بروتون وبرولكس أن دراسة هذه العلاقة، بين ما هو تكنولوجي وما هو اجتماعي عادة ما يتم في إطار الحتمية التكنولوجية والحتمية الاجتماعية. ويقترح الباحثان تجنب هذه الحتمية المزدوجة عند النظر إلى العلاقة بين التكنولوجيا والمجتمع من خلال إطار معرفي جديد يمكن وصفه بأنه " ملاحظة أكثر دقة ممكنة للفعل الواقعي للتقنية داخل المجتمع من خلال وصف دقيق لاستخدامات الأدوات التقنية من طرف الأشخاص، وبالتالي التوقف عن الحديث عن العواقب المحتملة للتكنولوجيا والاطلاع بدقة على ما يفعله الناس فعلياً بهذه التكنولوجيا[2].

مما تقدم، أن مفهوم الاستخدام تطور في مجتمع استهلاكي مشبع بالنزعة الفردية ضمن إطار أوسع يتمثل في الاستقلالية الاجتماعية L'Autonomie sociale خاصة في فرنسا، ضمن سياق اجتماعي، اقتصادي، ثقافي وحتى سياسي، والذي لعب دوراً في تشكيل هذا المفهوم بالإضافة إلى استراتيجيات تصنيع وابتكار تكنولوجيات الاعلام والاتصال والتي يجب أن تُؤخذ بعين الاعتبار إذا أردنا الإحاطة بمفهوم الاستخدام

[1] Paquienséguy, Françoise. «La notion d'usage est-elle stratégique pour les industries créatives ?» tic&société. Vol. 4. 2010. consulté le 02 01 2019. <http://journals.openedition.org/ticetsociete/895>.

[2] Breton, Philippe et Serge Proulx. ibid, p254.

2. تكّون الاستخدام:

وفقاً لجوي Jouët ، بناء الاستخدام يتم تدريجياً وعبر مراحل تتمثل في: التبني، الاكتشاف، التعلم، الاعتياد أو التعود لاندماج اجتماعي لتكنولوجيات الاعلام والاتصال، إن تكّون الاستخدام يحدث وفق مراحل مُلاحظة، من خلال تقليص الاستخدامات مقارنة بالتوقعات الأولية لوظائف التقنية خلال مرحلة الاكتشاف وصولاً إلى الوضعية العادية عبر دمج التقنية في الممارسات الاجتماعية. إن تشكّل الاستخدام يكون ضمن سياق تكنولوجيا موجودة من قبل، والأبحاث تُظهر أنه لا يوجد استخدام فذّ sui generis أي فريد من نوعه يظهر فجأة، بل أن تبني تكنولوجيا المعلومات والاتصالات يستند إلى أساليب وممارسات سابقة[1]. بسب عدم وجود تكنولوجيا تحل محل أخرى فوراً وفي اللحظة. هناك اعتراف متزايد بأن تكنولوجيا المعلومات والاتصال تكاملية أكثر منها إستعاضية (أي تكنولوجيا تُزيح أخرى) لدى المستهلك، فالاستخدامات موجودة بالفعل في الممارسات الاجتماعية. فجميع النشاطات التي نقوم بها، سواء عمل، خدمة أو ترفيه كلها تمرّ في وقتنا الراهن عبر التفاعل مع الأدوات الاتصالية، جماعياً من خلال المدونات، المنتديات، مواقع التواصل الاجتماعي، أو بين الأفراد مثل البريد الإلكتروني، الهاتف المحمول، غرف الدردشة ...إلخ. و حسب لاكروا فإن الاستخدامات الاجتماعية هي طرق الاستعمال المتجلية في التكرار بالقدر الكافي، في شكل عادات كافية للاندماج في ما هو يومي، لتلائم وتثبت في نطاق الممارسات الثقافية الموجودة سابقاً، أو التي تتوالد وربما تقاوم كممارسة خاصة[2].

[1]Jouët, Josiane. ibid: p500.

[2] Lacroix, J, et al. "La convergence des télécommunications et de l'audiovisuel : un renouvellement de perspective s'impose." TIS 5.1 (1992): p101.

المطلب الثاني: المقاربات النظرية للاستخدامات

عرف تطور المقاربات النظرية والمنهجية التي تعالج استخدام وسائل الاعلام والتكنولوجيا بتحول مفاهيمي مماثل للذي وُجد في علم اجتماع وسائل الاعلام، من خلال الانتقال من تحليل الآثار إلى التلقي. فبعد أن كانت الميول تجاه تحليل انتشار وسائل الاعلام والتكنولوجيا من خلال تبني وتقبّل التكنولوجيا من طرف المستخدم وبالتالي أولية التكنولوجيا التي نجمت عنها الاستخدامات، البحوث كانت مهتمة بتحليل الابتكارات التقنية كبناءات اجتماعية ودراسة تملكها من وجهة نظر المستخدمين. وبالتالي تم تحويل التركيز من التكنولوجيا الى المستخدم هذا التحول صاحبه أيضا تحول في المقاربات النظرية والمنهجية المستخدمة.

يُجمع الباحثون والدارسون في مجال سوسيولوجيا الاستخدامات أن هناك ثلاث مقاربات تدرس موضوع الاستخدامات وهي: مقاربة الانتشار، مقاربة التمثلات، ومقاربة التملك.

1. مقاربة الانتشار:

البحوث في هذه المقاربة قائمة على تحليل التبني لابتكار تكنولوجي ما في لحظة انتشاره دون الالتفات إلى مرحلة انتاجه، فالإشكالات البحثية مرتبطة من جهة بكيفية انتشار المبتكرات ومن يعتمدها من خلال تطوير نماذج سلوكية، ومن جهة أخرى، قياس الأثر لهذا التبني عبر التغيّر في الممارسات[1].

مقاربة الانتشار انبثقت من نظرية انتشار المبتكرات لصاحبها Rogers 1962، فأعماله ألهمت العديد من البحوث والتي انطلقت من تقليد أنثروبولوجي يُعرف باسم Diffusionnism وهي بدورها كانت مهتمة بتغلغل الابتكارات التكنولوجية في النسيج الثقافي وعلى الرغم من انتقادها وتعديلها، فقد كانت أعمال Rogers مفيدة في تأجيج المعرفة حول كيفية انتشار الابتكارات من خلال الشبكات الاجتماعية. ويقدم هذا النموذج إلماماً كبيراً لفهمنا لانتشار وسائل الاعلام والاتصال وتأثيرها، ويتم انتشار المبتكرات حينما تنتشر فكرة معينة من نقطة الأصل إلى المناطق الجغرافية المحيطة بها أو من شخص إلى شخص في منطقة واحدة[2].

[1] Millerand, Florence. Usages des NTIC :les approches de la diffusion, de l'innovation et de l'appropriation.» 1998. commposite.org. 21 07 2017. <http://www.commposite.org/index.php/revue/article/view/21/21>.

[2] مي العبد الله. مرجع سبق ذكره، ص 272.

تقوم نظرية انتشار المبتكرات على أربعة عناصر أساسية، أولها الابتكار Innovation وهو فكرة أو ممارسة أو سيء يُنظر على أنه جديد من قبل الفرد أو أية وحدة أخرى للتبني، وسواء كانت الفكرة الجديدة موضوعية أم لا، المهم أن تكون الفكرة جديدة على الفرد حتى تُعتبر ابتكارا. هذا الابتكار ينتقل عبر قنوات اتصالية Communication channels، يرى روجر أن الانتشار في الواقع هو نوع من الاتصال الذي يتم فيه تبادل المعلومات التي تتعلق بالأفكار الجديدة، وأن جوهر عملية الانتشار هو تبادل المعلومات بين الفرد أو جماعة التبني التي لها معرفة أو خبرة باستخدام الابتكار، وبين أولئك الذين ليس لهم بعد معرفة بهذا الابتكار، عندها تقوم القنوات الاتصالية للربط بين الطرفين. فوسائل الاعلام الجماهيرية هي الوسيلة الأكثر سرعة وكفاءة لإعلام الجمهور من المتبنين المحتملين بوجود ابتكار، أي خلق الوعي المعرفي.

إن انتشار الابتكار عبر القنوات الاتصالية يستغرق وقتاً، وهنا يأتي العنصر الثالث: الوقت Time، فالوقت عامل أساسي ومهم لانتشار المبتكرات، خاصة وأنه جزء مهم من عملية اتخاذ القرار حول الابتكار والابتكارية وتبني الابتكار في حد ذاته[1]. ويري روجر أن عملية اتخاذ قرار تبني ابتكار ما أو رفضه يخضع لعامل **الوقت**، حيث يتعرض الفرد إلى الابتكار ويتعرف عليه، ويُسمى هذا العنصر بعنصر **المعرفة**، ثم يقوم الفرد بتطوير موقف تجاه هذا الابتكار إما بالرفض أو القبول، وهنا نتحدث عن **الإقناع** ثم يأتي اتخاذ **القرار** باستخدام الابتكار، وعندئذ يقوم الفرد باختيار الاستخدام أي وضعه موضع التنفيذ واستخدام الفكرة الجديدة تنتهي العملية **بتأكيد** قرار استخدام الابتكار[2].

العنصر الرابع، يتمثل في النظام الاجتماعي الذي تتم فيه عملية الانتشار، وهو مجموعة وحدات مترابطة تساهم في حل مشكلة مشتركة للوصول لهدف مشترك. ويمكن أن تكون هذه الوحدات عبارة عن أفراد أو منظمات رسمية أو غير رسمية[3].

لكن يُؤخذ على هذا النموذج كونه ذا اتجاه أحادي؛ هذا النموذج يرى أن الذين يتبنون التكنولوجية ساكنون إزاء العرض التكنولوجي شأنهم في ذلك شأن مستهلكي وسائل الإعلام. إنهم يقبلون المبتكرات

[1] مي العبدالله. نظريات الإتصال. بيروت: دار النهضة العربية، 2010، ص273.

[2] REYES GARCIA, Pedro. ibid, p 98.

[3] Rogers, Everett. DIFFUSION OF INNOVATIONS. New York: The Free Press, 1983, p 24.

التكنولوجية أو يرفضونها. فالتكنولوجية تعتبر، في نظرهم، علبة سوداء لا يمكن أن تُعدل أو تتغير. والوسط الاجتماعي الذي يستقبل المبتكر التكنولوجي هو وحده الذي يمكن أن يتغير حتى يتقبل المبتكر التكنولوجي ويتبناه. وإذا كان التفاوت بين القيم الثقافية التي يحملها المبتكر التكنولوجي وقيم المجموعة التي تستقبله كبيرا، فإنها ترفضه بالجملة[1]. من الواضح إذن أن مقاربة الانتشار، لا تهتم بالبحث فيما يسبق، أو فيما هو سابق على عملية الانتشار .فهي تتجاهل عند التحليل تاريخ التقنية أو التقنيات، والتجديد التكنولوجي، مركزة اهتمامها على لحظة الانتشار وما تحدثه من آثار، أو تلاقيه من معوقات .وهي بذلك تنفي ولو ضمنيا، حق وقدرة المستخدم على تقبل، أو تبني تقنية أو تكنولوجيا معينة، أو رفضها، كما أنها مقاربة تركز بشكل أكبر على عملية العرض. عرض المواد والأدوات في سوق التكنولوجيا .مما يعني أن مقاربة الانتشار تعتقد في أن التكنولوجيا سلعة مثلها مثل بقية السلع التي يمكن بيعها وشراؤها في السوق، وهو ما يدعو إلى القلق، لأن التكنولوجيا ذات طبيعة خاصة، يجتمع فيها الاجتماعي، بالثقافي، بالاقتصادي، بالسياسي أو هي سلعة من نوع خاص[2].

2. مقاربة التمثلات:

يتميز مفهوم التمثل بطبيعته المعقدة على غرار باقي المفاهيم الأخرى، باعتبار تعدده الدلالي وكذا تداخله مع مفاهيم أخرى كالتصوير و التفكير و طريقة التفكير، ولذا غالبا ما تعرف بأنها مجموع العناصر المعلومية والمعرفية والإيدلوجية والمعيارية والمعتقدات والقيم الآراء والاتجاهات والتصورات، التي يبنيها الفرد حول شيء أو موقف ما، حيث تترابط هذه العناصر فيما بينها، وتعرف في علم النفس الاجتماعي (موسكوفسكيMoskovsky ، جودليت Jodleyt ،..) بأنها: «بناءات سوسيومعرفية ، معرفية لأنها محصل النشاط العقلي للفرد ، سوسيولوجية لأنها نتاج التفاعل الاجتماعي داخل الجماعة أو المجتمع»[3].

[1] باتريس فليشي. الاتصال .. تراكم الوقائع وأوهام الحتمية. المترجمون نصر الدين لعياضي. تاريخ الاطلاع11 08, 2018. <https://nlayadi.com/الكتب-المترجمة/>.

[2] فضيلة سيساوي. "قراءة في المقاربات النظرية المفسرة لاستخدام وامتلاك التكنولوجيا." *مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة* ديسمبر, 2011:ص ص 21،22.

[3] Oriane regus.Représentation des garantes roumaines su leurs usages d'internet en contexte d'immigration a Montréal. [on line] refe de 2009 , disponible surwww.archipel.uqam.ca/2784/1/D1898.pdf

وبالرغم من الاختلاف حول ماهية التمثلات فان ،معظم التعاريف المقدمة «تبرز ثلاثة جوانب ميزة ومتبادلة التبعية: جانب الاتصال، لأن التمثلات تزود الأفراد برموز أو شفرات للتبادلات ومدونات لتسمية جوانب عالمهم وتاريخهم الفردي والجماعي وترتبها بصورة متميزة ،وإعادة بناء الواقع ،لأن التمثلات ترشدنا إلى طرائق تعيين وتعريف مختلف مظاهر واقعنا اليومي ، وطرائق تفسير هذه الجوانب واتخاذ مواقف منها ، وأخيرا جانب التحكم في البيئة، أو المحيط من قبل الفاعل ، لان مجمل التمثلات أو المعارف العملية سمح لفرد بان يحدد موقعه في بيئته والتحكم فيه » ،وتتميز التمثلات بمجموعة من الخصائص أهمها[1] :

أ-أنها نشاط ذهني يتشكل في ذهن الفرد من خلال احتكاكه بمحيطه الأولي والعام، وهو نمط تفسيري يستحضره لفك رموز الواقع ومواجهة المواقف المختلفة.

ب-تختلف التمثلات التي يشكلها الأفراد للموقف الواحد أو الشيء باختلاف المتغيرات الخبرات الشخصية والتجارب التي يمرون بها وطريقة تفكيرهم وتصورهم لها.

ج-التمثل نشاط إبداعي ينطلق فيه الفرد من مجموعة من المعارف والتجارب التي تقوم بإعادة بنائها وتحويلها إلى موضوع ذهني، وهو ما يعني أن تمثلاتنا ليست مطابقة للواقع، بل هي خاضعة لتأويلاتنا الخاصة.

د-إنها طريقة عامة في تنظيم معرفتنا وفهمنا لها، انطلاقا من المعلومات التي يتلقاها الفرد من عدة مصادر كالحواس والخبرات والمعلومات، كل هذا ينظم في نسق عام ومتماسك بكيفية تسمح للفرد بفهم العالم المحيط به.

تلعب التمثلات دوراً مركزيًا في حياة الفرد والجماعة إذ هي تسمح له بالتعرف على البيئة والمسلكيات الصائبة فيها بما يمكنه من التكيف الاجتماعي والثقافي، وأهم وظائفها: وظيفة التفسير والفهم للحقائق والمواقف التي يمر بها الفرد في حياته، وهو ما يمكنه من توجيه السلوكيات والممارسات المختلفة، وتبرير المواقف والسلوكيات التي يتخذها أو يسلكها، وأخيرا تعريف وتمييز الهوية.

[1] عبد الوهاب بوخنوفة »الأطفال والثورة التكنولوجية : التمثل والاستخدامات «،الإذاعات العربية،العدد7، 2007،ص71

يندر توظيف هذا المدخل في دراسة العلاقة مع تكنولوجيا الإعلام والاتصال في بحوث والدراسات العربية بالرغم من شيوعه واتساع دائرة الاهتمام به في الدراسات الغربية ، يوفر مدخل التمثلات أرضية مهمة تعين على فهم أفضل لمجموع التغيرات التكنولوجية والمعرفية والوجدانية السلوكية ، وآليات تملكها وإدماجها في نسيج الحياة اليومية إن على مستوى طرائق التفكير أو الممارسات والأفعال ، «إن مفهوم التمثل أصبح اليوم أداة أساسية للباحث المهتم بفهم الصورة الذهنية التي يبلورها [مستخدمو تكنولوجيا الاتصال] انطلاقا من تجربتهم مع الأدوات والتجهيزات التكنولوجية والتفاعل بين هذه التمثلات للتكنولوجيات الجديدة والممارسات الفعلية لهم»[1]

3. مقاربة التملك الاجتماعي:

التملك هو أحد المحاور التي تُثير إشكاليات في الاستخدام ويجد تحليله في البعد الفردي والجماعي، فالتملك هو إجراء أو فعل بناء الذات، ودحضاً لبراديغم الحتمية التقنية لم يعد المستخدم مجرد مستهلك سلبي للمنتجات والخدمات المقدمة له، بل يأتي كفاعل يعتمد الاستخدام الاجتماعي لوسائل الاتصال، سواء الجماهيرية أو الوسائط الجديدة، كشكل من أشكال التملك حيث يقوم المستخدم ببناء استخداماته وفقاً لمصادر اهتماماته (وظيفية، ترفيهية ...)، فالمستخدم يستعين بتكتيكات لبناء نماذج استخدام محددة وخاصة به، تستند إلى تنظيم ذاتي لوظائف الجهاز وتطبيقاته.

وفي نفس السياق تجد فكرة التملك دعامتها في أعمال ميشال دوسارتو المؤرخ والمفكر الفرنسي (1925-1986) خاصة كتابه ابتكار الحياة اليومية: فنون الأداء العملي L'invention du quotidien. ، حيث يعتبر هذا الكتاب من أهم المصنفات العلمية التي عالجت إشكاليات الاستخدامات من خلال ثنائية **الاستراتيجية والتكتيك**، بلور دوسارتو هذه الثنائية ذات المفهوم الأصيل عندما قام بإزاحة هذا المصطلح من نظرة حربية إلى نظرية اجتماعية وسياسية دون التخلي عن الدلالة الصراعية التي تنطوي عليها[2]. حيث ينطلق دوسارتو من هذه الثنائية (الاستراتيجية- التكتيك) لقراءة المجتمع، فهو يرى أن الاستراتيجية عقلانية تعتمد على الحساب والتصنيف، أساسها العقل الذي له القدرة

[1] لمرجع السابق ،ص71

[2] محمد شوقي الزين. *المجتمع بوصفه حقلا للصراع عند ميشال دوسارتو*. 20 أكتوبر, 2013. anfasse.org (تاريخ الوصول 25 02, 2017).

على إدارة العمليات المعقدة واستنباط النتائج، كما يقوم هذا العقل بعملية التصنيف من خلال انشاء الجداول والشبكات، هذه العمليات تمثل إرادة وقوة وسلطة تتجسد في المؤسسة أو المنظومة، هذه الأخيرة هي محل التداول وصناعة القرارات، ويرى دوسارتو أن الاستراتيجية هي انتصار المكان على الزمان[1]. فالمؤسسة أو المنظومة عبارة عن مكان يتم فيه توزيع القوى والحفاظ عليها، فالاستراتيجية هي نوعا ما "نخبوية" لأنها تتطلب المشاورة والتفكير والمداولة وغيرها من الممارسات الفكرية التي تتطلب الرؤية المعمقة ومعالجة كل السيناريوهات الممكنة[2].

التكتيك هو الجانب الآخر من هذه الثنائية، فهو يرى أنه آني وعابر، لأنه تدبير يجب أخذه في الميدان خاصة عند تعقد الأمور[3]. يقول دوسارتو " أسمي تكتيكية الفعل الذي يحدده غياب الخاص، لا يمنحها أي تعيين لأمر خارجي الشرط الضروري لاستقلاليتها، ليس للتكتيكية من مكان سوى مكان الآخر، وعليها أيضا أن تراهن على الحقل المفروض عليها كما ينظمه قانون قوة أجنبية"[4].

فالمستهلك أو المستخدم لا يخضع بالضرورة لقوانين وأنظمة المنظومة التي يستهلكها أو يستخدمها، بل هو يراوغ ويوظف الحيلة من أجل الهروب من دروب القوانين والأعراف التي تفرضها المنظومة. وبالتالي فهو يضفي نوعا من الاستخدام الذاتي وبناء للمعنى ونتاجا من التأويلات الخاصة به في سياق محدود.

ففي مقابل الإنتاج العقلاني (الاستراتيجية) هناك انتاج آخر خفي، صامت ويكاد لا يرى –حسب تعبير دوسارتو– نتيجة استخدام واستهلاك المنتجات التي تفرضها المنظومة أو المؤسسة. فالمستهلكون والمستخدمون هم منتجون مجهولون، بل أكثر من ذلك، هم يبتكرون وفق ممارساتهم اليومية، ويدلل على ذلك بمثال طريف " الولد يخربش ويلطخ كتابه المدرسي، حتى وإن عوقب على فعله، فهو يبتكر مكانا ويُوقّع فيه وجوده كمبدع"[5].

[1] دو سارتو, ميشال، مرجع سبق ذكره, 2011. ص 93

[2] Gaston Bouthou, traite de polemologie, نقلا عن محمد شوقي الزين، المجتمع بوصفه حقلا للصراع، مرجع

[3] محمد شوقي الزين، ، مرجع سبق ذكره.

[4] دو سارتو, مرجع سبق ذكره. ص94.

[5] دو سارتو, ميشال .*ابتكار الحياة اليومية، فنون الأداء العملي*. مرجع سبق ذكره. ص86.

يتحدث دوسارتو عن **فن** استعمال المنتجات المفروضة. هذه العبارة تحوي تناقضا مجازيا، فهي تجمع بين فن الاستعمال وبين المنتجات المفروضة، كيف ذلك؟ الفن يعني الحرية، الابداع، الرحابة، التجاوز للزمان والمكان، أما المنتجات المفروضة فهي القوانين، الأنظمة، التنميط، القيود والرقابة. فالإبداع يكمن في قدرة المستخدم في الجمع بين ما هو فن وبين ما هو مفروض.

اعتمد ميشال دوسارتو على تحليل المنتجات الثقافية، وتساءل حول ما يصنع المستهلك بالصور المنشورة في التلفاز خلال هذا الزمن. ونفس الشيء لمستهلكي مجلة إعلامية أو مستخدمي المتجر المركزي أو ممارسي المكان الحضري أو مستهلكي الروايات والأساطير الصحفية، وتوصل إلى أن هناك إعادة انتاج من خلال نسق التكرار للتبضع والاستهلاك. وبالتالي فهناك مجموعة من الأحكام يُقّدم بموجبها المستخدمون على عمليات خاصة بهم[1]. باستخدام فن استعمال المنتجات المفروضة –المشار إليه سابقا– وبالتالي فن الاستخدام لمقارعة عقلانية الإنتاج.

إن مفهوم التملك ليس مجرد الحيازة المادية والفيزيقية للأدوات التقنية، بل هو بناء رموز انطلاقاً من مرجعية المستخدم في صيرورة معقدة.

إن التوزيع غير المتكافئ للعدة التكنولوجية في المجتمع يجد له تفسير في مقاربة التملك من خلال المعنى الذي يُضفيه المستخدم للعدة التقنية، حيث يرى Chambat أن الاختلافات في معدل تكرار الاستخدام ما هو إلا كشف عن التباين في الممارسات ومعانيها لمختلف الفئات الاجتماعية[2].

التملك له جانب معرفي يتمثل في منطق ووظائف الأداة، هذا الجانب المعرفي يتطلب التدريب على القوانين والطرائق العملية لاستخدام الآلة وصولاً إلى مهارة اكتساب مهارة الممارسة، وبالتالي فإن الجانب المعرفي التجريبي حاضر في صيرورة التملك، ووفقاً لجوي Jouët أن الاستخدام الاجتماعي لوسائل الاتصال يستند دائماً إلى شكل من أشكال التملك، فالمستخدم يبني استخداماته وفق مصادره الذاتية رغم الطابع التعددي لتطبيقات وأشكال تكنولوجيات الاعلام والاتصال (ترفيهية، مهنية، وظائفية...)[3].

[1] دو سارتو, ميشال .*ابتكار الحياة اليومية، فنون الأداء العملي*. مرجع سبق ذكره. ص86.

[2] CHAMBAT, Pierre. ibid: p 259.

[3] Jouët, Josianeibid: p 502.

المبحث الثاني: مقاربة التملّك الاجتماعي: السيرورات والسياقات

بعد التطرق إلى مفهوم مقاربة التملك الاجتماعي لتكنولوجيات الاعلام والاتصال، سوف نحاول في هذا المبحث تناول أهم الشروط الواجب توافرها لنكون امام بناء تملك اجتماعي للمستخدم لتكنولوجيات الإعلام والاتصال من جهة، واهم السياقات التي تتم فها هذه الإجراءات.

المطلب الأول: التملك الاجتماعي... الشروط والسيرورات:

بالرجوع إلى أعمال Breton et Proulx وآخرون نجدها تفصيل في الشروط الواجب توافرها حتى نكون بصدد تملك لتكنولوجيا ما، هذه الشروط تنتظم في سيرورة متتابعة، حيث الشرط الأول يحيل إلى الثاني وهكذا، من أجل الوصول إلى بناء تملك اجتماعي للتكنولوجيا. وفيما يلي أهم هذه الشروط[1]:

1. الولوج التقني:

يُقصد به إمكانية الوصول إلى التكنولوجيا، فأول شرط في التملك الاجتماعي هو الوصول إلى التكنولوجيا أو الولوج في حالة الإنترنت، يعتبر هذا الشرط ضروري لكنه غير كافٍ. فهذا الشرط سوف يحدد بداية سيرورة التملك. هذا الشرط سوف يطرح نقاط أخرى تتعلق بالسياسة العامة للبلد في قضية البنية التحتية للتكنولوجيا ومدى توفر التكنولوجيا واتاحتها للمواطن، بالإضافة إلى قضية أخرى تتعلق بالفجوة الرقمية، وهي الفجوة الفاصلة بين الدول المتقدمة والدول النامية في النفاذ إلى مصادر المعلومات والمعرفة، والقدرة على استخدامها واستغلالها، ولهذه الفجوة أسباب علمية تكنولوجية وتنظيمية فضلا عن توفر البنية التحتية وقد أُستعمل هذا المفهوم من منظور الفجوة بين مستخدمي تكنولوجيا المعلومات والاتصال، فقد بيّنت الدراسات أن الفجوة الرقمية لها عوامل مُؤثرة فيها منها: العمر، والجنس، والحالة الاقتصادية، العمل، الموقع الجغرافي، المستوى الاجتماعي (التعليمي) وبيئة العمل[2].

---

[1] أنظر المرجع Proulx, Serge, Julien Rueff, et Nicolas Lecomte. «Une appropriation communautaire des technologies numériques de l'information.» Notes de recherche, 2007. والمرجع Breton, Philippe, et Serge Proulx. L'explosion de la communication à l'aube du xxie siècle. Montréal: Les Éditions du Boréal, 2002.

[2] سمير الشيخ علي. "مجتمع المعلومات والفجوة الرقمية في الدول العربية." *مجلة جامعة دمشق* 2014: ص 358.

ويعرفها قاموس Reverso Dictionnaire بأنها: عدم المساواة التي تفصل بين الأشخاص الذين يتحكمون في التكنولوجيا الرقمية (الوصول إلى الإنترنت، التحكم في الحاسوب...) عن غيرهم[1].

أنشأ الاتحاد الدولي للاتصالات ITU مؤشراً يقيس من خلاله تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في بلدان العالم، ويستند هذا المؤشر على عدة عوامل منها: القدرة على الوصول إلى التقنيات الجديدة ومهارات استخدامها[2].

2. التحكم التقني والمعرفي للتكنولوجيا:

تنشأ عن الممارسات الجديدة لاستخدام تكنولوجيات الاعلام والاتصال علاقة سوسيو-تقنية تُثير مسألة قدرة المستخدمين على حسن تدبير التقنية الذي يسمح بالتحكم بالعُدة التقنية من جهة، ومن جهة أخرى حسن تدبير المعارف التي تُمكّن المستخدم من الاستغلال الأمثل للتقنية مثل: الوصول إلى المعلومة وتفسير المحتوى المقدم، فإتقان الحد الأدنى من التحكم التقني يُعد ضروريا للمستخدم في بيئة الاتصال.

تتطلب هذه المرحلة من المستخدم نوعاً من التحكم التقني والذي يستند إلى معرفة ولو بسيطة بالتكنولوجيا، بمعنى الحاجة إلى حيازة للمهارات المعرفية والتقنية الضرورية للتحكم في التقنية واستخدام البروتوكولات. هذه المهارات غالباً ما تكون ناتجة عن تعليم متخصص وتكوينات رسمية وغير رسمية.

وترى Millerand أن مشكلة الولوج التقني مرتبط أساساً بالتحكم المعرفي والتقني للتكنولوجيا بدأً بإجراءات وطرق ومبادئ التشغيل فهذه المهارات المعرفية هي ضرورية لخطوات التملك التقني. إن قدرة المستخدمين على إدارة التدفق المعلوماتي وابتكار طرق جديدة للعمل، تتطلب التحكم المعرفي للأدوات الجديدة من قبل المستخدمين، متمثلة في مجموع الاستعدادات المعرفية والتقنية التي ستمكنهم من استيعاب المعلومات ومعالجتها ومن ثم استغلالها[3].

---

[1] Reverso Dictionnaire. s.d. consulté le 01 01 2019. <https://dictionnaire.reverso.net/francais-definition/fracture%20num%C3%A9rique>.

[2] Burgorgue-Larsen, Laurence. « Les Nouvelles Technologies », *Pouvoirs*, vol. 130, no. 3, 2009, p 4.

[3] Millerand, Florence. *L'appropriation du courrier électronique en tant que technologie cognitive*. Montréal, 2003, p 400.

ويرى Proulx أن سيرورة التملك ترتكز أساساً على المكتسبات الفردية للمعرفة وللمهارات، هذه الأخيرة تتمثل في الطريقة التي يكتسب بها الفرد الرموز وبروتوكولات المعرفة والدراية اللازمة للتعامل مع بشكل صحيح مع أجهزة الكمبيوتر الموجودة في بيئته، فسيرورة التملك تقتضي التكريس الفعلي لوقت معين ومساحة معينة من الحياة اليومية للفرد عند استخدامه لتكنولوجيا ما –الكمبيوتر–، هذا من ناحية فردية، أما من ناحية جماعية فإن استراتيجيات التملك الاجتماعي لتكنولوجيا ما –الكمبيوتر– من شأنه أن يُعزّر السلطة الاجتماعية والسياسية داخل المجتمع أو لجماعة ما[1].

في هذا المنظور يُثير مصطلح Alphabétisme informatique مسألة قدرة المواطنين العاديين من التحكم التقني للحاسبات، فالثقافة الرقمية من شأنها أن تضمن الحد الأدنى من التحكم في عالمهم التقني عن طريق المعارف والإدراكات المكتسبة. إذ أن الافتقار إلى هذه المهارات الأساسية في الاستخدام من شأنه أن يحُد من قدرة الفرد عن الاستخدام الأمثل للتكنولوجيا وانحصار استثمارها في الحياة اليومية للمستخدم وبالتالي عدم القدرة على الإبداع والابتكار.

3. دمج تكنولوجيات الإعلام والاتصال في اليومي:

أظهرت الدراسات التي قام بها كل من Toussaint et Mallein بشكل خاص على المنيتوسكوب والحاسوب، أن الدمج الاجتماعي لتكنولوجيات الاعلام والاتصال في الحياة اليومية للمستخدمين يعتمد على استخدام الحد الأدنى للخصائص التقنية والجوهرية للأداة وتعقيداتها، فالمستخدم يقوم ببناء معنى لاستخدام الجهاز التقني المقترح عليه في تفاعل بين العرض والطلب المرتبط بتكنولوجيات الإعلام والاتصال. وذلك من أجل جعل عناصر مختلفة: تقنية واجتماعية، تتفاعل فيما بينها بشكل متناغم.

[1] Millerand, Florence. ibid, pp 38,39.

وفي نفس سياق العرض والطلب يرى نفس الباحثان أن هناك نوعين من العقلانية توجهان بناء العرض التقني، عقلانية سوسيو تقنية وعقلانية تقنية محضة، فالأولى تنطلق من الهوية النشطة للمستخدم، أما الثانية فترى بالهوية السلبية للمستخدم[1].

يجب أن يكون الاندماج بما فيه الكفاية يسمح للمستخدم بمساعدة الأداة التقنية من الخلق والابتكار، أي توليد الجديد من خلال الممارسات اليومية. هذا الابتكار الناجم عن الاستخدام يتجلى في قدرة المستخدم في تحويل الأدوات التقنية عن أهدافها الأولية أو التدخل المباشر في تصميمها، أو ظهور الجديد في الممارسات الفردية أو الجماعية من خلال استخدام العُدة التقنية[2].

فالاستهلاك أو الاستخدام لا يتحقق بالضرورة على النحو المخطط له أو المتوقع، فالمستخدم أو المستهلك لديه دائماً هامش من المناورة تتمثل في الانحراف عن استعمال وظائف الجهاز المفروضة سلفاً، أو اللجوء إلى الحيل والصيد غير المشروع عند الاستهلاك أو الاستخدام.

4. الوسيط الجماعي وتمثيل المجتمع:

في هذه المرحلة من مراحل التملك يلعب الوسيط الجماعي دوراً مهماً في سيرورة التملك الجماعي لتقنية ما، حيث يتبادل أفراد المجتمع التعليم الفردي بين أعضائه على شكل ممارسة منظمة حول مصالح متشابهة أو قيم وتطلعات مشتركة[3]. فالتملك الاجتماعي يفترض أن المستخدم يمكن أن يفرض نوعاً من الرقابة والسيطرة على سوق الابتكارات التقنية، من خلال المشاركة في تطوير السياسات العامة المتعلقة بالابتكار التقني، ورسم حدود العرض الصناعي التقني الذي يهم المستخدم. في التسعينيات من القرن الماضي ظهر تيار السوسيو–سياسي للاستخدامات والذي ينظر إلى المستخدم باعتباره مواطناً في بيئة سياسية وزبوناً في بيئة اقتصادية، هذه المقاربة يبرز الرهانات الاجتماعية التي تكمن وراء انتشار تكنولوجيات الاعلام والاتصال.

---

[1] Mallein, Philippe et Yves Toussaint. «L'intégration sociale des technologies d'information et de communication : une sociologie des usages.» *Technologies de l'information et société* 1994, p 319.

[2] Proulx, Serge, Julien Rueff, et Nicolas Lecomte. ibid, p 27.

[3] ibid, p 28.

أدّت الأعمال المبكرة في مجال سوسيولوجيا الابتكارات التكنولوجية إلى تصوّر جديد للتغيير التكنولوجي في المجتمعات. وفقاً لفيدال يسمح هذا بالانتقال من فكرة الحتمية التقنية إلى فكرة أن النظم التقنية عبارة عن بناءات اجتماعية، هذا التطور في الفكر أدى إلى الانتقال من تكنولوجيا مُهيكلة إلى تكنولوجيا ناعمة[1]. ويُقدم فيدال نموذجاً تحليلياً يأخذ فيه بعين الاعتبار أربعة عناصر: منطق التقنية والمنطق الاجتماعي، يمكن أن يتمفصلا بالعودة إلى مفهوم الاعداد السوسيوتقني، من جهة، ومن جهة أخرى فإن التفاعل المعقّد بين منطق العرض ومنطق الاستخدام يجد تحليله في التمثلات[2].

إن مفهوم الإعداد السوسيوتقني يسمح الأخذ بالحسبان les effets conditionnats للتقنية على العلاقات الاجتماعية التي تكّونت خلال عملية الابتكار التكنولوجي. هذه السيرورة هي نظام من العلاقات الاجتماعية التي يتم تأسيسها حول تقنية ما، لكن أيضا من خلال هذا المفهوم –الإعداد السوسيوتقني– يُشير إلى جدلية ثابتة ما بين منطق التقنية والمنطق الاجتماعي، وتُولد هذه الجدلية الديناميكية التي بها يتطور الابتكار التكنولوجي.

وفيما يتعلق بمفهوم تمثلات المستخدمين، يُؤكد فيدال أن استخدام نظام تكنولوجي مبني على التفاعل بين منطق العرض ومنطق الاستخدام، هذا التفاعل معقد يمكن التعامل معه من حيث مفهوم التمثلات، فعندما نتحدث عن هذا المفهوم نُشير إلى بعدين مهمين، هما البعد السياسي والبعد الرمزي، يُشير الأول إلى تمثّل المستخدمين في عملية الابتكار التكنولوجي، ويُشير أيضا إلى الوسائل التي يمكنهم من خلالها التعبير عن احتياجاتهم وتوقعاتهم بشكل جماعي. أم البعد الثاني (الرمزي) فيُشير إلى الصور التي يربطها المستخدم عند استخدامه للأداة التقنية. فهي تمثّلات، خطابات، فرضيات واحتمالات يضعها المصممون في علاقة مع حاجات وتوقعات المستخدمين، فهي اسقاطات عقلية حول سلوكيات الاستهلاك لدى المستخدمين[3].

[1] REYES GARCIA, Pedro. ibid, p115.

[2] Vedel, T. «Introduction à une socio - politique des usages.» Dans Médias et Nouvelles Technologies. Pour une socio - politique des usages, de A Vitalis. Rennes: Éditions Apogée, 1994, p28.

[3] سامية مهدي. البناءات الاجتماعي للاستخدامات. أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في علوم الإعلام والاتصال: جامعة الجزائر 3 كلية الاعلام والاتصال، 2018، ص72.

لكن لا يجب إغفال البعد الاجتماعي عند استخدام تكنولوجيات الاعلام والاتصال، فإضافة إلى البعد المعرفي فإن استخدام التقنية يتطلب تصوراً لها ذا دلالات، هذه الدلالات ترتبط بتملك الأشياء التقنية وعليها يتوقف اندماجها الاجتماعي، أي اندماج التكنولوجيا في الحياة اليومية التي يبنيها المستخدمون بشأن تلك التكنولوجيا وهي ناتجة عن المجتمع والتجربة الشخصية للمستخدم[1].

المطلب الثاني: العوامل المؤثرة في سيرورة التملك الاجتماعي:

تلعب هذه العوامل دوراً أساسياً غي عملية تملك تكنولوجيات الاعلام والاتصال، لكن ليس بنفس شدّة التأثير، فهي تتغير من مستخدم إلى آخر، ويمكن اجمال هذه العوامل في النقاط التالية:

1. السياق السوسيو اقتصادي للمستخدم:

لقد مرّ معنا أن أول شرط لسيرورة التملك الاجتماعي للتكنولوجيا هو القدرة على الولوج إلى التكنولوجيا وحيازتها أو على الأقل إمكانية الوصول إليها بغرض استخدامها. فتكنولوجيا المعلومات والمجتمع المعرفي يتطلب متطلبا أساسيا هو توافر إمكانات مالية واقتصادية هائلة وإذا لاحظنا أن مجتمع المعلومات أو مجتمع المعرفة يتأثر بنوعين من المؤثرات :مؤثر يتعلق بمدى تطور صناعة المعلوماتية، وهذا الجانب يتعلق بموضوع الاتصالات بالحاسبات الآلية وبمسالة البرمجة، وهذا خاص بالجانب التقني وما يتعلق بتطور حالة الاتصالات في المجتمع، وهذا يتعلق بالجانب الاجتماعي والسياسي[2].

2. تمثّلات المستخدمين:

تمثّل المستخدم للتكنولوجيا يلعب دوراً هاماً في عملية صيرورة التملك، إن التملك الاجتماعي والمعرفي والتقني للتكنولوجيا تمرّ عبر استيعاب التمثّلات الكافية للظاهرة التقنية. ويرى برولكس أن هناك تمثّلات فردية وأخرى اجتماعية، فالتمثّلات الفردية تلعب عدة عوامل في تشكيلها كالتاريخ الشخصي للمستخدم والسياق الخاص لكل مستخدم، أما التمثلات الاجتماعية فهي تتغذى على الخطاب العلمي

[1] عبدالرحمن عزي و السعيد بومعيزة. الإعلام والمجتمع، رؤية سوسيولوجية مع تطبيقات على المنطقة العربية. الجزائر: دار الورسم، 2010، ص 295.

[2] لخضر بن سعيد. واقع تكنولوجيات الاعلام والاتصال وأثرها على التنمية الاقتصادية. جامعة الجيلالي ليابس، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية: أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم الاقتصادية، 2015، ص 130.

والتقني، الخطاب السياسي، الصحافة والاعلانات، خطابات بعض المستخدمين الذين يلعبون دور قادة الرأي في تملك تكنولوجيات المعلومات والاتصال.

إن التمثّلات الاجتماعية الإيجابية تساعد على تملك التكنولوجيا على عكس تلك التمثّلات السلبية التي تُقاوم صيرورات التملك الاجتماعي، ومن بين هذه التصورات السلبية على سبيل المثال لا الحصر: الخوف من الآثار السلبية للمعلومات، الخوف من إضاعة الوقت، الخوف من عدم القدرة على الفهم جراء تعقيدات التكنولوجيا...الخ، وبالتالي فهي عوامل مرتبطة بفوبيا التكنولوجيا، بالإضافة إلى عوامل أخرى سوسيو ديموغرافية مثل عامل السن والتعليم. على الرغم من أهمية التمثّلات، فإنها ليست سوى واحدة من عوامل صيرورات التملك المعقدة.

3. العلاقات الداعمة للمستخدم:

في دراسة قامت بها فرقة البحث للاستخدامات والثقافات الإعلامية GRM التابعة لجامعة كيباك بمونتريال الكندية، كيف أن العلاقات الداعمة تلعب دوراً مهما في عملية تملك التكنولوجيا. في هذه الحالة كانت الدراسة تتمحور حول تملك الإنترنت. توصلت الدراسة إلى نتائج مهمة: أن شبكة العلاقات تساهم في تملك أجهزة الكومبيوتر والإنترنت، إذ تأتي العائلة وشبكة الأصدقاء بنسب 36% و 33% على التوالي وهي النسب الأعلى، إضافة إلى الزملاء في الدراسة أو في مكان العمل بنسبة 20%[1] ، وهناك المصادر المعرفية للمستخدم. وتشكل شبكة العلاقات دليل المستخدم نحو تملك التكنولوجيا، إذ يلعب أفراد هذه الشبكات دور المرشد أو الناصح أو الكاشف Mentor الذين بواسطتهم يستطيع المستخدم تملك الأدوات التقنية.

العائلة: غالباً ما يكون الوالدان قد قاما بتوفير الكومبيوتر والإنترنت كتكنولوجيا ضرورية لأنشطة أطفالهم، نشير إلى أن مفهوم العائلة قد يمتد إلى أفراد آخرين مثل الأعمام، والذين لهم القدرة على تحفيز الأطفال لاستخدام التكنولوجيا. ويمكن أن يحدث عكس للأدوار، فيصبح الأطفال هم المرشدون لآبائهم في عملية استخدام الكومبيوتر والتطبيقات الخاصة به، والتي قد تعتبر ممارسة بديهية بالنسبة لهم.

[1] Proulx, S et J Saint-Charles. « L'appropriation personnelle d'une innovation : le cas d'Internet. L'importance des réseaux d'appui.» Informations sociales (2004): p 82.

شبكة الأصدقاء: تقوم هذه الشبكة على عاملي المحاكاة والثقة اللذان لهما تأثير بالغ على مجموع الأفراد الذين يشكلون هذه الشبكة. فقد توصلت الدراسة إلى أن هذه العلاقات حفزّت أفرادها على شراء واستخدام الكومبيوتر والانترنت[1].

الشبكات الافتراضية: حيث توفر هذه الشبكات دعماً تقنياً وفنياً للمستخدمين بمساعدتهم بشكل أفضل للتحكم في التكنولوجيا مثل المنتديات.

زملاء العمل: زملاء العمل مهمون جداً، خاصة عندما يتعلق الأمر بالتكنولوجيات الجديدة، فهذا النوع من الشبكات يُساهم بشكل كبير في الاتقان والتحكم التقني من خلال التشجيع على الاستخدام، تكوين ممارسات مرتبطة بالتكنولوجيا، تبادل الخبرات التقنية بين المستخدمين.. إلخ.

4. جنس المستخدم:

رأينا أن هناك العديد من العوامل التي تُؤثّر في صيرورة التملك التكنلوجي، مثل السياق الاجتماعي والاقتصادي، التمثّلات الاجتماعية للتكنولوجيا وشبكة العلات. هناك عامل آخر لا يقل أهمية وهو عالم الجنوسة.

ترى جوي أن هناك اختلافاً في ممارسات الذكور والإناث للأدوات الاتصالية، إذ يُلاحظ بصمة ثقافية في بناء الاستخدامات، تُشير جميع الدراسات إلى أن الهاتف تقنية تستثمر أساساً الجنس الأنثوي، في حين أن تقنيات الكومبيوتر يُهيمن عليها الذكور. إذا كانت النساء والفتيات يستخدمن تكنولوجيا المعلومات والاتصال فإن التملك عندهن يكون أكثر تحديداً: أقل معرفة بمحتوى التقنية، تغليب الاستخدامات الوظيفية، الإحجام عن الانخراط الكامل في الحوار مع الآلة. ويمكن فهم هذا الاختلاف بين الجنسين إلى عملية التثاقف، كلا الجنسين يعبران عن أنفسهما بطريقة مختلفة تكنولوجياً، فالرغبة والمتعة مُستثمرتان في استخدام التقنية بشكل ظاهر من قبل الذكور مثل ألعاب الفيديو[2].

[1] ibid: p 84.

[2] Jouët, J. «Technologies de la communication et genre. Des relations en construction.» Réseaux 21.120 (2003): p 66.

تُؤكد الدراسات في مجال تثاقف تكنولوجيا الاعلام والاتصال إلى وجود تقسيم ثنائي ومتناظر بين الذكور والإناث، فجل الأبحاث تُركّز على الجندر المذكر في مجال تكنولوجيات الاعلام والاتصال وساهم هذا في تعزيز الصورة النمطية للثقافة الذكورية وبالضرورة التكنولوجية، على العكس من هذا هناك عدد قليل من الدراسات التي تهتم بتبني الإناث للتكنولوجيا[1]. لكن العلاقة بين تكنولوجيات الاتصال والجندر آخذة في التطور والانفتاح لأنها جزء من ديناميكية الابتكار التقني والابتكار الاجتماعي، فلقد أصبحت النساء أكثر اهتماما بالتكنولوجيات في مكان العمل والمؤسسات التعليمية، ومهاراتهن وفهمهن لمبادئ هذه التكنولوجيا في تطور بمرور الوقت. ولا يمكننا الحديث عن فئة متجانسة سواء عند الذكور أو الإناث، فالظروف الاجتماعية والثقافية تلعب دوراً كمتغيرات في استخدام تكنولوجيات الاعلام والاتصال.

[1] Jouet, Josiane.ibid: p67.

الفصل الثالث:

تكنولوجيات الإنترنت في المجتمع

الفصل الثالث: تكنولوجيات الإنترنت في المجتمع

المبحث الأول: تكنولوجيا الإنترنت

المبحث الثاني: الشباب والثقافة الرقمية

المبحث الثالث: تكنولوجيات الإنترنت في الجزائر

الفصل الثالث: تكنولوجيات الإنترنت في المجتمع

المبحث الأول: تكنولوجيا الإنترنت

في هذا المبحث سوف نتطرق إلى نشأة الإنترنت وما تقدمه من وظائف لمستخدميها وما تمتاز به من خصائص، ثم نعرج إلى انتشارها وما يترتب عن ذلك من فجوة رقمية بين المجتمعات، وما الذي أتت به من وعود كمتجمع المعلومات ودمقرطة المجتمعات ووعود القطيعة مع ما سبقها من تكنولوجيات.

المطلب الأول: الإنترنت: الخصائص والوظائف

ظهرت الأنترنت سنة 1969م من قبل وكالة مشاريع الأبحاث المتقدمة أربنت (Advaanced Research Project Agency) الممولة من قبل وزارة الدفاع الأمريكية من أجل النظر في سبل نشر المعلومات في حالة وقوع هجوم عسكري يدمر أنظمة الاتصال التقليدية. وتمت إتاحة الانترنت للمتعاملين المدنيين سنة 1989 م، فكانت ولادة الشبكة العنكبوتية WWW، وظهرت خدمات البريد الإلكتروني ومجموعة النقاش والدردشة، وبفضل البروتوكلين TCP،IP اللذين يسمحان بنقل الرسائل والملفات أصبحت الانترنت شبكة الشبكات تمكن من ربط الحواسيب فيما بينها في كل العالم، وتحولت إلى وسيلة تعبير واتصال، ومقدمة خدمات متعددة[1].

ارتبط ظهور الانترنت بشكلها الحالي بثلاث عوامل رئيسية: ظهور شبكات النطاق العريض، تحرير سوق الاتصالات، التطور الكبير والنمو المتسارع في السوق أجهزة الحواسيب الشخصية بداية من 1976 مع شركة Apple ثم IBM وجهاز الكومبيوتر الشخصي IBM pc سنة 1981م[2]، ومن هنا كانت البداية لأجيال جديدة من الحواسيب الشخصية تم تطويرها واستخدامها في أغلب مجالات الحياة إن لم تكن جميعها، سهلت عمليات التواصل والحصول على المعلومات، والقيام بالعمليات الحسابية المعقدة، كما أصبحت مخزنا لحفظ الملفات.

[1] فرانسيس بال. *الميديا*. المترجمون فؤاد شاهين. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008، ص 57.

[2] Griset, Pascal. «L'émergence d'Internet. Entre imaginaire universel et réalités américaines.» *Le Débat* 160.3 (2010), p140. < https://www-cairn-info.www.sndl1.arn.dz/revue-le-debat-2010-3-page-132.htm>.

1- خصائص ومميزات الإنترنت

يمثل اكتشاف الأنترنت ثورة في منظومة الاتصال والحوسبة، تجمع بين خصائص متعددة وأحيانا متناقضة تتمثل فيما يلي:

أ- البعد العالمي للأنترنت:

ألغت الانترنت الحدود السياسية والحواجز الجغرافية، وأصبحت أحد الرموز الرئيسية للعولمة والقوة الدافعة في تسريعها. كما أن توسع شبكة الأنترنت حسن بشكل كبير التواصل مع مختلف الثقافات والمجتمعات، فأصبح ارسال النصوص والرسائل الصوتية والتسجيلات أسرع، والبريد الالكتروني فوريا في حين كانت الرسائل تستغرق وقتا أطول، وأصبحت المعلومات المتاحة أكثر، والوصول إليها أسهل.

وقد شددت منظمة اليونيسكو على هذه الخاصية (عالمية الانترنت) في نسخة مستوفاة من وثيقة نقاش المنظمة في سبتمبر 2013 حيث أن مضمون هذا المفهوم يتوقف على معايير وقيم خاصة كون الانترنت تقوم على حقوق الانسان، ومن ثم فهي حرة، ومفتوحة ومتاحة للجميع[1]. ورغم ما تقوم به الانترنت من تسهيل للاتصال على المستوى العالمي إلا أنها تكرس عدم تجانس العالم بجعل الاختلافات الاجتماعية والثقافية والسياسية أكثر وضوحا، وهو ما يشكل تحديا آخر للعولمة الثقافية. ويبدو أن الإنترنت تجسّد مفهوم القرية العالمية Global village التي تنبأ بها مارشال ماكلوهان، فقوة هذه الشبكة في الجمع بين الصورة والصوت والبيانات المختلفة، وفّرت السرعة والشعور بالقرب إلى حد استعمال مصطلح "التواجد عن بعد"، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ارتفاع وانتشار أجهزة الاتصال المتنقلة هم الذي أعطى بُعدًا جديدا وأكثر إدراكا بشكل مباشر لما يسمى "الوجود في كل مكان وفي أي زمان" Ubiquity.

ب- العوالم الافتراضية:

بسبب توسع الانترنت ظهرت العديد من المصطلحات والمفاهيم الجديدة كمفهوم المجتمع الافتراضي (virtual community) الذي ورد أول مرة سنة 1993م في كتاب الجماعات الافتراضية للكاتب و الناقد الأمريكي هارولد راينغولد (HOWARD rgeingold) والذي عرفه على أنه " مجموعة من الأشخاص الذين

[1] منظمة اليونيسكو. "عالمية الإنترنت." 02 09, 2013. نسخة مستوفاة من وثيقة نقاش لليونسكو. الاسترداد:31 12, 2019. <http://www.unesco.org/new/fileadmin/MULTIMEDIA/HQ/CI/CI/pdf/news/internet_universality_ar.pdf>.

قد يلتقون أو لا يلتقون وجها لوجه ويتبادلون الكلمات والأفكار من خلال وساطة الشبكات الرقمية"[1]، بمعنى آخر تجمعات اجتماعية تنشأ من الشبكة حيث يستمر أناس في المناقشات العامة لفترة كافية من الزمن، وبمشاعر إنسانية كافية لتشكيل شبكات من العلاقات الشخصية في الفضاء الالكتروني[2].

وبهذا خلقت الانترنت أشكال جديدة من التجمعات الافتراضية الحضور تجعلنا نغادر فضاءنا المادي وتبقي العالم الافتراضي جزءا من عالمنا الحقيقي، وهذا ما يؤكده Serge Proulx، في كتاب المجتمعات الافتراضية الذي نشر فيه موضوعات عن تجارب شخصية لمستخدمي الحاسوب والأنترنت من خلال تحليل قوائم البريد الالكتروني، ومجموعة الأخبار وغرف الدردشة الحية، ووصل إلى أن الانخراط في المجتمعات الافتراضية أكثر مرونة منه في المجتمعات التقليدية، وأنه ناجم عن التقيد المتزايد لتطور الصناعات التقنية داخل المجتمع[3].

ج- لغة خاصة:

تجمع الوسائط المتعددة بين عدة أشكال للتعبير المكتوبة، الشفوية، والبصرية. وبمرور الوقت طور مستخدمو الأنترنت رموزا تعبيرية وشفرات جديدة للتواصل وللتعبير عن المشاعر ولاختصار الأفكار دون الحاجة للكتابة الكلمات خاصة في المحادثات"chat". عدد Marcoccia أربعة أسباب أدت لظهور هذا النوع من اللغة على الشبكة العنكبوتية: غياب التواصل المباشر (التواصل وجها لوجه) كلغة الجسد، وتعابير الوجه، ونبرة الصوت الذي ينجم عنه غياب السياق اللفظي وغير اللفظي، فيتم تعويضه بهذه الرموز والشفرات لتعزيز التواصل وخلق أجواء إيجابية في رسائل البريد الإلكتروني، وغرف الدردشة، والرسائل الفورية. كما تساعد المجهولية المستخدم الخجول على اختراع هوية جديدة يختبئ وراءها للتعبير براحة أكبر والتواصل مع الآخرين من خلال الآلة (الوسيط)، واعتمادا على أشكال الإنتاج والتلقي للمضامين تكون

[1] حسني حسني رفعت. المجتمعات الافتراضية وجيل الإنترنت: المفهوم، السمات، الأنواع. 02 09, 2019. الاسترداد : 31 12, 2019. <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=651147&r=0>.

[2] هاوارد رينغولد، نقلا عن علي رحومة، المجتمع الآلي، مرجع سبق ذكره، ص 66.

[3] Serge, Proulx et Guillaume Latzko-Toth. «La virtualité comme catégorie pour penser le social: l'usage p 117..de la notion de communauté virtuelle.» Sociologie et sociétés 2000: 99-122

المحادثة إما حميمية أو عامة[1]. وهذا الوضع يفرض لغة خاصة تجسد العلاقة بين المستخدم والآلة، وبالرغم من الاستخدام الواسع للرموز في التواصل والتعبير، فإنه لا يمكن اعتبار لغة حية حقيقية لتبقى مجرد أيقونات وصور في التواصل الرقمي تفتقد إلى النبض والتوهج.

د- النص التشعبي كطريقة للتفكير:

من أبرز سمات الأنترنت كوسيط اتصالي أنها تعتمد على تقنية النص الفائق التشعبي بالإنجليزية: Hypertext، وهو نص معروض على شاشة الحاسوب يمكن المستخدم عند النقر عليه من الوصول إلى معلومات إضافية، صفحات أخرى، مقاطع فيديو، صور...، وتمثل النصوص التشعبية تقدما مهما في واجهات المستخدم، حيث أنها تتغلب على النص التقليدي المكتوب الذي لا يسمح بالتفاعل ويصعب على القارئ التعمق في نقطة معينة، أو مواضيع جانبية ذات صلة.

ومن الناحية الوظيفية، النص التشعبي ليس مجرد طريقة كتابة، بل نظام برمجي يتم من خلاله بناء صفحات ومواقع إلكترونية، وتنظيم كم هائل من المعلومات بطريقة متسلسلة، كما يتيح تصنيف وربط المعلومات بحيث يمكن للمستخدم التنقل بين المواضيع بسرعة وسهولة، مما يجعله نظام متكامل وأساسي في بناء بيئة رقمية حديثة[2].

هـ- حرية يقينية:

أصبحت الأنترنت أداة تتجاوز السلطة والإملاءات، وفضاء مفتوحا يعبر فيه كل من يشاء عن رأيه، ويشارك في اتخاذ قرارات قد تكون أكثر جرأة وأكثر تطرفا، كما خلقت شعورا بالتكافؤ وسمحت بمزيد من التحرر من خلال عدم كشف هوية المستخدمين اعتمادا على أسماء مستعارة، رغم ما يطرحه من تجاوزات أخلاقية وقانونية مثل الكراهية والعنصرية باسم حرية التعبير.

[1] Millerand, Florence. L'appropriation du courrier électronique en tant que technologie cognitive. Montréal, 2003.p 143.

[2] Lévy, Pierre. "L'hypertexte, instrument et métaphore de la communication." Réseaux 1991: p 62.

و- مصدر للمعلومات:

منحت الأنترنت المتصفحين فرصة إلى كم أكبر من المعلومات، وتفوقت على كل المصادر التقليدية من صحافة مكتوبة، وإذاعة، وتلفزيون، ففي جلسة واحدة أمام الحاسوب أو باستعمال الهاتف يمكن للمستخدمين الاطلاع السريع على معلومات هائلة ومصادر مختلفة (مواقع رسمية، مدونات، منصات تعليمية، قواعد بيانات...) بأقل تكلفة كما تمكنهم من انتقاء أحدث البيانات والأخبار وتقيمها.

بلغ عدد مستخدمي شبكة الأنترنت في العالم 5.16 مليار مستخدم حسب إحصائيات جانفي 2023م، أي بنسبة 64.4% من إجمالي سكان العالم البالغ عددهم 8.01 مليار نسمة، وتسير البيانات إلى أن إجمالي مستخدمي الأنترنت العالميين ارتفع بنسبة 1.9% خلال الاثني عشر شهرا الماضية[1]. رغم هذا الكم الهائل من المعلومات الذي يشمل جميع مناحي الحياة اليومية للمستخدم، مثل التسوق، الصحة، التعليم، المكتبات الرقمية، الترفيه...إلخ، يفتقر إلى آليات ضمان الجودة، فالمعلومات متوفرة بشكل غير مفلتر، وعلى هذا النحو أصبح تقييم واختيار المعلومات الموثوقة والدقيقة أكثر صعوبة من أي وقت مضى، بل يعتب هذا من التحديات الرئيسية لمستخدمي الأنترنت.

ي- التفاعلية:

يعد التفاعل عنصرا مهما في عملية الاتصال، وواحدا من سمات الإعلام الجديد الذي يقوم على مبدأ الانفتاح في عرض وجهات النظر ومنح المستخدمين فاعلية أكبر في العملية الاتصالية، وأصبح للأنترنت دورا مهما في نشر المواد الإعلامية باختلاف أشكالها وصورها.

لا يوجد اتفاق حول تعريف وقياس التفاعلية، والنقاش مزال مستمرا ليشمل عدة مفاهيم: كالتزامن، المشاركة، التحكم، السرعة، الاستجابة، وتنوع الاختيارات[2]. إذ يقدم هيتر (Heeter) ستة أبعاد لوصف التفاعلية كمفهوم يميز التقنيات الجديدة على النحو التالي[3]:

[1] simon, K. (2023). *Digital 2023: Algeria.* DATAREPORTAL

[2] Ariel, Yaron et Ruth Avidar. «Information, Interactivity, and Social Media.» Atlantic Journal of Communication 23.1 (2015): p 21. <https://www.researchgate.net/publication/272376226>.

[3] Chou, Chien. «Interactivity and interactive functions in web-based earning systems: a technical framework for designers.» British Journal of Educational Technology 34.3 (2003): p 226. <https://ir.nctu.edu.tw/bitstream/11536/14462/1/000183171200004.pdf>.

- يبذل المستخدمون جهدا في الولوج To access لنظام الوسائط للحصول على المعلومات.
- تعقيد الخيارات المتاحة بسبب حجم و تنوع خيارات المستخدم، ويشار إليها بالانتقائية.
- الاستجابة، يقصد بها مدى استجابة المستخدم للوسائط، ويعد أيضا نوعا من التفاعل المستمر والمتغير.
- مراقبة معلومات المستخدم، مثل عدد زوار موقع مان وعدد النقرات.
- سهولة إضافة معلومات، أي أن المستخدم يقوم بإنشاء المحتوى عبر الوسائط الجديدة.
- تسهيل التواصل بين الأشخاص، الذي يأتي بشكلين: متزامن يسمح بالمشاركة الآنية، وغير متزامن يسمح للمستخدم بالرد على الرسائل في الوقت المناسب.

وعليه فالتفاعلية اتصال تبادلي تختفي فيه الحدود الفاصلة بين المرسل والمتلقي، بحيث تتحول استجابات المتلقي إلى منبهات جديدة يستقبلها المرسل وستجيب لها، فيتبادلان الدوار، وهذا ما يظهر في نوادي احوار والمناقشة والدردشة وتبادل الرسائل الفورية المباشرة على مواقع الويب المتخصصة من خلال خاصية التغذية الراجعة أو رجع الصدى.

2- وظائف الإنترنت:

دأبت بعض الأدبيات والمراجع على سرد وحصر استخدامات الانترنت ووظائفها في: خدمة البريد الإلكتروني، خدمة نقل الملفات، المنتديات والمدونات، الدردشة Chat واجتماعات الشبكة Net-meeting ...إلخ، فبالإضافة إلى هذا الوظائف الاتصالية –سابقة الذكر–، هناك الوظيفة الإخبارية الإعلامية والوظيفة الترفيهية. إن هذا السرد المبسط والاختزالي للإنترنت، يُسقط من اعتباره العديد من الاستخدامات المتنوعة للإنترنت ووظائفها، بسبب أن هذه المنظومة –كما مرّ معنا–، منظومة هجينة تشمل العديد من التكنولوجيات المترابطة ببعضها البعض والتي تمتاز بالديناميكية والتطور المستمر والدائم، وبالتالي يصعب التحكم وضبط مميزاتها وخصائصها.

هذه الصعوبة، تقتضي النظر إلى وظائف الإنترنت واستخداماتها في شكل محاور أو أنماط أو ثيمات كبرى، يمكن من خلالها الإلمام والإحاطة بها بشكل جيّد. وفي هذا الإطار يرى برولكس أن هناك أنماط

كبرى لاستخدامات الإنترنت مرتبطة أساساً بالتحولات داخل المجتمع، إذ يرى أن هناك أربع محاور رئيسية تشكّل المشهد الذي يتم فيه –الآن أو في المستقبل القريب– بعض التحولات الهامة في التعبير عن العلاقات الاجتماعية بين الفاعلين، وهي نمط الإنتاج، الاستهلاك، الاتصال والمعرفة[1].

أولاً: نمط الإنتاج Mode de production: حيث تُتيح تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (TIC) وخاصة الإنترنت المرونة في تنظيم الشركات والمؤسسات في الشبكة إذ أصبحت عملية الإنتاج وتوزيع السلع والخدمات مرتبط بشكل مباشر بخط صناعي من خلال تكنولوجيات الاعلام والاتصال، وأصبح الحديث عن مرحلة "ما بعد الفوردية*" نسبة إلى فورد، ومن نتائج ارتباط الإنتاج بتكنولوجيات الاعلام والاتصال: جودة الإنتاجية، ظهور ممارسات جديدة للإدارة مثل العمل عن بعد والتعاون الجماعي المتبادل. وفي نفس السياق –نمط الإنتاج– يُمكّن استخدام الإنترنت من قبل الفاعلين الوصول إلى الأسواق العالمية، وتوسيع قاعدة العملاء من خلا تسهيل الإجراءات والنقل والخدمات الجمركية[2].

ثانياً: نمط الاستهلاك Mode de consommation: إن ظهور التجارة الإلكترونية سمح بظهور عمليات الشراء عبر الخط والتي أحدثت "ثورة تجارية"، فظهرت أشكال في المعاملات التجارية منها: تلك التي تكون بين الشركات والمؤسسات الاقتصادية Business to business، وبين شخص وشخص آخر Person to person، وهناك أيضا المعاملات التجارية بين الشركات والأفراد Persons to business. وتطور الحال فأصبحت السلعة افتراضية والدفع افتراضي بالعملات الافتراضية. وبالتالي ما نعتقده أنه أكوان متوازية قد تم بناؤه على أنها حياة ثانية second life، حيث يمكن للجميع أن يعيشوا حياة مختلفة تندمج فيها مكونات الحياة اليومية، ومنها الاستهلاك. أحسن مثال على ذلك، التجارة الإلكترونية e-commerce، وفي تعريفها البسيط هي شراء وبيع السلع والخدمات عن طريق شبكة الإنترنت، فهي نشاط تُستخدم فيه تكنولوجيات الاعلام والاتصال لزيادة المبيعات وكفاءة الأعمال وتوفير المنتجات والخدمات، حيث تتواصل كل شركة مع العديد من المنظمات والكيانات الأخرى، مثل العملاء والموردين والشركاء...إلخ، ويُتيح تدفق المعلومات

[1] Proulx, Serge. Pratiques d'Internet et numérisation des sociétés. 2002. <http://www.sergeproulx.info>.

* يرى المختصون أن العمل المرن أصبح يميز بشكل متزايد المنشآت والاقتصاديات الصناعية في مجتمع ما بعد الصناعة، وهي تقوم على تبني تنظيم للعمل، وللمهارات، والميكنة يواكب السوق المتغير والبيئة التكنولوجية للإقتصاد.

[2] Nwamen, Fidèle. «Impact des technologies de l'information et de la communication sur la performance commerciale des entreprises.» La Revue des Sciences de Gestion 2006: p 15.

عبر شبكة الإنترنت بين هذه الكيانات المتشابكة فيما بينها إلى زيادة عدد مستخدمي الإنترنت وبالتالي زيادة حجم وربحية التجارة والخدمات[1].

التفت العديد من علماء الاجتماع إلى دراسة ظاهرة ممارسات الشراء عبر الإنترنت، خاصة ما أصبح ما يُعرف بالمستهلك المتصل أو عبر الخط le consommateur connecté، إذ يقوم المستخدمون عبر الإنترنت بشراء السلع الثقافية والخدمات والمواد الاستهلاكية الأولية مثل الغداء، وهكذا أدى الانتشار الواسع لتكنولوجيات الإعلام والاتصال خاصة منها المحمولة منها، إلى تغيير في علاقة المستهلك بالسلعة أو الخدمة المطلوبة، فالاتصال المستمر Ubiquitous سمح للمستخدم بتكييف وتطوير تجربة التسوق الإلكتروني لديه، وأصبحت له دراية معلوماتية كبيرة حول جودة المنتجات والخدمات، وأصبح العميل "الزبون" هو الصوت المهمين في عملية البيع والشراء من خلال التفاوض على القيمة والجودة، مما نتج عنه تحول في السلطة التي كانت في يد المنِتج وباتجاه واحد، حيث المنتج له القوة لأنه يتحكم في زر الإرسال، فتحولت هذه السلطة بسبب تكنولوجيات الاعلام والاتصال إلى يد المستهلك وأصبح زر الإرسال في متناول جميع أطراف العملية التجارية، ليجد المنتج نفسه في وضع المستمع الجيد إذا كان يرغب في البقاء والازدهار[2].

ثالثاً: نمط الاتصال Mode de communication: أصبحت الوسائط التقنية حاضرة بشكل كبير في علاقات التواصل الاجتماعي، وتحت مسمى المجتمعات الافتراضية، ظهرت شبكات جديدة من التقارب والتضامن الأفقي العالمي، بدءا بصفحات الويب، والبريد الإلكتروني، وغرف الدردشة وصولاً إلى المنتديات والمدونات Blogs، وأخيراً مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك، تويتر، يوتوب..إلخ[3]، والتي تعتبر النماذج الأكثر تطورا لحد الآن في التواصل الشبكي.

ويرى الحمامي، أن شبكة الإنترنت في جانبها الاتصالي تتكون من ثلاث منظومات مختلفة[4]:

[1] Išoraitė, Margarita et Neringa Miniotienė. «Electronic Commerce: Theory and Practice.» Integrated Journal of Business and Economics 2018: p73.

[2]Coussement, Martha Anne et Thomas J Teague. «The new customer-facing technology: mobile and the constantly-connected consumer.» Journal of Hospitality and Tourism Technology 2013: p 184.

[3] Proulx, Serge. ibid.

[4] الصادق الحمامي. مرجع سبق ذكره، ص ص 84،85.

أ: المنظومة المؤسسية: تنتج المؤسسات بأصنافها المختلفة (مؤسسات اقتصادية، منظمات دولية، جمعيات، مؤسسات حكومية) كماً هائلاً من المضامين الإلكترونية بهدف الاتصال بجمهورها، ولهذه المضامين هدف تجاري أو اتصالي أو وظيفي، وتخضع هذه المضامين لقواعد الاتصال المؤسساتي.

ب: المنظومة الفردية–الجماعية: يستعمل الأشخاص والجماعات شبكة الإنترنت للتواصل وبناء علاقات اجتماعية جديدة أو للتعبير عن آرائهم، ولهذه المضامين طابع خاص وحميمي وذاتي أو عام سياسي وفكري.

ج: المنظومة الصحفية–الإعلامية: وتحيل على المؤسسات التي تنشط في مجال صناعة المعلومات، أي تلك التي يمثل الاعلام نشاطها الاقتصادي الرئيسي، وتشمل: الصحافة الإلكترونية المحضة أو مواقع الويب وحسابات مواقع التواصل الاجتماعي التي هي امتداد لمضامين إعلامية كلاسيكية (تقليدية)، مثل: الصحافة المكتوبة، الإذاعة والتلفزيون.

رابعاً: نمط المعرفة Mode de connaissance: نسجت الإنترنت أنماطا جديدة من المعرفة، حيث أن إدماج تكنولوجيات الاعلام والاتصال في البيئة التعليمية نجم عنه إعادة تشكيل العملية التعليمية متجاوزة المقاربة التقليدية، والتي تركز على نقل المحتوى من قبل المعلم إلى الطلاب، إلى مقاربة أخرى تتمثل في التعليم الذاتي Méta-apprentissages، يكون فيه الطلاب مسؤولون إلى حد كبير عن تعلمهم بأنفسهم وتعميق معارفهم المكتسبة، من خلا طرح الأسئلة على أنفسهم والتفكير في الإجابة عنها، مما يُتيح اكتساب مهارات للتعلم الذاتي. وتلعب الشبكة العنكبوتية دوراً هاماً في ذلك، وأحسن مثال على ذلك هو التعليم عبر الخط Online learning، والذي يشمل مجموعة من التقنيات مثل الويب، البريد الإلكتروني، الدردشة، المحاضرات الصوتية والبصرية، كل هذه الوسائط تقوم بنقل المعرفة للمتعلم وفقاً لما يناسبه، وهنا يقتصر دور المعلم على التسيير والتوجيه أكثر منه كناقل للمعرفة، وبذلك تتأسس تكنولوجيات الاعلام والاتصال كمورد يُعزز تجربة التعلُم عند الطلبة[1].

إن نظام المعلومات والاتصال الجديد الذي يتمحور حوله الإنترنت يُوفر إمكانات جديدة بشكل أساسي يسمح في سياق العولمة بعدد كبير جدا للجهات الفاعلة لإدخال نفسها في منطق التبادل

[1] Dhull, Indira et MS Sakshi. «Online Learning.» International Education & Research Journal 2017: p 32.

والإنتاج[1]. وقد يكون هذا التبادل في شكل اتصال أو البحث عن المعلومة والمعرفة أو انتاج واستهلاك مادي أو معنوي. وبالتالي هناك تحول ملموس وملاحظ في عمليات التبادل والإنتاج التي تلعب فيها الإنترنت دور الوساطة.

المطلب الثاني: من الانتشار ووعود القطيعة إلى الفجوة الرقمية

1-الانتشار والفجوة الرقمية

إن استخدم الأنترنت منذ اتاحتها للمدنيين في تسعينات القرن الماضي إلى يومنا هذا في تطور مستمر، فقد أصبحت الوسائط المتعددة السمة الأبرز والتي أعادت تشكيل وهيكلة ما يسمى بالوسائط التقليدية مثل التلفزيون، والسينما وغيرها، كما أعادت مواقع التواصل الاجتماعي هيكلة أشكال الهوية وقواعد الحميمية، فظهرت الهوية الافتراضية على الخط، واستمر انتشار الأنترنت لتغطي المجالين العام والخاص[2].

يعرف الاتحاد الدولي للاتصالات الفجوة الرقمية بأنها عدم المساواة في فرص النفاذ أو الوصول إلى الأنترنت عبر وسائل وتقنيات الاتصال (الحاسوب، الهاتف، الانترنت، الهاتف الثابت، الحزم العريضة)، قد تكون الفجوة بين الدول المتقدمة والمتخلفة، أو بين دول ضمن مجموعة واحدة، أو داخل البلد الواحد بين المدن والإرياف، أو بين الإسكان بحسب خصائص العمر والجنس والدخل وحتى العرق[3].

رغم اختلاف السياقات، هناك مجموعة من الأسباب المشتركة التي تؤدي إلى الفجوة الرقمية، ويمكن تلخيصها في أربع فئات رئيسية: التطور السريع للتكنولوجيا واحتكارها من قبل بعض الدول أو الشركات في مقابل ضعف اندماج الدول النامية في البيئة الرقمية، ارتفاع تكلفة تطبيق التكنولوجيا وتحكم القوى الكبرى

[1] Griset, Pascal. «L'émergence d'Internet. Entre imaginaire universel et réalités américaines.» *Le Débat* 160.3 (2010), p147. < https://www-cairn-info.www.sndl1.arn.dz/revue-le-debat-2010-3-page-132.htm>.

[2] Beuscart, Jean-Samuel, Éric Dagiral and Sylvain Parasie. Sociologie d'internet. Paris: Armand Colin, 2016, p 47.

[3] الإتحاد الدولي للإتصالات، نقلا عن: يوسف كودية و محمد زرقون. "الفجوة الرقمية وامتداداتها: دراسة تحليلية على ضوء المؤشرات العالمية." *مجلة الدراسات المالية والمجاسبية* العدد 8 (2017): ص، 75. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/93388

في الأسواق، عدم وجود تشريعات كافية في بعض الدول مما يعيق تدم مجتمع المعلومات، إضافة إلى نقص التدريب وتفاوت الوعي بأهمي التكنولوجيا ي الحياة اليومية[1].

تشمل الفجوة الرقمية مجموعة واسعة من الجوانب التي تعكس التفاوت في الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة، وعلى رأسها الأنترنت وتقنيات المعلومات والاتصال، ومن أبرز مكونات هذه الفجوة الاختلاف في إمكانية الوصول إلى البنية التحتية الرقمية (شبكات الأنترنت ذات اسرعه العالية، أجهزة الحاسوب، الهواتف الذكية)، ففي الوقت الذي تمتلك فيه الدول المتقدمة شبكات قوية ومجهزة تعاني العديد من الدول النامية من ضعف التغطية أو ارتفاع تكاليف الاشتراك، ما يجعل استخدامها مقتصرا على فئات محدودة. كما تشمل الفجوة كذلك الاختلاف في جودة الخدمات الرقمية المقدمة، ومدى شمولها لمجالات الحياة المختلفة، كالتعليم والصحة والإدارة[2].

لا تقتصر الفجوة الرقمية على البنية التحتية فقط، بل تمتد إلى أجانب المعرفي والبشري أيضا حيث يبرز التفاوت في المهارات الرقمية بين الافراد والمجتمعات، ففي حين يجيد سكان الدول المتقدمة استخدام أدوات التكنولوجيا بشكل يومي في العمل والتعليم والتواصل، يواجه الكثير من سكان الدول النامية صعوبات في التفاعل مع هذه الوسائل بسبب ضعف التكوين أو غيابه من الأساس. كما نجد أن طريقة توظيف التكنولوجيا تختلف بين الدول، فهناك من يستخدمها للإبداع والبحث والتطوير، وهناك من يقتصر استخدامها لديه على الترفيه فقط، وهو ما يساهم ي تعميق الفجوة بدل تقليصها. وبالتالي فأن الفجوة تعتبر متعددة الابعاد تجمع بين ما هو مادي وتقني، وما هو معرفي وتكويني[3].

تعد وسائل الاعلام من العوامل الأساسية التي يعتمد عليها في وضع مؤشرات لقياس مدى تطور البنية لتحتية الرقمية والتنظيمية في المجتمعات، وتستخدم هذه المؤشرات لتقييم مستوى جاهزية الدول للدخول في الاقتصاد الرقمي، ومدى تفاعلها مع متطلبات العصر الرقمي، من أبرزها مؤشر الجاهزية الشبكية الذي تعده منظمة المنتدى الاقتصادي العالمي، تعتمد المؤشرات على مجموعة من المعايير النوعية

[1] يوسف كودية و محمد زرقون. "الفجوة الرقمية وامتداداتها: دراسة تحليلية على ضوء المؤشرات العالمية." *مجلة الدراسات المالية والمجاسبية* العدد 8 (2017): ص، 77. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/93388

[2] نفس المرجع. ص، 76.

[3] نفس المرجع. ص، 76.

والكمية مثل مدى انتشار الأنترنت، ومستوى التعليم الرقمي، بالإضافة إلى جاهزية البيئة التنظيمية والتشريعية للتكيف مع التطورات المتسارعة في مجال تقنية المعلومات[1].

ساهم انتشار المعلومات وسهولة الوصول إليها في تغيير نمط التفكير والسلوك الإنساني، إذ لم يعد الفرد يعتمد فقط على الأساليب التقليدية للبحث والمعرفة، بل بات يستخدم وسائل حديثة تعزز من قدرته على التفكير القدي والتحليلي. وفي ظل هذا التحول، أصبحت المجتمعات التي تواكب التطور التكنولوجي أكثر قدرة على الابتكار والابداع وتحقيق التقدم، بينا تظل المجتمعات الأخرى حبيسة التبعية والتخلف، لذلك فإن امتلاك المعرفة التقنية والانفتاح على الابتكارات الحديثة يعدان من ضروريات العصر[2].

2-الأنترنت ووعود القطيعة:

منذ ظهور الأنترنت وانتشارها شيدت حولها تصورات حالمة، تنزلها منزلة "اليوتوبيا الرقمية" القادرة على احداث قطيعة جذرية مع الأنظمة الاجتماعية التقليدية، والتأسيس لعالم جديد قوامه الاتصال الفوري، الشبكة التفاعلية، والمشاركة المفتوحة. وينظر للأنترنت ليس فقط كأداة تواصل، بل كقوة تحويلية يعول عليها في إعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية، الاقتصادية، والثقافية.

ومن هذا المنظور تبنى يوتوبيا الأنترنت على ثلاثة وعود أساسية[3]:

ا- الوعد الافتراضي:

يقوم هذا الوعد على إتاحة إمكانية التفاعل داخل مجتمعات افتراضية لا تعترف بحواجز المكان و لا بقيود الجسد الفيزيائي. فأصبحت الفضاءات الرقمية مكانا لتشكل تجمعات اجتماعية جديدة، يتشارك فيها الأفراد أنشطة معرفية وثقافية، ويعيدون من خلالها انتاج أدوارهم وهوياتهم.

يفهم هذا المجتمع الافتراضي كحيز مستقل نسبيا عن الواقع المادي مما يجعل من الأنترنت بيئة خصبة لاكتشاف الذات والانخراط في علاقات تتجاوز قيود الواقع الاجتماعي. لكن هذا الوعد يحمل

[1] نفس المرجع، ص 84.

[2] عبدالله الزين الحيدري. "الإعلام الجديد: النظام والفوضى." *أبحاث المؤتمر الدولي: الإعلام الجديد: تكنولوجيات جديدة لعالم جديد* (7-9 أفريل 2009). ص ص، 130، 131.

[3] Beuscart, Jean-Samuel, Éric Dagiral and Sylvain Parasie. *ibid*, p36.

في طياته مخاطرا خفية، إذ يستخدم لتسطيح العلاقات الاجتماعية وتحويلها إلى مجرد تفاعلات سطحية خالية من العمق والالتزام الإنساني.

ت- الوعد الديمقراطي:

ينبني الوعد الثاني على خصائص الأنترنت كوسيلة لا مركزية وأفقية، تتيح لكل فرد فرصة المشاركة، دون المرور عبر وسطاء أو نخب تقليدية. فبفضل المنتديات، المدونات، وشبكات التواصل الاجتماعي، أصبح من الممكن للفرد التعبير على آرائه، وتشكيل الرأي العام، والمساهمة في النقاشات السياسية والثقافية. لقد أصبحت هذه الإمكانيات حلم الديمقراطية الرقمية، حيث تكون السيادة للمستخدم، ويعاد توزيع السلطة الرمزية على نحو أكثر عدالة، غير أن هذه اليوتوبيا تصطدم بواقع مركب، يتمثل في هيمنة الشركات الكبرى على الفضاء الرقمي، وتوجيهها للمحتوى فضلا عن أنظمة الرقابة والخوارزميات التي تعيد إنتاج الهيمنة بدل تفكيكها.

ج- الوعد الاقتصادي:

يعتبر التكامل بين الأنترنت والاقتصاد من أبرز تجليات القطيعة مع النموذج الصناعي التقليدي، حيث ظهر ما يعرف بالاقتصاد الرقمي. تقوم هذه اليوتوبيا على إتاحة الفرصة أمام أي فرد ليصبح منتجا أو فاعلا في السوق من خلال التجارة الإلكتروني، السلع الرقمية، التسوق الافتراضي...إلخ.

ورغم أن هذا النموذج يحمل في طياته وعودا بتحقيق العدالة الاقتصادية والتقليل من احتكار السوق، إلا أنه أدى في كثير من الأحيان إلى توسع الفجوة الرقمية، وهيمنة بعض الشركات العابرة للقارات على أدوات الإنتاج والتوزيع مما جعل هذا التحرر الاقتصادي مجرد وهم.

في سياق نقد هذه اليوتوبيا يقارن باتريس فليسي (Flichy) بين انتشار الراديو في بداية القرن العشرين وسرعة انتشارا لأنترنت في العصر الحالي، مشيرا إلى أن كليهما حمل معه خطابات تحمل رؤى مستقبلية، ويؤكد أن التقنيات الحديثة، بما فيها الأنترنت، أصبحت جزءا أساسيا من الثقافة المشتركة

بين الأجيال القديمة والجديدة. لذلك يرى أنه من الضروري أن يركز علم الاجتماع على تحليل الخطابات المرتبطة بهذه التقنيات بعيدا عن الافراط في المدح أو النقد السلبي[1].

لا يمكن إنكار أن الخصائص التقنية والاقتصادية للشبكات الحديثة تشكل تحديا كبيرا في فرض السيطرة عليها، فالأنترنت باعتباره بيئة رقمية مفتوحة ووسيطا عالميا لا تحكمه حدود جغرافية، قد أسهم في تسهيل التواصل وتبادل المعلومات بشكل غير مسبوق، لكنه في المقابل أصبح أرضا خصبة لظهور تهديدات متزايدة ومتنوعة كالإرهاب الإلكتروني، والتطرف، والعنصرية، ويرها من الظواهر اتي يصعب ضبطها أو القضاء عليها.

ومن الخطأ الاعتقاد بأن هذه التكنلوجيا تفرض نتائج محتمة أو مسارا اجتماعيا، أو تقنيا واحدا لا بديل عنه، فالحتمية التقنية التي تفترض أن التكنولوجيا تملي بالضرورة طريقة استخدامها وتأثيرها ليست قاعدة مطلقة، كما أن الحتمية الاجتماعية التي تذهب إلى أن المجتمعات وحدها هي التي تحدد اتجاهات التطور التكنولوجي تظل غير كافية لتفسير الواقع. بل إن ما نلاحظه هو تفاعل معقد ومتشابك بين التكنولوجيا والمجتمع، حيث تنعكس القيم والمشاريع والاهداف التي يحملها الأفراد والمؤسسات في الطريقة التي تستخدم بها هذه الوسائل، وغالبا ما تكون النتائج غير متوقعة سواء من حيث الفوائد أو المخاطر.

ففي بيئة تكنولوجية تتغير بسرعة لا يكون المستخدمون مجرد مستهلكين سلبيين، ب هم فاعلون أساسيون يؤثرون، ويعاد تشكيل التقنية من خلال طرق استخدامها وتوظيفها في الحياة اليومية، مما يجعل من الضروري فهم هذه العلاقة الديناميكية لفهم آثار التكنولوجيا بشكل أعمق وأشمل.

[1] Flichy, Patrice. "Technologies fin de siècle : l'Internet et la radio." *Communiquer à l'ère des réseaux* 2000: 249-271. <https://www.persee.fr/docAsPDF/reso_0751-7971_2000_num_18_100_2221.pdf>.

المبحث الثاني: الشباب والثقافة الرقمية:

الدراسة تدول حول الشباب كفاعلين في استخدام الإنترنت، لذا سوف نتطرق إلى مفهوم الشباب وما يُصاحبه من إشكالات مفهومية وتعريفية لهاته الفئة، ثم سوف نتطرق إلى ثقافة هاته الفئة على أساس أنها ثقافة فرعية من ثقافة عامة ، مركزين على علاقة الإنترنت بالشباب.

المطلب الأول: مفهوم الشباب وعلاقته بالإنترنت:

يفتقر مفهوم " الشباب " إلى تعريف دولي موحد، إلا أن منظمة الأمم المتحدة تعتمد ولغايات إحصائية، تعريفا إجرائيا يحدد فئة الشباب بالأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و24 عاما. ونشأ هذا التعريف في سياق الاعمال التحضيرية للسنة الدولية للشباب 1985 م[1] .

أصبح هذا التعريف مرجعيا في العديد من التقارير والبحوث الدولية التي تعنى بقضايا الشباب وتم تبنيه من قبل المنظمات التابعة للأمم المتحدة كمنظمة الصحة العالمية، اليونيسيف، واليونسكو فبحسب تقريرها لسنة 2020م هناك 1.2 مليار شاب وشابة تتراوح أعمارهم بين 15 و24 عاما، وهو ما يمثل نسبة 16% من سكان العالم. ومع ذلك فإن هذا التعريف العمري يبقى مجرد تعريف إحصائي غرضه التخطيط والقياس، فقد يختلف هذا التحديد من دولة لأخرى ليمتد حتى سن الثلاثين تبعا للأوضاع الثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية السائدة في البلد[2].

ويرى علم الاجتماع أن الشباب ليس مجرد فئة عمرية أو ظرف بيولوجي مرتبط بعامل صغر السن، بل إنها مكانة اجتماعية مكتسبة، لا ترتبط بخيارات الفرد الذاتية. ويستخدم هذا المفهوم في الأدبيات السوسيولوجية بثلاثة طرق رئيسة: طريقة عامة وشاملة تشير إلى مجموعة من المراحل العمرية ضمن دورة الحياة، تمتد من الطفولة المبكرة إلى بدايات مرحلة البلوغ. طريقة ثانية توظف المصطلح كبديل أكثر قبولا لمصطلح المراهقة للدلالة على المرحلة الانتقالية من الطفولة الى البلوغ. أما الاستخدام الثالث وهو الأقل

[1] *الموقع الرسمي لهيئة الأمم المتحدة*. بلا تاريخ. 23 07, 2019. <-https://www.un.org/ar/sections/issues depth/youth-0/index.html

[2] *Youth*. (n.d.). Retrieved 01 13, 2023, from unesco: https://www.unesco.org/en/youth

شيوعيا في وقتنا الراهن، فيرتبط بتوصيف الشباب كمجموعة تواجه مشكلات انفعالية و اجتماعية يعتقد أنها ناجمة عن عمليات التنشئة الاجتماعية داخل المجتمع الحضري الصناعي[1]. وينظر للشباب في المجتمعات الاستهلاكية، كمستهلكين مثاليين لا كفئة بيولوجية. فبسب طبيعتهم الحيوية واندفاعهم للتجديد وقوة حضورهم في السوق وتأثرهم الكبير بوسائل الإعلام والاتصال، تم استهدافهم و التركيز عليهم من قبل المنتجين و المصممين و المعلنين.

كما أن ثقافة الشباب اليوم تشكل عبر عملية تفكيك و إعادة تركيب (Bricolage) لرموز المجتمع و قيمه، مما يؤدي إلى خلق ثقافة فرعية شبابية مميزة تعبر عن أحلامهم و أسلوب حياتهم، وتظهر في مجالات مثل الأخلاق، العمل، السياسة، و الموضة[2].

من الخطأ تصور الشباب ككتلة واحدة متجانسة. فلكل مجتمع شبابه، ولكل فئة شبابية سياقها الاجتماعي و الثقافي الخاص بها. ولهذا فإن مفهوم الشباب يجب أن يفهم على أنه متعدد الأبعاد و يعكس تفاعلات معقدة بين البعد البيولوجي، والنفسي، والثقافي[3].

يعد تالكوت بارسونز (Talcott Parsons) من أبرز من تناولوا مفهوم الشباب من منظور سيسيولوجي، ففي مقال نشره عام 1942م بعنوان: "السن و النوع في البناء الاجتماعي للولايات المتحدة الامريكية" أشار إلى أن تشكل جماعة الشباب في المجتمع الأمريكي لا يحدث بشكل عشوائي بل هو نتيجة مباشرة لوجود "هوة ثقافية" عميقة بين القيم التقليدية التي يتبناها المجتمع و المتغيرات الاجتماعية التي فرضها التحول إلى مجتمع صناعي بيروقراطي. هذه الهوة تنبع من فشل القيم الأساسية التي تقوم عليها الثقافة الامريكية – مثل الفردية، وتحقيق الذات، و النجاح الشخصي – في التكيف مع الظروف الجديدة التي

[1] جوردون مارشال. *موسوعة علم الإجتماع*. المترجمون محمد الجوهري، وآخرون. 1. المجلد 2. المجلي الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 2000، ص 841.

[2] القفصي , جابر .*مقاربة سوسيولوجيّة جديدة للحقل الشّبابي في تونس*-www.csds> .2019 5 20 .s.d .
/center.com/articleمقاربة%20سوسيولوجية%20جديدة%20للحقل%20الشبابي%20في%20تونس.<

[3] عبد الرحيم العطري. *من الانتفاضة إلى سؤال العلائق: مقدمة في سوسيولوجيا الشباب*. بلا تاريخ. 15 03, 2019. <http://www.aranthropos.com/من-الانتفاضة-إلى-سؤال-العلائق/>.

أفرزها النظام الصناعي الحديث، بما يتضمنه من تنظيم بيروقراطي صارم، وتوزيع محدد للأدوار، وتراجع في فرص الحراك الاجتماعي السريع[1].

وفي هذا السياق، يشعر الشباب بأنهم عالقون بين توقعات ثقافية لا يمكنهم تحقيقها وواقع اجتماعي لا يتيح لهم التعبير عن ذواتهم، أو الوصول إلى النجاح بالطرق التقليدية. وكنتيجة لهذا التوتر تتشكل جماعة الشباب كنوع من الاستجابة الاجتماعية و الثقافية حيث يبحث الأفراد من خلالها عن هوية بديلة، و انتماء جديد، يعوضهم عن الانفصال الذي يشعرون به اتجاه القيم السائدة، لذلك تصبح جماعة الشباب ليست فقط انعكاسا لأزمة القيم في المجتمع الصناعي، بل أيضا محاولة لإعادة صياغة التوازن الثقافي من منظورهم الخاص.

كما يرى عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو أن مصطلح "الشباب " لا يمكن التعامل معه باعتباره مفهوما بديهيا أو محددا بشكل مسبق، بل هو كلمة تحمل في طياتها العديد من التمثلات والتصورات الاجتماعية التي غالبا ما تكون مشحونة بالأحكام المسبقة والتعميمات. و لذلك يدعو بورديو إلى تجاوز هذه الصور النمطية التي تلتصق بهذه الفئة العمرية، مؤكدا على ضرورة التحرر من الحكام الاجتماعية الجاهزة التي تختزل الشباب في صفات أو أدوار معينة. ومن أجل فهم دقيق ومعمق لمفهوم الشباب يقترح بورديو اعتماد مقاربة متعددة الأبعاد، تأخذ بعين الاعتبار تداخل مجموعة العوامل المترابطة، تشمل البعد البيولوجي المرتبط بالنمو الجسدي والنضج الفيزيولوجي، والبعد الاجتماعي الذي يتصل بالمكانة والدور الذي يمنح للشباب داخل المجتمع، بالإضافة إلى البعد الثقافي الذي يعكس القيم وأنماط السلوك التي يتبناها الشباب ويتفاعلون من خلالها مع محيطهم. وبهذه الطريقة يمكن مقاربة مفهوم الشباب بشكل أكثر علمية وشمولية، بعيدا عن التبسيط والاختزال[2].

[1] حسيبة لولي. "الثقافة الرقمية في وسط الشباب." *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية* العدد 29 (2017): ص، 62. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/46633>

[2] Max , Mendome Ntoma. *Transformations des pratiques d'information des jeunes français de 15-25 ans à l'ère numérique, Sciences de l'information et de la communication. Université de Lorraine*. Français, 2016. P167.

يشهد العصر الحالي تحولا جوهريا في أنماط التفاعل الاجتماعي و الثقافي، مدفوعا بالتطورات التكنولوجية المتسارعة، لاسيما في مجال الأنترنت و الوسائط الرقمية، وقد أثر هذا التحول بشكل مباشر على فئة الشباب.

يطلق على الشباب الذين ولدوا في ظل هذا العصر، مصطلحات مثل "الجيل الرقمي" (X أو Digital natives)، وهو مفهوم قدمه الباحث مارك برينسكي (Marc Prenski) في كتابه " Digital natives, digital immigrants " لوصف علاقة هذا الجيل الفريدة بالتكنولوجيا الجديدة للإعلام و الاتصال. فهم ينتمون إلى حقبة زمنية امتزجت فيها حياتهم الواقعية بالافتراضية حيث يفضلون الاعتماد على المصادر الرقمية في البحث عن المعلومات أو متابعة الأخبار بدلا من الوسائل التقليدية كالصحف المطبوعة. كما يبرعون في استخدام منصات التواصل الاجتماعي لاكتساب المعارف وتبادل الثقافات، مما يعكس تحولا جذريا في أنماط التعلم والتواصل[1]. ومن السمات الأساسية لهذا الجيل قدرتهم على التكيف السريع مع الأدوات الرقمية واستخدامها لحل المشكلات اليومية، سواء في المجال الأكاديمي أو الشخصي مما يجعلهم أكثر انفتاحا على العالم مقارنة بالأجيال السابقة التي تعاملت مع التكنولوجيا كمجرد تقنية مساعدة لا كبيئة حياتية شاملة.

يظهر الشباب اليوم رغبة قوية في المشاركة والتفاعل، ليس فقط في الواقع، بل أيضا في الفضاء الرقمي، فهم يميلون إلى التعبير عن أنفسهم بحرية على مواقع التواصل ويشاركون يومياتهم ويتفاعلون مع الآخرين من خلال التعليقات، الإعجابات، والمراسلات، ويسعون نحو التميز والإبداع، ويعتبرون الأنترنت فضاء مفتوحا للتجربة والاختيار، وهو ما يمنحهم شعورا بالاستقلالية والثقة في النفس. كما تستخدم الأنترنت في بناء هوية رقمية، وتشكيل علاقات اجتماعية جديدة، وتبادل قيم ورموز ثقافية. مما ينتج عنه ظاهرة فريدة تتسم بالديناميكية والتأثير المتبادل بين الأفراد، وتعكس مستوى عاليا من الوعي الرقمي والكفاءة التكنولوجية.

[1] زكريا جقريف. *الإنترنت والشباب الجامعي في الجزائر: دراسة في الإستخدامات والاشباعات، أطروحة دكتوراه علوم*. جامعة الجزائر3، كلية علوم الإعلام والاتصال، 2018-2019. ص ص، 96، 97,

يمثل الشباب وخصوصا فئة المراهقين ظاهرة ثقافية وإعلامية ذات أهمية اجتماعية بالغة، حيث يتميزون بتبادل مكثف للمواد الثقافية والتواصلية، إضافة إلى تبنيهم لأنماط سلوكية لافتة تحمل رموزا ودلالات متعددة. وتعد وسائل الاعلام والاتصال سواء التقليدية أو الرقمية عنصرا محوريا في حياتهم اليومية، إذ تتداخل بشكل مستمر مع مختلف جوانبها، من العمل إلى الترفيه والتعليم. ولم تعد هذه الوسائط كما يقول الباحث الاجتماعي وعالم الأنثروبولوجيا الفرنسي مرسال موس مجرد أدوات، بل تحولت إلى ظواهر اجتماعية تدفع مستخدميها، خصوصا الشباب، إلى التفاعل الدائم ومجابهة تحديات متجددة[1].

ولذلك، فإن دراسة علاقة الشباب بالأنترنت تعد من المواضيع الحيوية التي تشغل اهتمام الباحثين في علوم الاجتماع، وتعكس بوضوح التغيرات التي يعرفها العالم الرقمي، وعن كيفية تعامل الأجيال الصاعدة مع هذه التحولات المتسارعة سواء من حيث الاستهلاك الرقمي، او الابداع، أو الانخراط في الحياة المجتمعية.

المطلب الثاني: الثقافة الرقمية كثقافة فرعية:

يشير الاستخدام الواسع والشامل لمفهوم "الثقافة الرقمية" إلى ارتباطه العميق بمفهوم "الثقافة الفرعية"، والتي تنظر إلى نشوء الثقافات الفرعية باعتبارها استجابة ديناميكية ومبتكرة للتحديات والمشكلات التي يواجهها الأفراد داخل المجتمع الكبير. وفي هذا السياق، تكون الثقافة الفرعية كنوع من الحلول الرمزية أو النفسية التي يلجأ إليها الأفراد للتعبير عن طموحاتهم المكبوتة أو غير المحققة، أو كرد فعل على وضعهم الاجتماعي غير الواضح أو الهامشي ضمن الإطار الثقافي السائد[2].

تتميز الثقافات الفرعية بكونها كيانات مستقلة نسبيا، تمتلك خصائصها ورموزها وسلوكياتها الخاصة، إلا أنها لا تشأ في فراغ، بل تستمد الكثير من عناصرها من الثقافة الأم، فهي غالبا ما تقوم باقتباس قيم ورموز ومعتقدات المجتمع الأكبر، لكنها لا تكتفي بنقلها كما هي، بل تعيد توظيفها بأساليب جديدة قد

[1] يوسف رمضان، نقلا عن: سعد بلمدني. "استخدام الشباب للوسائط التكنولوجيا الحديثة وميلاد ثقافة اتصالية جديدة." *مجلة متون* 2018: ص ص،82، 85. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/110682>

[2] جوردن مارشال. مرجع سبق ذكره، ص 520

تنطوي على المبالغة، أو التشويه، أو حتى التقليب الجذري لمعانيها. وبهذا الشكل تتحول هذه الرموز إلى أدوات تعبير عن هوية فرعية متميزة، تستخدم أحيانا لرفض الواقع أو نقده أو التمرد عليه[1].

وعندما نطبق هذا الإطار المفاهيمي على الثقافة الرقمية، يمكن اعتبارها شكلا معاصرا من أشكال الثقافات الفرعية، نشأت نتيجة التغيرات الكبيرة التي فرضها العصر الرقمي. فقد وفرت الأنترنت للأفراد مساحات جديدة للتعبير والتفاعل وتشكيل مجتمعات افتراضية تشترك في أنماط سلوكية وقيم مميزة قد تتعارض أو تختلف عن تلك التي يفرضها المجتمع التقليدي.

وتنطوي الثقافة الرقمية على عدة دلائل يمكن أن تعطي لنا تصور عام عن هذه الثقافة نستطيع اجمالها فيما يلي[2]:

1- الأنترنت كبديل لوسائل الإعلام:

أحدثت الأنترنت تحولا جذريا في طبيعة الإعلام ووسائل لاتصال القديمة (الصحافة، الراديو، التلفزيون...) فقد وفرت فضاء رقميا مفتوحا يتيح الوصول الفوري إلى الأخبار والمعلومات بسرعة وسهولة من مصادر متنوعة، وخلقت إعلاما بديلا يتجاوز الرقابة والقيود المفروضة على بعض الوسائل القديمة، كما امتدت لتشمل وسائل الاتصال فتنوعت تطبيقات المحادثة ومواقع التواصل الاجتماعي والمنصات الرقمية. لتصبح جزءا أساسيا من الحياة اليومية وتعيد تشكيل العلاقات الاجتماعية والثقافية وتسهم في بناء مجتمعات رقمية جديدة.

2- تملك المعرفة والمعلومات الرقمية:

تمثل الأنترنت في وقتنا الحالي أكبر دعامة حاملة للمعلومات والمعرفة حيث توفر كما هائلا من البيانات في أشكال مختلفة مثل النصوص، الصور، والأصوات. وتعد وسيلة فعالة للوصول إلى المعرفة من مختلف المصادر العالمية مما يجعلها أداة لا غنى عنها في مجالات البحث والتواصل والتعليم. إلا أن خاصية

[1] المرجع نفسه، ص 520.

[2] Max , Mendome Ntoma. *Transformations des pratiques d'information des jeunes français de 15-25 ans à l'ère numérique, Sciences de l'information et de la communication. Université de Lorraine*. Français, 2016, pp 28-34.

السرعة المفرطة في استهلاك المعلومات تؤدي غالبا إلى ضعف في الاستيعاب والتركيز، وتجعل من الصعب الاحتفاظ بها في الذاكرة على المدى الطويل وتضعف من الفهم وتحول دون بناء معرفة راسخة، ويقتصر دور المستخدم على التلقي السطحي عوضا عن التمكن والمعرفة العميقة.

3- التعبير عن الذات كإنتاج:

تتيح العدة التكنولوجية (مثل الهواتف الذكية، الحواسيب، والبرمجيات)، والأدوات الرقمية (البرامج، أو التطبيقات، أو المنصات التي تستخدم عبر الأجهزة الالكترونية) للشباب إمكانية الولوج إلى الفضاء الرقمي والمشاركة فيه بفاعلية، فيتحولون من متلقين سلبيين إلى فاعلين ومنتجين للمحتوى ومؤثرين في الرأي العام من خلال رسائل رقمية ذات طابع شخصي أو جماعي عبر منصات مثل اليوتيوب، أنستغرام، تيك توك، تعكس هويتهم وتصوراتهم للعالم.

وتتجاوز هذه الرسائل الجانب التواصلي إلى جانب أعمق يتمثل في انتاج المعنى، وفي هذا السياق يظهر مفهوم "التعبير الرقمي" بين الشباب كشكل حديث من التعبير عن الذات، يمكن المستخدم من صناعة محتوى يعبر عن أفكاره، مشاعره، مواقفه، وهويته عن طريق إنشاء نصوص، تصميم مقاطع فيديو وصور، ويتميز هذا المحتوى بخصوصيته وارتباطه بالشخص ذاته، مما يعكس طابعا فرديا وإبداعيا.

ويتضمن التعبير الرقمي بعدين أساسيين هما: البعد المنشود المرتبط بهدف الرسالة أو الغاية من التعبير، والبعد الطقوسي الذي يعكس الحضور الرقمي للفرد داخل جماعته أو محيطه الافتراضي. إن التحول العميق و الكرونولوجي للمجتمعات خاصة الغربية منها، جعلت الفرد مركزا للمجتمع وقيمته الجوهرية ومحورها الرئيسي، والفردانية سمة بارزة للمجتمعات الحديثة و ما بعد الحديثة، فالمعلومات في عصرنا الحالي و الحديث لم تعد حكرا على المؤسسات أو الخبراء، بل أصبحت نتاجا لذلك الفرد المستقل ذاتيا، القادر على الوصول إلى المعرفة، معالجتها، وإعادة صياغتها وفق رؤيته الخاصة معتمدا على الأدوات الرقمية، وتحويلها إلى وسيلة للتعبير والتأثير ليصبح كل محتوى ينشأ بمثابة مساهمة فردية في بناء المعنى داخل مجتمع المعلومات.

وفي ظل هذا التحول أصبح الفرد المعاصر يسعى إلى معرفة كل ما يحدث من حوله وهذه الرغبة المتزايدة جعلته مستهلكا كبيرا للمادة الإعلامية المكتوبة والسمعية والبصرية.

4- ثقافة التحول إلى استخدام التكنولوجيا والمعلومات:

لا يمكن إنكار الدور المحوري الذي لعبه الكتاب لفترة طويلة في نقل الثقافة، حيث كان الوسيلة الأكثر فاعلية، لكن مع اختراع الأنترنت وتطور الأجهزة الذكية، وظهور تقنيات الحوسبة والذكاء الاصطناعي، عرف العالم تحولا في الممارسات الثقافية.

ويرى سارج تيسرون Serge Tisseron المحلل النفسي الفرنسي والمعروف بأبحاثه في مجال العلاقة بين الانسان والتكنولوجيا، أن هذا التحول حدث في ثلاث ميادين[1]:

أ- المجال الثقافي:

ينجم عن علاقة الفرد بالكتاب ثقافة فردية بامتياز، يتطلب فيها الانتباه والقدرة على التحليل، تسمح للقارئ أن يسير وفق وتيرته الخاصة، ويعيد القراءة مرة أخرى، ويسجل ملاحظاته بالرغم من أن نفس الكتاب قد تتم قراءته من قبل عدة قراء، أما الثقافة الرقمية فهي عكس ذلك تماما فالعلاقة مع الشاشة تشعر المستخدم أنه مرتبط مع أشخاص آخرين يراقبون نفس المحتوى مثل الأخبار، الأحداث الرياضية، ألعاب الفيديو على الخط، برامج ترفيهية... إلخ. بالإضافة إلى ما يسمى تشظي الشاشات الذي يؤدي إلى التشتت وقلة التركيز بسبب تعدد وتنوع الشاشات التي يتعامل معها الفرد في آن واحد.

ب- المجال النفسي:

هناك اختلافات كبيرة في التأثير النفسي للثقافتين على الفرد، ثقافة الكتاب والثقافة الرقمية، ففي ثقافة الكتاب تنشأ علاقة وجدانية وهادئة مع النص يشعر فيها القارئ بالخصوصية التي تساعده على التفكير الذاتي وتشكل هويته الخاصة. أما في الثقافة الرقمية يطور الشباب هويات متعددة حسب تعدد الفضاءات مثل ألعاب الفيديو، والسوشيل ميديا...، والتي يستثمرونها في الحياة الافتراضية وهي أيضا نوع من أنواع التمرد والتملص من القوانين، وبالتالي فإن ثقافة التغيير والادعاء هي الصفة البارزة للثقافة الرقمية.

[1] Max , Mendome Ntoma. *ibid*, pp 37-39.

ث- المجال المعرفي:

يوجد فرق واضح بين ثقافة الكتاب والثقافة الرقمية، ففي ثقافة الكتاب ينخرط القارئ في عملية فكرية عميقة تتطلب التركيز والتأمل ويمضي وقتا طويلا في استيعاب الأفكار وربطها بمعلومات أخرى وهو ما ينمي لديه التفكير النقدي والتحليل، في المقابل تعتمد الثقافة الرقمية على الوصول السريع للمعلومات مما يؤدي في الغالب إلى القراءة السطحية والمجزأة. كما أن الاعتماد الكبير على الوسائط الرقمية يضعف تدريجيا الذاكرة البشرية ويفضي إلى نوع من الكسل المعرفي خاصة مع انتشار الفيديوهات القصيرة والمحتوى المختصر، على عكس القراءة الورقية التي تساهم في تثبيت المعلومات داخل الذاكرة طويلة المدى، لأن القارئ يتفاعل مع المحتوى بعيدا عن الإلهاءات والمشتتات التكنولوجية. ورغم إيجابية الثقافة الرقمية في نشر المعلومات والأخبار بشكل سريع إلا أنها لا تقارن بموثوقية الكتب والمصادر العلمية الأصلية. لا يمكن اعتبار الثقافة الرقمية سلبية بشكل مطلق بل إنها وسيلة فعالة إذا أحسن استخدامها والمطلوب اليوم هو الجمع بين عمق التفكير الذي توفره الكتب والذكاء في استخدام الوسائط الرقمية.

المبحث الثالث: واقع الإنترنت في الجزائر:

نظرا لأهمية تكنولوجيا الإعلام والاتصال (TIC) في بناء المجتمعات، ودورها المحوري في تطوير الاقتصاد، وتحسين التعليم، وتعزيز الحوكمة، فإن الجزائر كغيرها من الدول سارعت الى الانخراط في الاقتصاد الرقمي منذ مطلع الألفية الثالثة، عن طريق توفير المنظومة القانونية والإمكانيات المادية والبشرية للعمل على ادماج تكنولوجيا الإعلام والاتصال في مختلف القطاعات كالتربية والإدارة والمالية.

عرفت الجزائر عدة إصلاحات في قطاع الاتصالات بداية من سنة 2000م[1]، ومن نتائجها قرار الحكومة الجزائرية تحرير القطاع جزئيا سنة 2001، وكانت البداية بمنح شركة اوراسكوم تيليكوم المصرية أول رخصة للهاتف النقال و التي أطلقت خدمة جيزي (Djezzy) ، ثم تلتها الوطنية الكويتية نجمة (اوريدو Ooredooحاليا) ولاتزال الدولة تحتفظ بسيطرة كبيرة من خلال شركة اتصالات الجزائر موبيليس (Mobilis)[2].

ويعاني قطاع تكنولوجيا الإعلام والاتصال في الجزائر العديد من التحديات التي تعرقل تطوره، أولها ضعف البنية التحتية لشبكات الاتصال التي لاتزال محدودة في المناطق النائية مما ينتج عنه فجوة رقمية بينها وبين المناطق الحضرية وتقلص من فرص الوصول إلى المعلومة. كما أن سرعة الاتصال وجودته في الجزائر لا ترقى إلى مستوى المعايير الدولية. إن النهوض بالقطاع يقتضي اعتماد سياسات وخطط واضحة للاستثمار في البنية التحتية لشبكات الاتصال، وتوسيع التغطية ورفع جودة الخدمات بما يواكب تطلعات المجتمع، ويعزز الاقتصاد الرقمي.

المطلب الأول: واقع الانترنت في الجزائر:

تعتبر شبكة الانترنت واحدة من أهم أدوات العصر الرقمي، إذ أصبحت العمود الفقري للحياة الاقتصادية، الاجتماعية، والثقافية. بدأت خدمات الانترنت في الجزائر سنة 1994 بفضل مركز البحث في الإعلام العلمي و التقني CERIST تحت اشراف وزارة التعليم العلي و البحث العلمي، و كانت البداية

[1] انون رقم 03-2000 المؤرخ في 05 أوت 2000، يحدد القواعد العامة المتعلقة بالبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية ,*الجريدة الرسمية العدد 48 ص 3- 26*.

[2] عباس لحمر. "بيئة تكنولوجيات المعلومات والاتصالات في الجزائر ومقومات تحسينها." *مجلة آفاق للعلوم* 11 (مارس 2018): ص ص، 142،141.

متواضعة جدا، بسرعة قدرها 9600 ميغابايت في الثانية عن طريق إيطاليا، ويقتصر وصولها على بعض المؤسسات الحكومية و الجامعية بسبب ضعف البنية التحتية و انخفاض الوعي التكنولوجي [1].

مع بداية الألفية الجديدة توسعت التغطية نسبيا، وتحسنت الخدمات تدريجيا بعد صدور مرسوم 2000-307 المؤرخ في 14 أكتوبر 2000 م، الذي ينص على تحديد شروط استغلال خدمات الأنترنت، وأنواع النشطات المسموح بها، والواجبات والإطار القانوني المنظم لها. فظهر مزودون جدد خواص وعموميين إلى جانب مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني CERIST، وهو ما ساعد في الانتقال من خدمة محصورة في المؤسسات إلى الانفتاح نحو الأفراد والخواص. شهدت بعد ذلك الجزائر نموا مطردا في عدد مستخدمي الأنترنت رغم ضعف التدفق من جهة وغلاء الخدمة من جهة أخرى، ولعبت مقاهي الأنترنت دورا كبيرا في تمكين المواطنين من الإبحار في الشبكة العنكبوتية، ووصل عدد المقاهي سنة 2008 إلى 9300 مقهى حسب إحصائيات مركز البحوث في الاقتصاد التطبيقي من أجل التنمية[2].

بلغ عدد سكان الجزائر سنة 2023 45.26 مليون نسمة، وتشير البيانات إلى أن عدد مستخدمي الأنترنت في الجزائر 32.09 مليون مستخدم بداية عام 2023م، في حين بلغ انتشار الانترنت 70.9% بزيادة قدرها 1.6% بالمئة مستخدم عن سنة 2022م[3]. وهي نسبة معتبرة مقارنة بتلك التي كانت عليها في الألفية الناجم عن تحرير سوق الأنترنت للخواص من جهة، والاهتمام بالبنية التحتية من جهة أخرى.

ووفق موقع التقرير الدولي DATAREPORTAL يمكن تلخيص تطور عدد مستخدمي الإنترنت في الجزائر كما يلي:

[1] قويدر معيزي. "واقع تكنولوجيات الاعلام والاتصال واهميته الاقتصادية في الجزائر." *معارف* 19 (2015): ص، 153.

[2] نفس المرجع، ص 153.

[3] simon, K. (2023). *Digital 2023: Algeria.* DATAREPORTAL. Retrieved from https://datareportal.com/reports/digital-2023-algeria

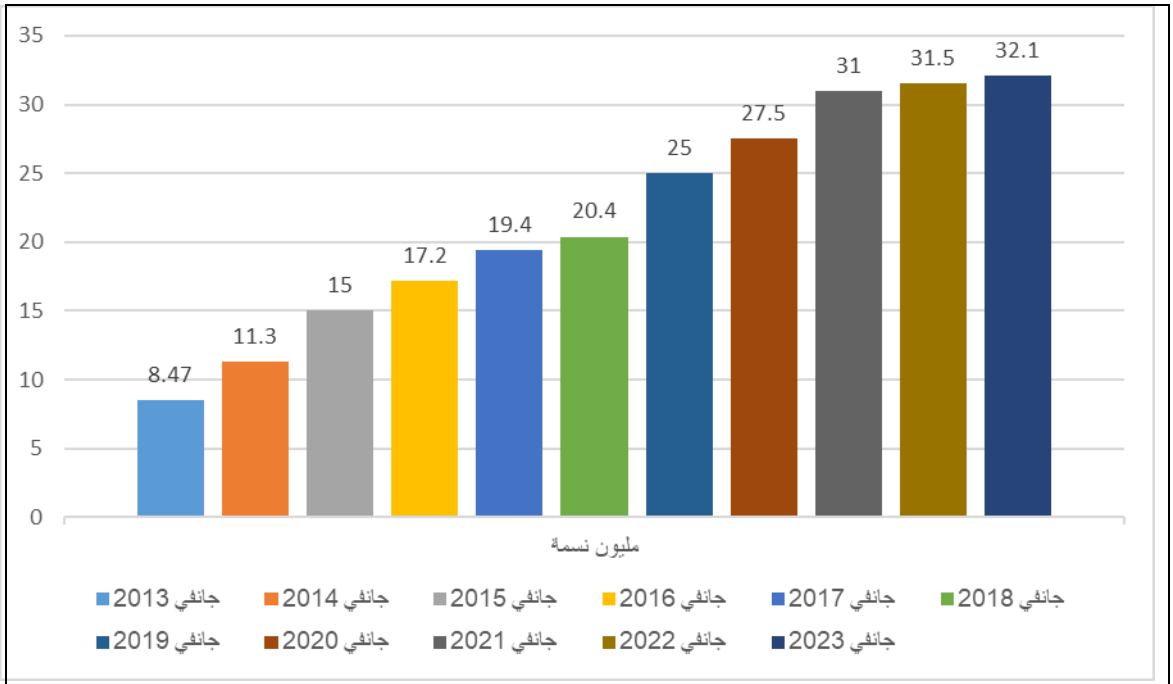

شكل رقم(01)يوضح تطور عدد مستخدمي الانترنت في الجزائر من جانفي 2013 إلى جانفي 2023

ووفقا لمرصد سوق الانترنت في الجزائر للثلاثي الأول من سنة 2023 م، فقد بلغ عدد مشتركي الانترنت النقال 90,25% من مجموع مشتركي الإنترنت في الجزائر النقال مقابل 9,75 % من مشتركي الإنترنت الثابت. أنظر الشكل رقم (02).

	الثلاثي الأول 2023			
	السلكي	4G LTE	الألياف FTTH	LS
نوع المشتركين	3 632 521	1 493 117	617 324	15 391
مجموع المشتركين	5 758 353			

	الثلاثي الأول 2023
مشتركو انترنت الهاتف الثابت	4 895 218
مشتركو انترنت الهاتف النقال	45 287 320
الحظيرة الاجمالية لمشتركي الانترنت	50 182 538

شكل رقم (02)الحظيرة الاجمالية لمشتركي الانترنت الثابت والنقال: المصدر تقرير سوق الإنترنت في الجزائر 2023

وأثّرت في هذا النمو عدة عوامل أهمها توسع شبكة الجيل الرابع (G4)، وارتفاع نسبة امتلاك الهواتف الذكية، بالإضافة لدعم الدولة للمشاريع الرقمية.

وتشكل الفئة العمرية ما بين (15 سنة – و30 سنة) أكثر من 75.3% من مستخدمي الأنترنت، وتعد هذه الفئة الأكثر تفاعلا ونشاطا على المنصات الرقمية، ورغم أن الذكور لايزالون يشكلون النسبة الأكبر من مستخدمي الأنترنت في الجزائر (50.9% ذكور مقابل 49.1% إناث) إلا أن الفجوة الرقمية بين الجنسين بدأت تتقلص تدريجيا.

ورغم أن الجزائر تعد الآن من بين الدول العربية والإفريقية التي تشهد نموا متسارعا في عدد مستخدمي الأنترنت إلا أنها مازالت تواجه تحديات أهمها: ضعف تدفق الأنترنت (الثابت والمحمول) بسبب ضعف البنية التحتية، والفجوة الرقمية حيث لاتزال المناطق النائية تعاني من عدم توفر خدمة الأنترنت أو ضعفها مقارنة بالمناطق الحضرية، كما أنه من الضروري مراجعة التشريعات لضمان حرية التعبير وحماية الخصوصية.

المطلب الثاني: مجتمع المعلومات في الجزائر:

خلال العقود الأخيرة ظهر مصطلح " مجتمع المعلومات" كمفهوم مركزي في الخطابات السياسية والإعلامية العالمية، وأصبح يستخدم بشكل واضح للدلالة على مرحلة جديدة من التطور البشري، وكان انتشاره نتيجة لسياسات مدروسة من قبل الدول المتقدمة التي عملت على تسويقه باعتباره النموذج الأمثل للتقدم والحداثة، وسعت لتعميمه على بقية دول العالم من خلال مؤسسات دوليه ومنظمات عالمية كاليونيسكو التي كان لها دور في دمجه في السياسات التعليمية والثقافية للدول النامية.

وفي إطار الترويج لمفهوم "مجتمع المعلومات" ظهر المصطلح في جدول أعمال اجتماعات مجموعة الدول الصناعية الكبرى (G8)، ويتم عرضه على هيئات الجماعة الأوروبية، و منظمة التعاون الاقتصادي و التنمية، كما تبنته الولايات المتحدة، ومختلف وكلات الأمم المتحدة، والبنك الدولي، وفي سنة 1998 م تم اختياره لأول مرة من قبل الاتحاد الدولي للاتصالات، ثم من قبل الأمم المتحدة كعنوان للقمة العالمية

2003 م و 2005 م [1]. ولم يكن هذا الترويج بدافع نشر المعرفة أو التقدم التكنولوجي، بل كنتيجة لتوجه مقصود من دول متقدمة تمتلك المعلومة وتتحكم في وسائل انتاجها هدفها تكريس تبعية الدول النامية لها تكنولوجيا.

يعود ظهور هذا المصطلح إلى سبعينات القرن الماضي، وتحديدا إلى عام 1973 م، حيث يقدم عالم الاجتماع الأمريكي دانيال بال "Daniel Bell"، فكرة مجتمع المعلومات في كتابه بعنوان " المجتمع ما بعد الصناعي " "The coming of industrial society" الذي تنبأ فيه بتحول بنية المجتمعات الحديثة، التي يتصاعد فيها دور المعرفة والمعلومات كمورد مركزي في الاقتصاد والمجتمع، ويتراجع فيها دور الصناعة والإنتاج المادي. يرى نفس الباحث أن التحول العميق في المجتمع ما بعد الصناعي يقوم على فكرتين أساسيتين هما: مكانة المعرفة التي لم تعد مجرد أداة مساعدة للإنتاج ومقتصرة في فئة معينة، بل عنصرا رئيسيا في توليد الثروة وتوجيه السياسات. والأشكال الجديدة لتكوين المعرفة التي لم تعد محصورة في الكتب والمدارس. بالإضافة إلى أن هذا التحول المعرفي ترافق مع تحولات اجتماعية وثقافية واسعة أعادت تشكيل أنماط العيش وأنماط العمل[2].

مع الانتشار الواسع للأنترنت و ظهور الشبكة العالمية في أوائل التسعينات بدأت تظهر جملة من التعريفات لمجتمع المعلومات منها: " هو المجتمع الذي يعتمد فيه بشكل مكثف على تكنولوجيا المعلومات و الاتصال، حيث تستخدم الحواسيب ووسائل الاتصال عن بعد على نطاق واسع و بتكلفة منخفضة نسبيا مما يجعل الوصول إلى المعلومات و تبادلها جزءا أساسيا من الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية"[3].

[1] Burch, S. (2006, mai 29). Société de l'information /Société de la connaissance. Retrieved 01 30, 2020, from vecam.org: https://vecam.org/archives/article516.html

[2] الصادق الحمامي. مرجع سبق ذكره، ص 57.

[2] طوني بينيت، لورانس غروسبيرغ، و ميغان موريس. (2010). مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع (الإصدار ط1). (سعيد الغانمي، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة. ص 422.

[3] جوردون مارشال. مرجع سبق ذكره، ص 1297.

وعرفه بنجامين (Bangemann) على أنه " الثورة القائمة على المعلومات، تختلف عن الثورات السابقة في الجوهر والمضمون، وتستند على المعلومة بوصفها جوهر النشاط الإنساني ومصدر للمعرفة ". وفي هذا السياق لا تعد المعلومة مجرد تقنية أو وسائل اتصال، بل أصبحت تمثل شكلا متطورا من المعرفة الإنسانية، تعكس تاريخها و تراكمها عبر الزمن، ويعاد انتاجها بوسائل حديثة تجعلها أكثر تأثيرا و انتشارا لتصبح قوة إنتاجية فاعلة تؤثر في توجيه السياسات، و تشكيل الوعي، و تنظيم العلاقات الاقتصادية و الاجتماعية، في مجتمع يتسم بالسرعة و التشابك و الانفتاح.

أما القمة العالمية لمجتمع المعلومات المنعقدة في جنيف سنة 2003 م، فقد اعتمدت التعريف التالي: " مجتمع المعلومات هو المجتمع الذي يستطيع فيه كل فرد استحداث المعلومات و المعارف و النفاذ إليها و استخدماها و تقاسمها بحيث يمكن للأفراد و الشعوب من تسخير كل إمكانياتهم في النهوض بالتنمية المستدامة، وتحسين نوعية حياتهم "[1]. وهذا التعريف يعكس تصورا شاملا وإنسانيا للمفهوم حيث لم يتم اختزاله في الجوانب التقنية والتكنولوجية فقط، بل تم التأكيد فيه على البعد الإنساني والتنموي، فهو بحسبهم مجتمع تتاح فيه الفرصة للأفراد دون تمييز على إنتاج المعرفة والمعلومات والوصول إليها واستعمالها وتبادلها من أجل تحسين وتطوير مجتمعاتهم وذواتهم.

و يظهر تعدد التعريفات لمجتمع المعلومات جوانب مختلفة للمصطلح[2]:

1- الجانب القني: يقوم مجتمع المعلومات باستثمار أحدث التقنيات الرقمية كوسيلة لمعالجة البيانات وإنتاج معلومات قابلة للاستخدام في مختلف المجلات بما يضمن انتاج المعرفة بشكل أسرع وأكثر كفاءة من أجل تعزيز قدرة الأفراد والمؤسسات في اتخاذ أنجع القرارات.

2- الجانب الاقتصادي: تعتبر المعرفة والمعلومات موردا أساسيا لتحقيق التطور، فالمؤسسات والشركات أصبحت تعتمد بشكل متزايد على رأس المال المعرفي، والقدرة على إنتاج الأفكار والابتكار وتحليل البيانات، وتوظيف المعلومات في تطوير الخدمات.

[1] القمة العالمية لمجتمع المعلومات. جنيف 2003. https://www.itu.int/dms_pub/itu-s/md/03/wsis/doc/S03-WSIS-DOC-0004!!PDF-A.pdf (تاريخ الوصول 16 01, 2020).

[2] Becla, Agnieszka. "Information Society and Knowledge-based Economy –Development Level and the Main Barriers – some Remarks." Economics & Sociology, 2012: p 126.

3- الجانب المهني: عرف المجتمع تحولا في طبيعة العمل والوظائف، وظهرت تخصصات جديدة ودقيقة تتطلب مهارات عالية في التعامل مع التقنيات الرقمية للتكيف مع متطلبات السوق وسرعة التطور.

4- الجانب المكاني: بفضل التكنولوجيا الحديثة عرف المجتمع تحولا جذريا في مفهوم المكان والحدود، ولم تعد العلاقات البشرية على اختلاف أنواعها (اقتصادية، اجتماعية، ثقافية) محصورة ضمن إطار جغرافي ضيق، بل أصبحت تنسج عبر شبكات رقمية تتجاوز الزمان والمكان.

5- الجانب الثقافي: أتاحت تكنولوجيا المعلومات وسائل جديدة لنشر الأفكار والقيم والمعارف، وهو ما أدى إلى تنوع كبير في المصادر الثقافية وسهولة الولوج إليها.

يعتبر بيار ليفي أن التحولات التي يشهدها العالم في ظل مجتمع المعلومات تمثل نقلة نوعية تفضي إلى ظهور عالم جديد يتميز بالحيوية والديناميكية والتجدد المستمر، ولم تعد فيه الإنسانية مجرد متلق سلبي للتكنولوجيا، بل أصبحت فاعلا رئيسا يستطيع الفرد إعادة تشكيل واقعه عبر ما ينتجه من معرفة ومعلومات، واكتشاف نفسه من خلال هذا الانتاج مما يمنحه وعيا أعمق بدوره في صنع المستقبل[1].

ورغم النظرة لبيار ليفي وبعض المفكرين حول مجتمع المعلومات، إلا أن آخرين منهم اتخذوا موقفا نقديا، فقد وضع برنار ميج مصطلح "مجتمع المعلومات" موضع تساؤل وتشكيك معتبرا أن هذا المفهوم قد تم قبوله والترويج له من قبل بعض الدوائر السياسية والإعلامية بتسرع شديد ومن دون تحليل عميق، ودون النظر في أبعاده ودقته وشموليته[2]. ومع مرور الوقت بدأت تظهر مفاهيم بديلة "كمجتمع المعرفة " الذي يركز على المعرفة وتوظيفها في الاقتصاد والتعليم والإدارة والثقافة، أو مصطلح " مجتمع الشبكات " الذي يصف البنية الاجتماعية والاقتصادية الجديدة.

تنظر المقاربة النقدية إلى مجتمع المعلومات باعتباره إيديولوجيا تخفي مصالح وتوجهات القوى الاقتصادية والسياسية المهيمنة، في حين أنه يقدم كتحول جذري وثوري في التاريخ الإنساني. ورغم وعوده بالتحرر والتنمية فإنه لا يقدم إجابات كافية أو مقنعة للعديد من الإشكاليات العميقة كالتفاوت

[1] الصادق الحمامي. مرجع سبق ذكره ، ص 69.

[2]GEORGE, Éric. "En finir avec la « société de l'information ?" tic&société 2008. <http://journals.openedition.org/ticetsociete/497>.

الاجتماعي، والاحتكار التكنولوجي، والفجوة الرقمية، بل يعيد إنتاجها بأشكال جديدة[1]. ومن هذا المنطلق تدعو هذه المقاربة إلى تفكيك الخطابات حول مفهوم " مجتمع المعلومات " وتحليلها بوعي نقدي للكشف عن تناقضها ومدى جدواها في بناء مجتمع أكثر عدلا ومساواة.

يعد موضوع " مجتمع المعلومات " من أبرز القضايا التي حظيت باهتمام واسع في الأوساط الأكاديمية والإعلامية في الجزائر، فقد شهدت السنوات الأخيرة تزايدا ملحوظا في الدراسات والبحوث التي تسلط الضوء على هذا المفهوم، كنتيجة للوعي المتنامي بأهمية التكنولوجيا والاتصال في تشكيل مستقبل الدول، فبات التحول نحو مجتمع معرفي ضرورة حتمية لمواكبة التطورات العالمية، من أجل تعزيز النمو الاقتصادي ودعم التقدم الاجتماعي والنهوض بالواقع الثقافي.

وقد تجسد هذا التوجه في العديد من السياسات والبرامج الوطنية التي سعت إلى دمج تكنولوجيا المعلومات والاتصال في مختلف القطاعات. ومن مظاهر الاهتمام: دعم البنية التحتية بتوسيع التغطية وتحسين سرعة الاتصال وتوفير خدمات بأسعار أقل نسبيا، بالإضافة إلى دمج التكنولوجيا في التعليم ورقمنه مختلف القطاعات، والتشجيع على الابتكار ودعم المؤسسات الناشئة في مجال التكنولوجيا. كما تعتبر المشاركة في المبادرات الدولية تأكيدا على سعي الدولة وحرصها في ترسيخ ثقافة رقمية وبناء مجتمع رقمي.

ومن أهم مؤشرات مجتمع المعلومات في الجزائر:

– مؤشر البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات، والتي تعتبر أساس قياس مدى تطور مجتمع المعلومات، وتشير الإحصائيات الرسمية إلى تقدم ملحوظ في هذا المجال فقد بلغ عدد مستخدمي الانترنت في الجزائر 32.09 مليون مستخدم مع بداية 2023م، بنسبة 70.9%، وعلى مستوى اشتراكات الهاتف المحمول والثابت بلغ عدد مشتركي الانترنت النقال 90.25% من مجموع مشتركي الأنترنت في الجزائر مقابل 9.75% من مشتركي الأنترنت الثابت خلال الثلاثي الأول من سنة 2023م. وفي سنة 2020م تم الإطلاق التجريبي لمشروع ftth في العاصمة، وتم توسيع العملية لتشمل عدة ولايات في إطار تعميم الأنترنت عالي السرعة ليبلغ عدد المستفيدين 800000 سنة 2023م.

[1]Garnham, Nicholas, and Marie-Christine Gamberini. "La théorie de la société de l'information en tant qu'idéologie : une critique." Réseaux 2000: p 88.

– مؤشر النفاذ إلى الأنترنت، تظهر البيانات أنه إلى غاية نهاية شهر مارس 2023م بلغت نسبة الأسر التي تمتلك خط هاتفي ثابت 78.24%، وأن نسبة التغلغل للهاتف الثابت تقدر ب13.04%، ومن بين 4895218 مشترك في الانترنت الثابت نجد 97.57% منهم مشتركين مقيمين مقابل 2.43% فقط من المؤسسات، لتبلغ نسبة التطور 26.53% عن الثلاثي الرابع لسنة 2022م. كما انتشرت خدمة الجيل الرابع بشكل واسع (30.50% من عدد مشتركي الانترنت) وتطورت خدمة الالياف البصرية ftth (12.61% من عدد مشتركي الأنترنت في الجزائر)، وتخطط السلطات لإطلاق تجريبي للجيل الخامسG5 خلال السنوات المقبلة.

– مؤشر المهارات الرقمية والتعليم الإلكتروني، عرفت الجزائر استخدام منصات التعليم عن بعد (moodle) في الجامعات إلى جانب استخدام تطبيقات أخرى مثل (zoom) في بعض التخصصات كما تم تنظيم دورات تكوينية للأساتذة وإعداد الموارد البيداغوجية الإلكترونية، ورغم جهود وزارة التعليم العالي في الخطة الوطنية للتحول الرقمي للجامعة الجزائرية إلا أن نسبة الإلمام بالمهارات الرقمية الأساسية لدى بعض الطلبة والأساتذة لاتزال تحتاج إلى دعم.

– استخدام تكنولوجيا المعلومات في القطاعات الإدارية والاقتصادية، شهدت الجزائر منذ 2020م اهتماما بالتحول الرقمي واستخدام تكنولوجيا المعلومات في تسيير الشؤون الإدارية والاقتصادية، بادرت وزارة الداخلية والجماعات المحلية إلى رقمنة استخراج الوثائق الإدارية مثل شهادة الميلاد كما ركزت على استكمال اصدار البطاقة الوطنية وجوزات السفر البيومترية تمهيدا لمشروع الهوية الرقمية الذي أعلن عليه الرئيس تبون سنة 2023م، أما على مستوى البنوك والخدمات المالية فقد كانت البداية ضعيفة ومتواضعة لا تتعدى الاطلاع على الرصيد وتحويل الأموال داخليا، وتطورت خدمات الدفع الإلكتروني بحيث تجاوز عدد العمليات الإلكترونية 3.9 مليون عملية خلال سنة 2023م بقيمة تجاوزت 31.5 مليار دينار جزائري، كما عرفت التجارة الإلكترونية نموا ملحوظا خاصة في قطاع بيع الأجهزة الإلكترونية و الملابس.

– مؤشر الأمن السيبراني وحماية البيانات، أصدرت الجزائر قانون 18–07 المتعلق بحماية الأشخاص في معالجة المعطيات ذات الطابع الشخصين المؤرخ في 10 جوان 2018م بهدف ضمان حماية الحياة الشخصية الخاصة للمواطنين وضبط آليات جمع ومعالجة وحفظ البيانات الشخصية. بالإضافة إلى انشاء الهيئة الوطنية لحماية المعطيات الشخصية سنة 2022م التي تتولى مهمة مراقبة الالتزام بقوانين حماية

البيانات، وابداء الرأي حول النصوص التشريعية المتعلقة بهذا المجال، ورغم ذلك لاتزال الجزائر تعمل على تعزيز منظومة الأمن السيبراني وتحسين ثقافة الحماية المعلوماتية لدى الأفراد والمؤسسات.

رغم التقدم الملحوظ الذي عرفته الجزائر في مجال استخدام تكنولوجيا المعلومات إلا أنها تواجه صعوبات وتحديات حقيقية تتطلب مزيدا من الاهتمام بالبنية التحتية واستثمار العنصر البشري للوصول إلى تحول رقمي شامل.

المطلب الثالث: استخدامات الانترنت في الوسط الجامعي الجزائري:

أحدثت التقنيات الجديدة تحولا جذريا في جميع مناحي الحياة، لا سيما في الوسط الجامعي وقطاع التعليم العالي والبحث العلمي، ومع تسارع وتيرة التطور التكنولوجي أصبحت تشكل أداة لا غنى عنها يستخدمها الطلبة والأساتذة على حد سواء لأغراض أكاديمية وعلمية متنوعة حيث توفر لهم بيئة تعليمية تفاعلية ومرنة وتتيح لهم الوصول الفوري إلى مصادر متنوعة من المعلومات والمعرفة في مختلف التخصصات. ومن أبرز هذه الاستخدامات نذكر:

1- البريد الالكتروني:

ظهر البريد الإلكتروني كأداة محورية ووسيلة رسمية وأساسية لا يمكن الاستغناء عنها في منظومة التواصل الأكاديمي والإداري، يعتمد عليها الطلبة وأعضاء التدريس في تبادل المعلومات والتنسيق العلمي، وكذلك بين الإدارات الجامعية ومختلف الأقسام، كما لم يعد استعماله مقتصرا على الرسائل فقط، بل تطور ليشمل تبادل الملفات البحثين تنسيق الاجتماعات، وتقديم الملاحظات بطريقة موثقة وسريعة.

يمتاز البريد الإلكتروني بعدة مزايا جعلته من بين أهم الأدوات الفعالة التي تساهم في سير العمل الأكاديمي و الإداري داخل الوسط الجامعي، من أهمها: انخفاض تكلفته مقارنة بوسائل الاتصال التقليدية (الرسوم البريدية)، وسرعته الفائقة في ارسال و استلام الرسائل، كما أنه لا يتقيد لا بزمان و لا بمكان إذ يكن استخدامه من أي جهاز بشرط اتصاله بالأنترنت و في أي وقت نريد، ومن مزاياه الإضافية إرسال رسالة واحدة إلى عدد كبير من المستلمين دفعة واحدة وهو ما يسهل تنظيم المحاضرات و الإعلانات و توزع

الواجبات، كما أنه يسمح للمستخدم بالاحتفاظ بالرسائل و تنظيمها و تصنيفها و الرجوع إليها في الوقت المناسب[1].

يمكن تصنيفه إلى ثلاث أنواع رئيسية: بريد الويب (web mail)، وهو الأكثر شيوعيا يمكن للمستخدم الوصول إليه عبر متصفح الأنترنت من أي مكان وفي أي وقت، والبريد المعاد التوجيه (forwarding mail)، وهو نظام يستخدم في تجميع الرسائل من عدة حسابات في حساب واحد، وتحويل الرسائل من عنوان إلى آخر، أما انوع الثالث فهو بريد بروتوكول (post office protocol)، ويستخدم في استلام الرسائل الإلكترونية من خادم البريد إلى جهاز المستخدم، فيمكنه من قراءة البريد دون الحاجة إلى اتصال بالأنترنت[2].

2- النشر الإلكتروني:

أصبح النشر الإلكتروني مع ظهور الأنترنت جزءا ضروريا من العملية الأكاديمية في الجامعات، إذ أتاح للطلبة والباحثين فرصة نشر أبحاثهم، والوصول إلى المادة العلمية دون الحاجة إلى النسخ الورقي التقليدي، كما سهل عملية تبادل الخبرات بين الطلبة والباحثين على مستوى العالم.

يعرف النشر الإلكتروني بأنه "عملية انتاج المعلومات وتخزينها ومعالجتها وإتاحة الوصول إليها باستخدام الوسائط الإلكترونية المختلفة، الإنترنت أو الأقراص المدمجة أو قواعد البيانات الرقمية، بدلا من الوسائط الورقية "[3]. ويعود كونه نقلة نوعية في البحث العلمي إلى جملة من الخصائص، هي[4]:

- وسيلة سريعة لنقل الأبحاث والبيانات العملية لجمهور واسع.

[1] مجد, ا .(2009) *تكنولوجيا وسائل الاتصال الجماهيري* .دار أسامة للنشر والتوزيع. ص ص، 125،126.

[2] نفس المرجع، ص 125.

[3] قنديلجي إبراهيم عامر. (2016). *المعجم الموسوعي لتكنولوجيا المعلومات والاتصال والإنترنت* (الإصدار ط2). عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ص 306.

[4] قنديلجي ابراهيم عامر. (2018). *البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية*. عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع. ص 365.

- إمكانية الوصول الى الأبحاث من أي مكان وفي أي وقت عبر الانترنت، الذي يعزز من فرص الاطلاع على الإنتاج العلمي.
- تقليل التكاليف المتعلقة بالطباعة، التغليف، التوزيع، والشحن، ما يجعله بديلا للنشر الورقي التقليدي.
- سهولة التحديث والتعديل إذا تطلب الامر تصحيحا معينا، أو في حالة إضافة مستجدات تخص الموضوع.
- التواصل مع جمهور علمي أوسع، من خلال المنصات الالكترونية والمجلات المفتوحة وقواعد البيانات العالمية والذي يؤدي الى تعزيز التفاعل العلمي مع الأبحاث المنشورة بالتعليق او التقييم وخلق بيئة تواصلية يتم فيها تبادل الآراء والخبرات.

3- قواعد البيانات العلمية التعليمية والبحثية:

تعرف قواعد البيانات بانها "نظم الكترونية تستخدم لتنظيم وتخزين واسترجاع المعلومات بطريقة منهجية ومنظمة، مما يسهل على الباحثين الوصول الى مصادر المعلومات المختلفة بكفاءة وفعالية "[1]. ونظرا لما توفره من محتوى علمي موثوق وحديث تعتبر قواعد البيانات من اهم الأدوات التي يعتمد عليها الطلبة والباحثون في الوسط الجامعي وتظهر استخداماتها فيما يلي:

- دعم البحث العلمي، فهي مصدر رئيسي لجمع المعلومات والبيانات اللازمة لإنجازه البحوث الاكاديمية وتسهل من عملية الوصول الى العديد من المقالات والرسائل الجامعية والتقارير العلمية.
- تساعد في كتابة المشاريع والرسائل الجامعية حيث يلجأ إليها الطلبة للاطلاع على الدراسات السابقة والمراجع الموثوقة، كما تساعد على تحديث المحتوى العلمي من أبحاث وتقارير.
- تجنب الطلبة والباحثين من الانتحال العلمي بالاطلاع على المشاريع والاعمال السابقة.
- تشجع على النشر العلمي حيث تسهل للباحثين التعرف على مختلف المجلات والدوريات المحكمة لنشر أبحاثهم.

[1] قنديلجي إبراهيم عامر. (2016). *المعجم الموسوعي لتكنولوجيا المعلومات والاتصال والإنترنت*، مرجع سبق ذكره، ص 238.

رغم التقدم الذي شهدته الجزائر خلال السنوات الأخيرة فيما يخص انتشار الانترنت (خاصة مع اعتماد الحكومة برامج الرقمنة وتوسيع البنية التحتية الرقمية) لاتزال الجامعات الجزائرية تواجه تحديات ومعيقات في استخدامات الانترنت، أهمها:

المشاكل التقنية: تعتبر الحواجز التقنية من أهم الحواجز التي تقف أمام تطبيق تكنولوجيا المعلومات والاتصال في الجامعة الجزائرية، ويتعلق الأمر بعدم كفاية أجهزة الحواسيب مقارنة بعدد الطلبة في قاعات الاعلام الآلي، وغياب أجهزة العرض الالكتروني بالإضافة إلى عدم توفر شبكة الانترنت أو ضعف سرعتها خاصة في قاعات الدراسة والمكتبات الجامعية. وبالرغم من أن التجهيزات والمعدات المادية وشبكات الاتصال والبرمجيات تمثل المرتكزات الأساسية في بناء منظومة تعليمية حديثة وفعالة في مؤسسات التعليم العالين إلا أنها لا ترقى إلى المستوى المطلوب وتبقى ضعيفة وتحتاج إلى تحسين من أجل ضمان جودة التعليم العالي.

قلة التكوين في مجال استخدام الموارد الرقمية: فرغم التقدم النسبي في توفير البنية التحتية داخل الجامعات الجزائرية، إلا أن نقص الثقافة الرقمية لدى الكثير من الطلبة والأساتذة يبقى من أهم العوائق التي تحد من الاستفادة الكاملة من الانترنت في المجال الأكاديمي. وهذا النقص يؤدي إلى اهدار الكثير من فرص الوصول إلى المعرفة العلمية وتطوير طرق التدريس ويضعف من جودة الأبحاث في عالم يعتمد بشكل مطرد ومتزايد على المصادر الرقمية العالمية، لذلك أصبح من الضروري الاهتمام ببرامج تكوين رقمية ضمن المسارات الجامعية تستهدف الطلبة، وتنظيم دورات تكوينية لأعضاء التدريس من أجل رفع كفاءتهم الرقمية.

قلة الموارد الرقمية: من أهم مقومات التعليم الجامعي الحديث، خاصة مع التطور الكبير الذي يشهده العالم في مجال التكنولوجيا، ورغم توفر الأنترنت في معظم الجامعات الجزائرية، إلا أن المحتوى كما ونوعا يمثل عائقا حقيقيا أمام تطور البحث العلمين وتعاني جل الجامعات من غياب الاشتراكات في قواعد البيانات العلمية العالمية، وبالرغم من أن الكثير من الجامعات بادرت إلى انشاء منصات تعليمية خاصة إلا أن هذه المبادرات لاتزال أقل فاعلية، ودون المستوى المطلوب ويعود هذا إلى محدودية

الميزانيات المخصصة للجامعات في مجال الاشتراكات الرقمية، وضعف أو غياب التنسيق بين الجامعات الجزائرية.

الاستخدام الترفيهي بدل الاستخدام الأكاديمي: الغاية من توفير الأنترنت في الجامعات هي تدعيم التعليم، إلا أن الاستخدام الأكاديمي لها لايزال ضعيفا مقارنة بالاستخدام الترفيهي (مواقع التواصل الاجتماعي والألعاب الإلكترونية...) ويعود ذلك لعدة أسباب منها غياب الوعي الأكاديمي لدى الطلبة، وضعف ثقافة البحث، إضافة إلى ضعف المنصات التعليمية الرقمية التي تفتقر إلى المحتوى الجذاب والتفاعلي.

يعد غياب أو نقص المادة العلمية الدقيقة من أبرز الإشكالات التي تعاني منها الدراسات حول استخدام الأنترنت في الوسط الجامعي الجزائري رغم تزايد الاهتمام الأكاديمي بهذه المواضيع، ومعظم الدراسات على عينات صغيرة غالبا ما تقتصر على جامعات أو تخصصات معينة، وهو ما يحد من إمكانية تعميم النتائج، كما أن الاكثير من الأبحاث تأخذ طابعا وصفيا وتركز على آراء الطلبة أو الباحثين دون التعمق في التحليل العلمي لسلوكهم.

الفصل الرابع

الوصف والتفسير الإثنوغرافي

لاستخدامات الطلبة الجامعيين للإنترنت

الفصل الرابع: الوصف والتفسير الإثنوغرافي لاستخدامات الطلبة الجامعيين للإنترنت

المبحث الأول: الوصف والتحليل الإثنوغرافي للطلبة المستخدمين للإنترنت

المبحث الثاني: الأثر الثقافي والعلمي والتواصلي للإنترنت

الفصل الربع: الوصف والتفسير الإثنوغرافي لاستخدامات الطلبة الجامعيين للإنترنت

المبحث الأول: الوصف والتحليل الإثنوغرافي الطلبة المستخدمين للإنترنت.

نبحث في هذه الدراسة ممارسات الطلاب واستخداماتهم للإنترنت في سياق عالم رقمي متزايد، وعليه يتضمن الجانب الميداني توثيق تملك الطلاب للإنترنت واستخداماتها، وبالضبط البحث عن الاستراتيجيات المستخدمة في تملك هذه الأداة. تضمن هذه الدراسة جمع بيانات رقمية وأخرى غير رقمية، فمن خلال الملاحظة عبر الخط تم جمع البيانات الرقمية والمتمثلة في مقاطع الفيديو المسجلة والصور الملتقطة لشاشات الحواسيب الخاصة بمفردات العينة، وذلك من خلال البرنامج الذي تم تثبيته على هذه الأجهزة، وبيانات غير رقمية تمثلت في المقابلة مع أفراد العينة، حيث مكّنتنا هذه الأخيرة من تقديم سرد تفصيلي ودقيق لممارسات واستخدامات الإنترنت من طرف الطلاب الجامعيين.

المطلب الأول: وصف منظومة الإنترنت

1- الإنترنت كمنظومة غير متجانسة:

يشكّل مفهوم المنظومة Dispositif إطارا نظريا يسمح بفهم الممارسات الاتصالية المختلفة بتقنية ما. ويحيل مفهوم المنظومة هنا على نظام مركب تتفاعل داخله بشكل مخصوص عناصر عدة كأنظمة النشر وواجهات العرض Interface والمضامين ونظام العلاقات والتبادل، وفي هذا الإطار يختلف مفهوم المنظومة عن مفهوم الوسيط الإعلامي Media الذي يسمح بعمليات خارجة عن فعل المستخدم: نقل المضامين وعرضها. فالصحيفة والإذاعة والتلفزيون كلها وسائط إعلامية تنقل مضامين من المرسل إلى المتلقي[1].

استخدم ميشال فوكو مصطلح "الأدوات" Dispositif، والذي يُحيل إلى فكرة المنّظمة والشبكة، والتي يستثمرها الاتصال–السلطة في عملية الضّبط، هذه الأخيرة تستخدم آليات الإبهار والجذب والإمتاع. فالعُدة التلفزيونية مثلا، تمارس طريقة تنظيم المكان/الفضاء، والتحكم في الوقت، والمراقبة المتواصلة للفرد،

[1] الصادق الحمامي. الميديا الجديدة: مرجع سبق ذكره، ص 83.

وضمان خلق سلوكيات إيجابية[1]. إن مقاربة فوكو للأدوات تُحيلنا إلى السيطرة والمراقبة والسلطة والاعتراف، لكن في مقابل ذلك قدم ميشال دوسارتو نقدا لهذه المقاربة، حيث نبّه إلى وجود مجموعة من الإجراءات والسيرورات الجزئية وغير المرئية، تتمثل في مجموع الحيل والتكتيكات التي يخترعها المستهلك، تُظهر هذه التكتيكات ان هذا المستهلك/المستخدم لي سجيناً كلياً لهذه المنظومة، فهو يُرقّع أساليب وطرق تلائم رغباته وتساير إيقاعاته.

ينطبق الأمر على الإنترنت كأداة أو منظومة، حيث يلعب فيها المستخدمون دوراً فاعلاً، رغم ما تُتيحه هذه التقنية من إكراهات وسلب للإرادة، فحسب مقاربة فوكو، المستخدم مقيّد ومفتون بهذه الأداة، إلا أن البعد الذاتي والرمزي حاضر في العلاقة بين المستخدم والأداة التقنية وهذا حسب دوسارتو. فالمستخدمون يضفون نوعاً من المعنى، والتي تبدأ بتجربة الاستخدام وصولا إلى تملّك الجهاز أو الأداة، صحيح أن للأدوات سلطة التحكم والقيد، لكن يجب وفي نفس الوقت الالتفات إلى نهج آخر يأخذ في الاعتبار البعد الرمزي للوساطة، خاصة بما تتمتع به الإنترنت من ديناميكية وحيوية. ويرجع سبب هذه الديناميكية إلى طبيعة الإنترنت على أنها أداة أو تقنية غير متجانسة Hétérogène، فالأجهزة المستخدمة في الإنترنت ككيان corpus لها صفة عدم التجانس لأنها لا تستخدم نفس الأنظمة الأساسية للأجهزة أو نفس الشبكات ومع ذلك يمكنها التفاعل فيما بينها وبين الأجهزة الأخرى أو المنصات المختلفة ومن خلال شبكات متمايزة. ونظراً لاستحالة التعامل مع الإنترنت بشكل متجانس، فهي كبيئة اتصالية تجمع بين أنماط الاتصال الشخصي والاتصال الجماهيري كبعدين في وقت واحد، فرضت الإنترنت نفسها كتقنية واسعة الانتشار وتمّ تملكها من قبل المجتمع.

ومن هذا المنظور غير المتجانس للإنترنت، يرى فيشر Fischer أن هناك ثلاث جوانب يمكن من خلالها وصف الإنترنت: أولا أنها بنك للمعلومات والبيانات، ويتمثل في مجموع المعلومات التي يمكن إيداعها وفهرستها واستعادتها والاستفادة منها عن طريق بعض الإجراءات التقنية؛ أما الجانب الثاني للإنترنت كونها وسيط اتصالي وإعلامي، نجم عن ظهور أجهزة الكومبيوتر الشخصية وتطور شبكة الويب العالمية www، فأصبح هناك حضور فردي ومؤسساتي (من بينها وسائل الاعلام التقليدية) على شبكة

[1] أرمان ماتلار و ميشال ماتلار. تاريخ نظريات الاتصال. المترجمون نصرالدين لعياضي و الصادق رابح. المجلد 1. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005، ص ص، 111،110.

الإنترنت؛ ويتمثل الجانب الثالث للإنترنت في أنها توفر بيئة علائقية، والتي تستند إلى فكرة أن المستخدم ينشئ علاقات متعددة من مستويات مختلفة تدعم حضوره على الإنترنت، فبإمكان الفرد تقديم وتعريف نفسه وتخصيص أفعاله ونشاطه على الشبكة[1].

يتم وصف الإنترنت بأنها بنية فوقية Méta-structure، تقنيا فهي تجمع العديد من الشبكات، فهي تغطي أنشطة غير متجانسة تؤدي إلى تمثلات فردية واجتماعية متنوعة للغاية داخل المجتمع، وتتفاوت هذه التمثلات وفق مستخدمي الإنترنت (عامة الناس، الأكاديميون، التجار...). ويقدم بروكس Proulx من خلال مراجعته لأدبيات العلوم الاجتماعية التي تُعنى بالإنترنت يتضح إمكانية وجود ثلاث قراءات ممكنة لظاهرة الإنترنت كمنظومة تقنية[2]:

أولاً: القراءة التكنولوجية: والتي تُميز الإنترنت بشكل أساسي، هي نتيجة تطور تقنيات المعلومات والاتصال، فالإنترنت تُعرّف على أنها أداة اتصالية تفاعلية جديدة، ومتعددة الوسائط؛ أخذت مكانتها بجانب الهاتف والراديو والتلفزيون، إن لم نقل أنها أزاحت وسائل الاتصال القديمة. لكن بروكس يرى أن هذا النوع من القراءة يعتمد على نظرة قطاع محدود للغاية، وهي نظرة اختزالية لا تسمح لنا بإدراك مدى التحولات الاجتماعية والثقافية التي حفزتها ظاهرة الإنترنت.

ثانياً: القراءة أو المقاربة الاجتماعية لظاهرة الإنترنت: وذلك من خلال وضع ظاهرة الإنترنت في استمرارية مع صيرورة الحوسبة الاجتماعية، فالإنترنت تتشارك مع أبعاد أخرى في عملية مُعقدة ينجم عنها تحول في أنماط الإنتاج والاستهلاك والتواصل والمعرفة.

ثالثاً: القراءة الأنثروبولوجية: يقترح بعض الفلاسفة قراءة إنثروبولوجية لظاهرة الإنترنت، بحسب هذه الرؤية فإن الإنترنت تقع في كوكبة الاختراعات والاكتشافات المرتبطة أساسا باختراع لغة الكمبيوتر، هذه الأخيرة لها نفس أهمية اختراع الأبجدية الصوتية أو اختراع الطباعة، وبالتالي فإن اختراع لغة الكومبيوتر والبرمجة تعتبر تحولا مبهرا على المدى الطويل ، حيث تساهم في تطور الوعي البشري من خلال تآزر البشر مع الآلة المعلوماتية، وظهور ما يسمى Cyborg الإنسان-الآلة، وهذا ما أثار جدلا حول ماهية الإنسان والتي

[1] Cogo, Denise et Liliane Dutra Brignol. «Social networks and reception studies on the internet.» MATRIZes 2011: pp 86, 87.

[2] Proulx, Serge. ibid.

هي من صميم الأنثروبولوجية، وأصبح الحديث عن "ما بعد الإنسان" Post-humain. هذا التطور أدى إلى ظهور مفاهيم جديدة تدرس العلاقة بين البشر والتكنولوجية العصرية، من بينها الأنثروبولوجيا-التقنية، الأنثروبولوجيا-الافتراضية، الأنثروبولوجيا-السيبرانية[1].

وفي نفس السياق يرى برولكس، أن القراءة التكنولوجية –كما تقدم ذكره- تبدو اختزالية ولا تفسر التحولات داخل المجتمع، أما القراءة الأنثروبولوجية فهي عالمية ولا تزال إرهاصاتها غير واضحة المعالم، وبالتالي فإن المقاربة السوسيولوجية أكثر واقعية لتفسير ظاهرة الإنترنت واستخداماتها داخل المجتمع.

2- الاتصال بالإنترنت في الجزائر:

نتطرق في هذه النقطة إلى الجانب التقني للاتصال بالإنترنت بشكل عام، وبشكل خاص إلى الجانب التقني الذي له علاقة بدراستنا وحدودها.

أولاً: كيفية الاتصال بالإنترنت: يكون الاتصال بشبكة الإنترنت بأكثر من طريقة، تختلف كل طريقة حسب إمكانياتها وتكاليفها من جهة، وحسب التطور التكنولوجي الذي عرفته هذه التقنية من جهة أخرى، بالإضافة إلى السياسات والأنظمة الاتصالية الخاصة بكل بلد. في هذا الصدد يمكن تمييز نوعين من الاتصال بشبكة الإنترنت، الاتصال السلكي والاتصال اللاسلكي (الملحق رقم 04).

1- **الاتصال السلكي:** يُعتبر أكثر طرق الاتصال شيوعا، ويُشير الاتصال السلكي إلى نقل البيانات عن طريق التكنولوجيا القائمة على الأسلاك، بمعنى أن لها وجود مادي، وهناك ثلاث أنواع رئيسية من الاتصالات السلكية يمكن إيجاز وصفها على النحو التالي[2]:

أ- الأسلاك النحاسية الثنائية: وهو أقل أنواع الشبكات المحلية تكلفة، ولكنها ذات قدرة محدودة على نقل البيانات وعرضة للتشويش.

[1] Anthropologie numérique. 20 octobre 2020 . consulté le: 30 11 2020. <https://fr.wikipedia.org/wiki/Anthropologie_num%C3%A9rique>.

[2] Uttpal, Raj et Naresh Kumari. «Wired and Wireless Modes of Communication and their Comparison.» *International Journal of Advance Research and Innovation* 2019: P 253.

ب- الكابل المحوري Coaxial Cable: هو عبارة عن سلك نحاسي محاط بطبقة عازلة بدورها محاطة بمجموعة من أسلاك مجدولة تسمح بتدفق الإشارات الكهربائية من نقطة إلى نقطة.

ت- الأسلاك الضوئية Optical Fiber: هي أسلاك تصنع من زجاج وقادرة على نقل الإشارة الضوئية لمسافات بعيدة دون فقدها، وميزتها انها لها القدرة على نقل كميات هائلة من البيانات بسرعة عالية.

2- **الاتصالات اللاسلكية**: تعتبر الاتصالات اللاسلكية هي التكنولوجيا الأسرع نموا والأكثر حيوية في مجال الاتصالات، ويمكن تعريف الاتصال اللاسلكي بأنه: وسيلة لنقل المعلومات من نقطة إلى أخرى دون استخدام أي وسيط مادي مثل الأسلاك والكابلات، بل عبر موجات الراديو أو الموجات الكهرومغناطيسية[1]. ومن بين أهم الاتصالات اللاسلكية للإنترنت نجد:

أ- الأقمار الصناعية: تعتبر الإنترنت عبر الأقمار الصناعية مفيد للأشخاص الذين يعيشون في المناطق التي لا تتوفر فيها خيارات الإنترنت الأخرى. وهو خيار أكثر تكلفة للوصول إلى الإنترنت. ويكون عبر طبق هوائي يستقبل إشارات القمر الصناعي المزود لخدمة الإنترنت، إضافة إلى التكلفة المرتفعة، فإن العوامل المناخية تؤثر على جودة الإنترنت وسرعتها[2].

ب- التكنولوجيا الخلوية: ربما تكون التكنولوجيا الخلوية هي النظام الاتصالات اللاسلكية الأكثر استخداما، متمثلة في الهاتف النقال الذي لم بعد يقتصر دوره على إجراء المكالمات الهاتفية

[1] Teja, Ravi. *Wireless Communication: Introduction, Types and Applications*. 3 April 2021. 31 12 2020. <https://www.electronicshub.org/wireless-communication-introduction-types-applications/#Mobile_Telephone_Communication_System>.

[2] Uttpal, Raj et Naresh Kumari. «Wired and Wireless Modes of Communication and their Comparison.» *International Journal of Advance Research and Innovation* 2019: P 253.

فقط، بل يتكامل مع العديد من الميزات الأخرى مثل البلوتوث Bluetooth، Wifi، GPS، بالإضافة إلى تزويد المستخدم بالإنترنت عن طريق تقنية 3G و 4G[1].

ثانيا: الاتصال بالإنترنت في الجزائر: بعد التطرق إلى كيفيات وتقنيات الولوج إلى الإنترنت بشكل عام، نتطرق في هذه النقطة إلى ما هو متاح في السياق الجزائري. حيث تعتمد الجزائر في توزيع الإنترنت على التقنيتين السابقتين للذكر، السلكي من خلال توزيع الإنترنت الثابت بواسطة الأسلاك النحاسية الثنائية والألياف الضوئية وإن كانت هذه الأخيرة مرتفعة التسعيرة، واللاسلكي من خلال الإنترنت النقّال والمتمثل في تقنية الجيل الثالث والرابع بالنسبة للخواص وتقنية الأقمار الصناعية بالنسبة للمؤسسات العمومية والخاصة.

وهذا يقودنا للحديث عن الفاعلين في سوق الاتصالات الإلكترونية في الجزائر. بالنسبة للإنترنت الثابت فهو حكر على اتصالات الجزائر، وهي مؤسسة عمومية ذات أسهم تقدم خدمات في مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية، من خلال منحها رخصة استغلال وتوفير الخدمات الهاتفية للثابت الدولية والمحلية[2]. فبالنسبة للخواص فإن شركة اتصالات الجزائر تقدم للزبائن الخواص ثلاث خدمات في مجال الإنترنت الثابت متمثلة في: Idoom Adsl، Idoom 4g LTE، Idoom Fibre[3]. أما فيما يخص الإنترنت النقّال، فإنه توجد ثلاث رخص لإقامة واستغلال شبكة الجيل الثالث 3G والجيل الرابع 4G الممنوحة إلى كل من شركة اتصالات الجزائر لهاتف النقّال والمتمثلة في شركة موبيليس Mobilis، وشركة الوطنية للاتصالات وممثلها أوريدو Ooredoo، وشركة أوبتيموم تيلكوم الجزائر OTA ممثلة في شركة جيزي[4].

[1] Teja, Ravi. *Wireless Communication: Introduction, Types and Applications*. 3 April 2021. 31 12 2020. <https://www.electronicshub.org/wireless-communication-introduction-types-applications/#Mobile_Telephone_Communication_System>.

[2] سلطة ضبط ابريد والاتصالات الإلكترونية. "التقرير السنوي." 2019. ص 10. <https://www.arpce.dz/ar/file/j0z5o5>.

[3] أنظر الموقع الرسمي لشركة اتصالات الجزائر، الرابط : https://www.algerietelecom.dz

[4] سلطة ضبط ابريد والاتصالات الإلكترونية. "التقرير السنوي." 2019. ص 10. <https://www.arpce.dz/ar/file/j0z5o5>

أما عن سرعة تدفق الانترنت في الجزائر فهي ضعيفة مقارنة ببعض الدول الأخرى خاصة الإفريقية منها والعربية (مصر، جنوب إفريقيا، ساحل العاج، موريتانيا...)، فحسب موقع Speed Test لقياس سرعة تدفق الإنترنت لشهر أكتوبر 2020، فإن الجزائر تحتل المرتبة 168 عالميا بتدفق قدره 0.64 mbps للإنترنت الثابت، وهي سرعة بطيئة جداً، والمرتبة 129 عالميا من تدفق إنترنت النقّال 7.46 mbps. إلا أن تدفق الإنترنت للنطاق الثابت شهد تحسنا كبيرا في متوسط سرعة التنزيل Download مع زيادة بمقدار 4.5 أضعاف لتصل إلى 11.34 mbps في الربع الثالث من عام 2023، وخلا هذه الفترة ركّزت جهود الحكومة الجزائرية على استبدال الخطوط النحاسية بالألياف البصرية FTTH/B للرفع من سعة التدفق وأثمرت هذه الجهود على تحسن الترتيب العالمي مقارنة بالسنوات السابقة وتحتل المرتبة 149 عالمياً ورغم ذلك فهي مرتبة متأخرة، فالدول وحكوماتها الأخرى أيضا تبذل جهودا حثيثة لتطوير وتحسين البنية التحتية لاتصالاتها بما فيها سرعة تدفق الإنترنت. وحتى مارس 2023، كان لدى الجزائر أكثر من 3.4 مليون خط اتصال سلكي ثابت، وفقًا لسلطة ضبط البريد والاتصالات الإلكترونية(ARPCE) وتعتبر شركة اتصالات الجزائر AT التابعة للدولة هي المزود الوحيد لخدمات الإنترنت السلكي عريض النطاق. وبفضل هذه المعطيات تعتبر الجزائر واحدة من أكبر أسواق الإنترنت الثابتة في أفريقيا. [1] أما فيما يخص التحميل Upload فهي لا تتعدى 1 mbps في الخطوط الثابتة، وهو معدل ضعيف جدا لا يرقى إلى تطلعات مستخدمي الإنترنت خاصة صنّاع المحتوى والمطورين، رغم أن هناك تحسن ملحوظ في سرعة الرفع على الهاتف النقال والتي تقدر بـ 11 mbps.

إلى جانب التدفق البطيء للأنترنت، تبقى أسعار الإنترنت في الجزائر مرتفعة مقارنة بالخدمات المقدمة من طرف المتعاملين لإنترنت الثابت أو النقّال. بالتالي تكون الإنترنت والأجهزة المستخدمة فيها بعيدة عن متناول الكثير من الأفراد والعائلات الجزائرية رغم التخفيضات التي تعرفها من حين لآخر[2]، حيث تشكل الأسعار المرتفعة لخدمات الإنترنت عائقاً أمام تطوير المحتوى وصناعة تكنولوجيات المعلومات

[1] Yaici, K. (2024, January 15). Fixed Internet Speeds are Improving in North Africa, and Fiber Could Boost Them Even Further. Récupéré sur Ookla: https://www.ookla.com/articles/fixed-speeds-north-africa-q3-2023

[2] وكالة الأنباء الجزائرية. (17 أعسطس, 2020). *أنترنت: 8 ميغا بنفس سعر الـ 4 ميغا ابتداء من 18 أغسطس 2020*. تاريخ الاسترداد 12 ديسمبر, 2020، من موقع و أ ج: https://www.aps.dz/ar/sante-science-technologie/91117-8-4-18

والاتصالات المحلية، هذا ما توصل إليه بحث في عام 2011 كان نتيجة تعاون منظمة مجتمع الإنترنت (ISOC) ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) [1]، وبالتالي وجود علاقة وثيقة بين تسعيرة الإنترنت وتطويرها من حيث المحتوى واستخدام تطبيقاتها، فكلما كانت التسعيرة عالية كان الولوج أقل، وهذا بدوره ينعكس على الاستخدام الأمثل للإنترنت وتملكها اجتماعياً.

ثالثا: مفردات العينة والاتصال بالإنترنت:

بعد التطرق في النقطة السابقة إلى كيفيات الاتصال بشبكة الإنترنت بشكل عام وفي الجزائر بشكل خاص، وتبيان صعوبات الولوج ومحددات الارتباط بالشبكة العنكبوتية تقنيا وماديا (التسعيرة) في الجزائر، نحاول في هذا الصدد وصف مفردات عينة الدراسة وكيفيات وطرق اتصالها بالشبكة العنكبوتية.

في البداية يجب أن نذكر بحدود الدراسة، فإلى جانب صغر حجم العينة واقتصارها على طلبة الجامعة، فإن دراستنا لتملك الإنترنت من قبل الطلبة الجامعيين يقتصر على أولئك الذي يمتلكون جهاز حاسوب مرتبط بإحدى الطرق التقنية المتعلقة بالاتصال بالإنترنت، وبالتالي فإن استخدامات الهاتف والإنترنت الخاصة به تخرج من إطار الدراسة.

توصيفًا لعينة الدراسة، فإن مفردات الدراسة الباغ عددها أربعة وعشرون (24) مفردة، يمتلكون جهاز حاسوب laptop وعددهم ثمانية عشر (18) مفردة مقارنة بستة (6) مفردات يمتلكون جهاز حاسوب مكتبي، أما طريقة الربط الإنترنت، توجد واحد وعشرون (21) مفردة متصلة بالإنترنت بتقنية Adsl، وهي اختصار لخط المشترك الرقمي غير المتماثل (Asymmetric Digital Subscriber Line)، وهي خدمة توفر اتصال انترنت ذو نطاق عريض (broadband). تُعتبر أكثر أنواع اتصالات DSL شيوعًا حيث يستخدم الأسلاك التي تم وضعها بالفعل لخدمة الهاتف وهذا يجعلها خيارًا رخيصًا

[1] ISOC, OECD, & UNESCO. (2011). *THE RELATIONSHIP BETWEEN LOCAL CONTENT, INTERNET DEVELOPMENT AND ACCESS PRICES.* Nairobi. P 66. Récupéré sur http://www.unesco.org/new/fileadmin/MULTIMEDIA/HQ/CI/CI/pdf/local_content_study.pdf

وقابلًا للتطبيق لتوزيع اتصال الإنترنت إلى المنازل، خصوصًا أنه يوفر سرعات عالية تقدر بحوالي 30 إلى 40 مرة أسرع من اتصال المودم الهاتفي التقليدي، ويستخدم مجموعة واسعة من الترددات[1].

أما ثلاث (3) مفردات فيتصلون بالإنترنت بتقنية 4g lte، وهو اختصار لـ Long Term Evolution وهو معيار اتصالات لاسلكية تم تطويره بواسطة مشروع شراكة الجيل الثالث (GPP3) بهدف توفير سرعة تصل لحوالي 10 أضعاف شبكات الجيل الثالث للأجهزة المحمولة كالهواتف والحواسيب والأجهزة اللوحية والنقاط اللاسلكية (Hotspots)، وبشكل عام فإنه يطلق على نظام LTE نظام الجيل الرابع G4[2].

جدول رقم (03) يوضح نوع جهاز الاتصال بالإنترنت ونوع الربط بالشبكة

		العدد	النسبة
نوع جهاز الاتصال بالإنترنت	جهاز حاسوب محمول Laptop	18	% 75
	جهاز حاسوب مكتبي Pc fixe	6	% 25
نوع طريقة الربط بالإنترنت	خط ADSL	21	% 87.5
	خط LTE 4G	3	% 12.5
دفع اشتراك الإنترنت	عائلة المستخدم	22	% 91.6
	المستخدم ذاته	2	% 8.33

المطلب الثاني: الوصف الإثنوغرافي لعينة الدراسة:

تركّز دراستنا على طرق عمل "les manières de faire" الطلبة المستخدمين للأنترنت، والهدف هو تفسير وفهم الطريقة والكيفية التي يستخدم بها الطلاب الإنترنت في حياتهم اليومية (الحياة الدراسية، الحياة الخاصة وحتى المهنية)، وتحديد المعنى الذي يعطونه لهذه الاستخدامات.

[1] عطا الله, سعيد . *ما هي تقنية ADSL*. 14 ماي 2020 .الاسترداد بتاريخ 30 أوت 2020 .
<https://www.arageek.com/l/%D9%85%D8%A7-%D9%87%D9%8A-%D8%AA%D9%82%D9%86%D9%8A%D8%A9-adsl>.

[2] سهام صالح . *ما هو 4g lte*. 16 جانفي, 2020. الاسترداد بتاريخ 28 فيفري, 2020.
</https://sotor.com/%D9%85%D8%A7-%D9%87%D9%88-4g-lte>.

1- السمات السوسيوديمغرافية للمبحوثين

جاءت عينة الدراسة موزعة بشكل متساوٍ على الكليات الأربع (4) المشكلة لجامعة الجزائر 3، حيث كل كلية أخذنا منها 6 عينات وكل عينة مقسمة إلى 3 ذكور (طلبة) و3 إناث (طالبات)، لخلق نوع من التوازن في عينة الدراسة، وبالتالي فنسبة الذكور هو 50% وكذلك نسبة الإناث. تتراوح أعمارهم من 20 إلى 29 سنة، بمعدل 25.33 سنة للذكور و23.16 سنة للإناث، وهي معدلات متقاربة نسبيا، وإذا كانت العينة متجانسة من حيث الجنس والسن والتخصصات، فإنها غير متجانسة الملامح l'hétérogénéité des profils فيما يخص التدرج العلمي، حيث هناك 5 مفردات من طلبة الليسانس و11 مفردة ماستر و8 طلبة دكتوراه. لنرى إن كان هناك استخدامات وممارسات مختلفة تُميز كل مستوى علمي، فكما مرّ معنا في الدارسات السابقة، دراسة Florence Millerand المتعلقة بتملك البريد الإلكتروني عند الباحثين الجامعيين، حيث الاستخدام للبريد الإلكتروني مرتبط بطبيعة التخصص، فهو جماعي عند الباحثين المتخصصين في العلوم الطبيعية، وفردي عند الباحثين المنتسبين إلى العلوم الاجتماعية. يعني طبيعة التخصص تفرض نوع معين من الاستخدام.

جدول رقم (04) يوضح المتغيرات السوسيو-ديموغرافية للمبحوثين

		ذكور/ معدل السن	إناث/ معدل السن	المجموع
		25.33	23.16	24
جامعة الجزائر 3	كلية علوم الاعلام والاتصال	3	3	6
	كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية	3	3	6
	كلية التربية البدنية والرياضية	3	3	6
	كلية الاقتصاد	3	3	6
مستوى التدرج العلمي	ليسانس	2	3	5
	ماستر	6	5	11
	دكتوراه	4	4	8

2- الوصف الإثنوغرافي لملمحات عينة الدراسة

نشير إلى أن العينة –كما سبق ذكره- هي عينة مقصودة الاختيار échantillon par choix raisonné، على عكس العينة الاحتمالية في البحوث الكمية التي تضمن من خلال تمثيلها تعميم النتائج التي يتم الحصول عليها، أما في دراستنا فاختيار العينة كان على أساس الوصول إلى معرفة مفصلة ولو ظرفية حول طرق تملك الإنترنت من قِبل الطلبة الجامعيين، من هذا المنظور لا تدعي دراستنا تعميم استخدام وتملك الإنترنت من قبل الطلبة الجامعيين التي لوحظت بين أفراد العينة على جميع الطلبة بشكل خاص وبالتالي جميع الشباب بشكل عام بسبب اختلاف السياقات التنظيمية والمؤسساتية.

وتم بناء العينة موضوع الدراسة تدريجيا باستخدام طريقة كرة الثلج Snowball، حيث يبدأ الباحث في جمع المعلومات من شخص واحد أو عدد قليل من الأشخاص الذين يُعتبرون جهات اتصال ليعتمد عليهم الباحث للوصول إلى أفراد العينة المراد دراستها، خاصة عندما لا يمكن للباحث الوصول بسهولة إلى أفراد العينة. جهات الاتصال تعمل على توليد مشاركين إضافيين، لذلك لا ينظر إلى المشاركين في كثير من الأحيان على أنهم ممثلون لمجمل مجتمع البحث الذي يتم دراسته[1].

في هذا الصدد قام الباحث بالنزول إلى الميدان والمتمثل في مجموع كليات جامعة الجزائر3 الأربع، والتواجد على مستوى مكتبات، مدرجات ونوادي الكليات والتعرف على بعض الطلبة ليكونوا جهات اتصال أولية لتوليد عينة الدراسة، والمتمثلة في مجموع الطلبة الذين تتوفر فيهم الخصائص اللازمة التي تخدم أهداف الدراسة، ولهم الاستعداد الكلي من أجل أن يكونوا عينة للدراسة.

اعتمدت الدراسة في البداية وكخطوة أولى على توليد عينة تتكون من 41 مفردة، كانت لها القابلية –مبدئيًا- أن تكون مفردات لعينة الدراسة، فقد عملت جهات الاتصال الأولية الموزعة على جميع كليات جامعة الجزائر 3 على توفير عناوين البريد الإلكتروني وعناوين المسنجر الخاصة بمفردات العينة وحتى أرقام الهاتف الشخصية لبعض المفردات. كخطوة ثانية تم شرح للمشاركين في الدراسة طبيعتها وإجراءاتها خاصة

[1] Lopez , Violeta and Dean Whitehead. "Sampling data and data collection in qualitative research." January 2013. researchgate. 31 12 2020. <https://www.researchgate.net/publication/255950308_Sampling_data_and_data_collection_in_qualitative_research>.

فيما يتعلق بتثبيت برنامج على أجهزة الحاسوب الخاصة بهم لتسجيل وتدوين الملاحظات عن بعد (أنظر الإطار المنهجي) ثم تأتي المقابلة كمرحلة ثانية لجمع المعلومات.

بعد استخدام تقنية كرة الثلج في المعاينة والتي وفرّت لنا 41 مشاركاً، إلا الواقع والميدان أبان خلاف ذلك، فبغض النظر عن الاستعداد الأولي لأفراد العينة للمشاركة في الدراسة، فإن الملاحظات الأولية المسجلة أفضت إلى انسحاب 8 مفردات بسبب مشكل الخصوصية وعدم ارتياحهم لفكرة مشاركة معلوماتهم واستخداماتهم للأنترنت التي تجري على شاشة الكومبيوتر، كما تم استبعاد 9 مفردات أخرى، 6 منها لعدم تفاعلها مع البرنامج المثبت على أجهزة الحاسوب الخاصة بهم وبالتالي هذا يُعيق عملية الملاحظة عن بعد والذي يُؤثر على عملية جمع المعلومات الخاصة بالدراسة، أما 3 مفردات فقد تم استبعادها نتيجة التذبذب في الاستخدام الفعلي للإنترنت، وهذا راجع –حسب المبحوثين– إلى عدم الانتظام في عملية دفع اشتراكات الإنترنت ADSL، أو العزوف عن استخدام الانترنت بواسطة الحاسوب والتي تعتبر شرطاً ضرورياً لهذه الدراسة، لوجود بدائل أخرى، خاصة الهاتف النقال.

ولقد استقرت العينة محل الدراسة على 24 مشاركاً تمت ملاحظتهم مدة ستة وعشرون (26) أسبوعا، أي ما يعادل 188 ساعة (أنظر الشكل رقم 05)، و ما يقارب ستة (6) أشهر. وهي عينة قصدية تتوفر فيها شروط الدراسة التي تُتيح الوصول إلى نتائج مرضية ومقبولة، فهدفنا هو البحث عن حالات مثالية وليست تمثيلية، ويرى Patton في هذا النوع من الدراسات هو الانتقائية التي تسعى إلى تضمين الموضوعات التي يُحتمل أن توفر الكثير من المعلومات حول الظاهرة المدروسة، وبالتالي ما يحدد المعاينة، حسب Kuzel في الدراسات النوعية ليس الحاجة إلى التنبؤ أو التعميم، ولكن الحاجة إلى تعميق الظاهرة ومنها بشكل أفضل من أجل خلق تفسيرات جديدة[1]. وكان اختيار هذه العينة في هذه الدراسة حسب الأهداف المراد الوصول إليها، وتجلى ذلك في عينة نرى أنها هادفة وتتوفر فيها الشروط اللازمة، ونلخص خصائص هذه العينة في:

– مفردات العينة تحوي نسبة تمثيلية مناصفة بنسبة 50% لكلا الجنسين؛

[1] Sibeoni, Jordan. L'apport des méthodes qualitatives dans la recherche sur les soins en psychiatrie de l'adolescent. Thèse de doctorat de l'Université Paris-Saclay, novembre 2017, p 22.

- تتراوح أعمار مفردة العينة بين 20 سنة و29 سنة، وبالتالي فهم ينتمون إلى جيل الانترنت المولدون في أواخر القرن 20م وبدايات القرن الواحد والعشرون (21م)؛

- يمثلون نسب متساوية من حيث العدد للكليات التي ينتمون إليها، ست (6) طلبة لكل كلية تابعة لجامعة الجزائر3؛

- أفراد العينة، يدسون في أطوار مختلفة، ليسانس ونسبتهم 20.83%، ماستر ونسبتهم 45.83%، دكتوراه ونسبتهم 33.33%؛

- كل مفردة لها القدرة على الولوج إلى الإنترنت، باستخدام جهاز كومبيوتر محمول (18 مفردة)، أو جهاز حاسوب مكتبي (6 مفردات)؛

- فيما يخص الدعم العائلي لاستخدام الانترنت، 91.60% من مفردات العينة تقوم العائلة بدفع اشتراكات الانترنت بدلا عنهم، في حين 8.33% يدفعون اشتراكهم للإنترنت بأنفسهم.

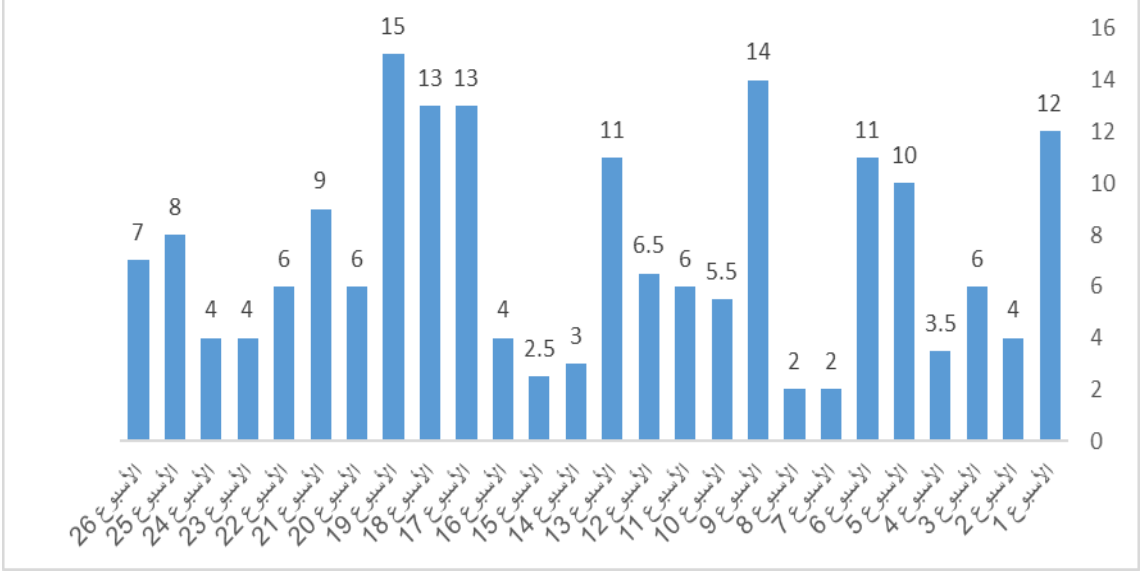

الشكل رقم (05) رسم بياني يوضح عدد ساعات الملاحظة عبر الخط كل أسبوع

المطلب الثالث: علاقة عينة الدراسة بالإنترنت وسياقات الاستخدام

قدم تحليل هذه البيانات النوعية فهما أكثر عمقا لتملك الطلاب للإنترنت، ومكّن من فحص المفارقة بين الممارسات المبلغ عنها والممارسات الفعلية المسجلة والملاحظة. بالإضافة إلى الاستخدام غير المتجانس من طرف هذه الفئة، وأن الأثر الاجتماعي والثقافي وحتى العلمي أكثر تعقيدا مما يبدو عليه.

1- استخدام مفردات العينة للإنترنت

من خلال مقارنة الأوقات المسجلة التي يقضيها كل طالب في استخدام الكمبيوتر والإنترنت، يمكننا ملاحظة الانماط التي تشكل استخدام الكمبيوتر وبشكل أكثر تحديدا استخدام الإنترنت، فتحصلنا على مجموع الوقت الذي يقضيه كل طالب في ممارسة نشاط الاستخدام (الكمبيوتر والإنترنت) وقسمناه على مجموع الوقت الإجمالي لجميع أنشطة الطلاب. فركزنا على ما يقدمه استخدام الكمبيوتر، كجهاز يقدم خدمات مكتبية من جهة وأداة اتصال بالأنترنت من جهة أخرى، فلاحظنا أن هناك أنماط في هذا الاستخدام (أي استخدام الكمبيوتر)، يمكن حصرها فيما يلي: استخدام متصفح الإنترنت، برامج معالجة النصوص، ألعاب الفيديو وأخيرا نظام تشغيل الكمبيوتر. ومن خلال قراءة البيانات المسجلة لمستخدمي الكمبيوتر لأفراد العينة، اتضح أن الإنترنت يلعب دورا مهما للغاية، ويمثل استخدام متصفح الانترنت 61 % من الأنشطة التي يتم ممارستها على جهاز الحاسوب، وهي نسبة معتبرة تمكننا من دراسة استخدام وتملك الانترنت من قبل الطلبة. ثم تأتي برامج معالجة النصوص والتي تستغرق ربع الوقت المخصص للكمبيوتر (24%). هاتان النسبتان الأوليتان معقولتان لحد ما، فكل طالب يعطي مكانة مهمة للإنترنت ثم لبرامج معالجة النصوص، سواء كان الطلاب يستخدمون أجهزة الكمبيوتر الخاصة بهم في الجامعة أم خارج أسوارها كالبيت أو المكتبة مثلا، وعليه يظل الإنترنت هو النشاط المركزي للكمبيوتر المستخدم من طرفهم؛ كما سجلنا نسبة ثمانية 8% كوقت لنظام تشغيل الكمبيوتر بتطبيقاته البرمجية التي تساعد الكمبيوتر على الإقلاع وأداء المهام، أما نسبة 7% من وقت استخدام الكمبيوتر فكان يقضيها الطلاب في الترفيه وألعاب الفيديو. الشكل التالي يُوضح ذلك:

لشكل (06) - متوسط الوقت المستغرق في استخدام الكمبيوتر

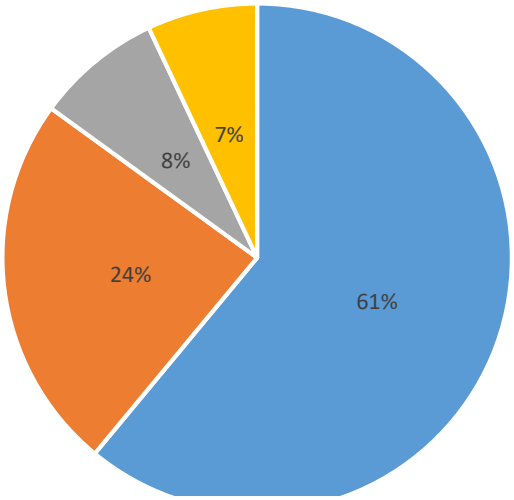

2-: الإنترنت في السياق الجامعي

يجب أن يكون فهم السياق الجامعي والاستخدامات الرقمية للطلبة بمثابة نقطة انطلاق لمعالجة التفاعلات التي تحدث بين الطلبة والانترنت، مما يعطي فهماً أكثر عمقاً يسمح بإجراء التحليل الاجتماعي الجزئي L'analyse microsociale، من خلال تحليل بيانات المقابلة المعمقة والملاحظة عبر الخط بواسطة البرمجيات الخاصة بالتقاط البيانات من أجهزة الحواسب الخاصة بمفردات العينة، وبالتالي إمكانية ملاحظة تقاطع خطابات وتصريحات المشاركين (Les discours) مع السلوكيات الفعلية للمستخدمين في السياق الجامعي، حيث يزاول أفراد العينة دراستهم وحياتهم البيداغوجية، لاحظنا عدة ممارسات، فاستخدامات الانترنت من قبل الطلبة ليست معزولة، بل تتم في سياق من التفاعلات الاجتماعية والأكاديمية بين الطلاب والأساتذة وحتى الموظفين الإداريين، داخل صفوف الدراسة والمكتبات والمختبرات والنوادي العلمية والثقافية والرياضية التي تُقام داخل الحرم الجامعي، وبالتالي يُعتبر هذا السياق فضاء مهم لتبادل المعرفة والخبرات وبناء العلاقات وتطوير المهارات اللازمة لنجاح الأكاديمي والمهني.

ويمكن رصد هذه الممارسات من خلال النقاط التالية:

1- لاحظنا أن الاتصال بالإنترنت داخل الحرم الجامعي، يكون إما لاسلكيا، حيث يستخدم بعض أفراد العينة مفتاح USB شخصي يُوفر خدمة الولوج والاتصال بالإنترنت، وهي الخدمة التي يُوفرها متعاملو

الهاتف النقال موبيليس، أوريدو وجيزي، يعني خدمة على عاتق الطالب شخصياً ومالياً، وتقتصر خدمة WIFI (اتصال لاسلكي) داخل الجامعة على الإدارة والمخابر وأحيانا مكتبات الكليات، ولا يكون الولوج لهذه الشبكة متاحاً للجميع، بل يستفيد منها الإداريون والأساتذة. " *... تعترضني عقبة عدم توفر الإنترنت بالكلية، خاصة خدمة الويفي التي تناسب جهازي المحمول، وبالتالي فأنا محروم من أهم مصدر للمعرفة لإنجاز مشاريعي وبحوثي البيداغوجية، خاصة الأعمال الموجهة ورسالة التخرج، حقيقة أشعر بالإحباط...*" (عبدالرحمن. طالب ماستر 2 . كلية العلوم اللتجارية وعلوم الاقتصاد وعلوم التسيير).

أما الاتصال السلكي، فقد لوحظ وجود شبكة سلكية للإنترنت بكلية الاعلام والاتصال –جامعة الجزائر3– ، هذه الشبكة موجودة على مستوى قاعات التدريس، في كل قاعة فيها من مأخذ واحد إلى ثلاث 3 مآخذ، كل ما يتطلبه الأمر إيصال جهاز الحاسوب المحمول مع الشبكة بواسطة سلك (كابل) شبكة. " *... الشبكة السلكية جيدة للذين ليس لديهم اتصال لاسلكي بالإنترنت، لكن مشكلتها أنها متذبذبة ومتقطعة، إضافة إلى غياب الصيان الدورية لمآخذ الشبكة السلكية الموجودة على مستوى قاعات التدريس لكثرة ما تتعرض له من تخريب...*" (محمود .طالب ماستر1. كلية الاعلام والاتصال).

وعليه فالسياق الجامعي لا يُوفر ولوجاً حراً للإنترنت، فيجد الطالب نفسه مجبرا على تجاوز هذه المنظومة المغلقة والمحتكرة لشبكة الإنترنت لصالح مرافق الجامعة، وذلك من خلال مشاركة Participation الإنترنت الشخصي (سواء عن طريق الهاتف النقال بتقنية 4G أو من خلال مفتاح USB). مكنتنا الملاحظة على فترات متعددة من رصد مجموعة من الطلبة داخل المدرجات وأقسام الدراسة والمكتبات للكليات الأربع، أن هناك مجموعات من الطلبة يقومون بإنشاء نقطة اتصال فيما بينهم Point d'accée يتم من خلالها مشاركة الإنترنت على أجهزة الحاسوب المحمولة، ويكون مصدر الانترنت –غالبا– هو الهاتف النقال، فيلجأ الطلبة إلى نوع من البريكولاج Bricolage كنوع من التحايل على الواقع المفروض، كما يُشير إلى ذلك خالد وهو طالب دكتوراه في كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية: *" ... نقوم بمشاركة الإنترنت بواسطة الهاتف النقال مع بعضنا البعض، لأنها غير متاحة في الكلية من أجل البحث والتوثيق وإنجاز ما هو بيداغوجي..."*

من جهة أخرى تفتقر جامعة الجزائر3 بكلياتها الثلاث (كلية الاعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير) ومعهدها الخاص بالتربية البدنية، لوجود أجهزة كومبيوتر متاحة للطلاب لإنجاز أعمالهم البيداغوجية، ويعتمد في ذلك على جهازه الخاص. يُحيلنا ذلك إلى الحديث عن ضعف البنية التحتية لتكنولوجيات الاتصال الحديثة والتي يُعتبر الحاسوب وشبكة الإنترنت من أهم مكوناتها. هذا ما توصلت إليه دراسة تحت عنوان: واقع استخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصال في الجامعة الجزائرية وسُبل تفعيلها، فرغم اتجاه وزارة التعليم العالي و البحث العلمي نحو رقمنة القطاع والذي قطعت فيه أشواطاً معتبرة، كالجانب البيداغوجي وتطوير البحث والجانب الإداري، إلا أنه لا يرقى إلى المقاييس الدولية لجودة استخدام تكنولوجيات الاعلام والاتصال في الجامعة وعمق نفاذها في السياق الجامعي[1].

يُوفر فضاء استخدامات الأدوات التكنولوجية معلومات إضافية عن أفراد العينة وبيئة استخداماتها للإنترنت، سواء داخل الحرم الجامعي –كما سبق التطرق إليه– أو خارجه، كالمنزل، مكتبة المدينة، المواصلات العامة. ومن خلال المقابلات تبين أن بعض الطلاب يُفضلون استخدام الإنترنت معزولين عن الآخرين لتقادي التشتت وزيادة التركيز من جهة، ولحماية الخصوصية من جهة أخرى. على عكس بعض الطلاب الآخرين، فلا مشكلة لديهم م العمل في بيئة مفتوحة يرتادها أشخاص آخرون. هذا ما صرّحت به خديجة (طالبة ليسانس في معهد التربية البدنية)، حيث قالت: "*أحب أن أنجز أعمالي البيداغوجية في المنزل، حيث الهدوء وقلة الحركة، فكيرة الأشخاص من حولي يُصيبني بالتشتت وعدم التركيز...*"، ويشاطرها في الأمر كل من فريد (طالب ماستر1، علوم سياسية وعلاقات دولية) وكذلك محمد (طالب دكتوراه في علوم الاعلام والاتصال)، الذي لا يحب أن يشارك شاشته مع الآخرين أثناء استخدامه للإنترنت كنوع من الخصوصية. حيث تؤثر خصوصية الشاشات Screen privacy، والتشتت Dispersion على استخدام الإنترنت داخل الحرم الجامعي أو خارجه، فكلما زاد الحساسية تجاه الخصوصية والتشتت كانت شدة استخدام الإنترنت خارج الجامعة أكثر، خاصة في المنزل، وهو ما يمثل نسبة 62.5% من مفردات

[1] بوران, س & ,.رحماني, ل .(2021) .واقع استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال في الجامعة الجزائرية وسبل تفعيلها *Aleph,* . *8*(2), 209-232. Récupéré sur https://www.asjp.cerist.dz/en/article/161388

الدراسة (أي 15 مفردة)، ومرد ذلك إلى الخوف من أن الفضاء المفتوح مثل: المدرج، مكتبة الكلية، ساحات الكلية؛ يجعل شاشات الكومبيوتر مرئية امام الآخرين، هذه الشاشات تُعتبر كبيرة مقارنة بشاشة الهاتف النقال، وهذا يُعرضهم –حسبهم– إلى انتهاك الخصوصية؛ ونقصد بها هنا المعلومات الشخصية التي يعتبرها الفرد مهمة ولا يمكن للعامة الوصول إليها، وبالتالي فهي تشمل المعلومات الشخصية اسم الشخص وعنوانه الفعلي وعنوان بريده الإلكتروني واسم المستخدم الخاص به على الإنترنت ورقم هاتفه ...إلخ، وأي معلومات أخرى يمكن من خلالها تحديد هوية ذلك الشخص. كما تنطوي الخصوصية أيضًا على حق الفرد في التحكم في نشر المعلومات الشخصية، فهي الاستقلالية والقدرة على التحكم في مشاركة المعلومات وكيفية استخدامها[1]. . ومرد ذلك أيضا إلى الشعور بعدم الإنجاز، في بيئة مليئة بالمشتتات التي تهدر وقت المستخدم وتجعله مرتبك وغير مرتاح في استخدام الانترنت.

[1] Timm, D. M., & Duven, C. J. (2008). Privacy and Social Networking Sites . *Faculty Research & Creative Activity*, p 90.

المبحث الثاني: الأثر الثقافي والعلمي والتواصلي للإنترنت لاستخدامات الطلبة الجامعيين

إن وجود علاقة بين تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (خاصة الإنترنت) وبيئة العمل الأكاديمي للطلاب وحياتهم الخاصة، يقودنا للتساؤل عن الأثر Impact الذي يمكن أن تحدثه الإنترنت والشاشات على تنظيم الطلاب ووتيرتهم ومشاركتهم في عملهم الأكاديمي واليومي؛ وبناء عليه، يمكننا تسليط الضوء على الروابط بين الثيمات التي نريد بناءها، بالاعتماد على الأساليب الإثنوغرافية للوصول إلى نتائج مخلصة للواقع وصحيحة إلى حد ما. إن تحديد تصور للاتصال المتعدد في سياق بحثنا يؤدي إلى بناء ثيمات أو أنماط pattern للممارسة الفرد لأنشطته الرقمية في مجال الدراسة بشكل خاص والحياة اليومية بشكل عام، وبالتالي ظهور إيقاع طقوسي له عدة أبعاد مثل: التجارب الشخصية لاستخدامات الشاشة (كل استخدام للشاشة هو تجربة)، التواصل، المعلومات والأخبار، الإنجاز البيداغوجي والترفيه.

من خلال الملاحظة على الخط سجلنا ان نسبة متوسط استخدام الإنترنت من طرف مفردات العينة هو 61% من الزمن الكلي لاستخدام جهاز الحاسوب –كما سبق ذكره– وبحجم ساعي قدره: مائة وثمانية وثمانون (188) ساعة وهي مدة الملاحظة لمدة ستة وعشرون (26) أسبوعا. وقد سمح لنا هذا الرصد من الكشف عن ثيمات هذا الاستخدام كما هو موضح في الشكل أدناه، حيث شكل البحث عن الوثائق العلمية والبيداغوجية ما نسبته 26% من ساعات الرصّد والملاحظة، كما جاءت نسبة 29% متعلقة بالبحث عن المعلومات والاستشارات بمختلف أنواعها، سواء متعلقة بالسياق الجامعي أو سياق الحياة الخاصة واليومية للطلبة، ثم يليها الترفيه والاتصال بنسبة 23% و22% على التوالي. وأردنا من خلال هذه النسب المسجلة أن نعرف الأثر الرقمي وممارسات هذا الاستخدام وطبيعته والاهم أهم الثيمات المكونة له بطريقة إثنوغرافية، حتى نتمكن من رصد سيرورات التّملك الاجتماعي للإنترنت من طرف الطلبة.

الشكل رقم 07 نسبة استخدام الإنترنت المسجلة لدى الطلبة

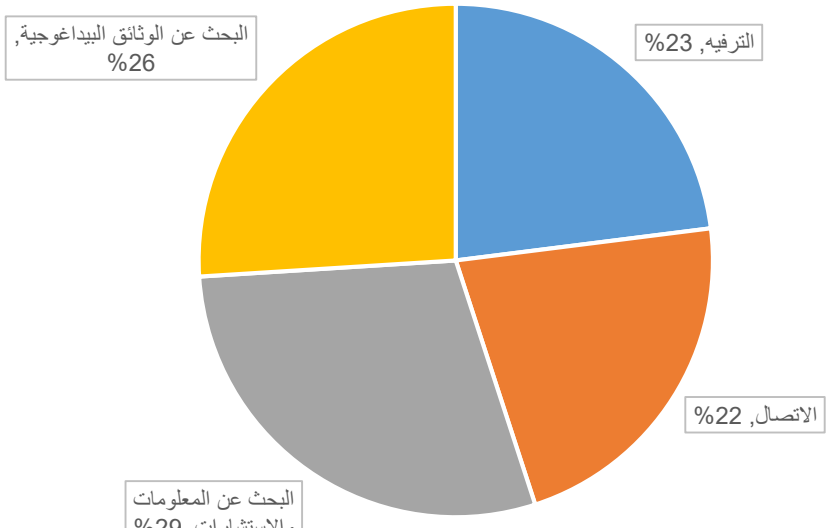

المطلب الأول: الأثر المعرفي وأهم استراتيجيات البحث عن المعلومة

لقد غيّر الإنترنت بشكل جذري طريقة وصولنا إلى المعلومة، حيث أصبحت جزءا مهما من بيئتنا المعرفية، فنحن نبحث عن المعلومات باستخدام محركات البحث، ونخزن المستندات في السحابة، ونتنقل باستخدام الخرائط عبر الإنترنت، ونقرأ الصحف والكتب عبر الإنترنت، ونشارك في الدورات التدريبية عبر الإنترنت، ونتحقق من الجداول الزمنية عبر الإنترنت، وما إلى ذلك، وفي مجتمعنا الرقمي المعاصر يقضي معظم الناس ساعات عديدة يوميًا في التفاعل مع الإنترنت عبر مختلف الشاشات الرقمية. ولفهم الأثر المعرفي الناجم عن ممارسات استخدام الطلبة للإنترنت، تطلب الأمر الكشف عن الاستراتيجيات التي يوظفها الطلبة الجامعيين في البحث عن المعلومات.

أولاً: معلومات ذات سياقين: تُشير الدراسات إلى أن أكبر استخدامات الإنترنت يتمحور حول البحث عن المعلومات، فمن حيث المبدأ، فإن البحث عن المعلومات على أي موقع ويب عادةً ما يتم استخدام محرك بحث لهذا الغرض، ويتم تجسيد خطوة البحث عن المعلومات بالوقت الذي يقضيه الطلاب على محركات البحث، هذا ما توصلت إليه دراسةٌ أجراها Kunz وآخرون أن نسبة ما يقضيه طلاب الجامعة

في البحث عن المعلومات باستخدام الكومبيوتر هو 77.2%[1]. هذا يتقاطع مع عينة دراستنا حيث شكّلت نسبة 56%، والتي جمعت بين البحث عن المعلومات والاستشارات والبحث عن الوثائق البيداغوجية (لاحظ الشكل 07)، أي أن الطالب يقضي أكثر من نصف وقته في البحث عن المعلومة أثناء استخدامه للحاسوب.

بشكل عام، تظل محركات البحث هي الأكثر استخداما من قبل الفئات المختلفة للطلبة، وهي ممارسة منتشرة بشكل متزايد، ويمكن تفسير ذلك من خلال الوظائف التي توفرها هاته المحركات، عن طريق البحث بالكلمات الرئيسية، إنها مناسبة تماما للبحث الدقيق والمتقدم، بالإضافة إلى سهولة الاستخدام والتفاعل. وكان محرك جوجل Google هو الأداة الأكثر استخداما من طرف مفردات العينة كوسيط intermédiaire للولوج وتصفح الانترنت، وهذا يتوافق مع إحصائية موقع Alexa، إذ يعتبر Google الموقع رقم واحد (1) في الجزائر من حيث عدد الزوار في الجزائر وبنسبة استخدام تقدر بـ: 12 مليون زيارة في كل تسع (9) ثواني[2].

وبيّنت الملاحظة عبر الخط أن هناك سياقين للمعلومات المراد البحث عنها من قبل المبحوثين، معلومات ذات سياق علمي أكاديمي، وأخرى ذات سياق يومي (الحياة اليومية الخاصة).

1. ذات السياق العلمي والأكاديمي: من خلال الصور الملتقطة لشاشات حواسيب المبحوثين، يمكن اجمال هذا السياق فيما يلي (أنظر الشكل 08).

أ-الاشتراك في المجلات والمنصات العلمية: يستخدم مفردات العينة المنصات العلمية والأكاديمية من أجل الوصول البيبلوغرافي للمجلات المصنفة والمعتمدة أكاديميا. حيث أظهرت فئة طلبة الدكتوراه استخداما نشطا وواسعا لهاته المنصات مقارنة بفئات التدرج الأخرى (ماستر وليسانس) مثل: المنصة الجزائرية للمجلات العلمية Asjp، والنظام الوطني للوثائق على الخط Sndl، بالإضافة إلى منصات أخرى ذات

[1] Kunz, A.-K., Zlatkin-Troitschanskaia, O., Schmidt, S., Nagel, M.-T., & Brückner, S. (2024). Investigation of students' use of online information in higher education using eye tracking. *Smart Learning Environments, p 13*.

[2] Kemp, S. (2020). *Digital 2020: Algeria.* datareportal. Consulté le 03 15, 2020, sur https://datareportal.com/reports/digital-2020-algeria?rq=algeria

المصدر المفتوح Academia و ResearchGate. صرّح جمال (طالب دكتوراه. معهد التربية البدنية والرياضية): *" ... أمتلك حسابات على بعض المنصات العلمية الجزائرية والدولية، والتي تُتيح لي البحث عن معلومات ذات قيمة علمية تساهم في إنجازي للأطروحة..."*. فطبيعة التدرج العلمي (طور الدكتوراه) يفرض على منتسبيه امتلاك حسابات على منصات بعينها من أجل الإنجاز ومناقشة الأطروحة مثل منصة Asjp وتفسير ذلك أن الطلبة الباحثون ملزمون بالمراجع الببليوغرافية فهي أداة أساسية لإجراء أي عمل بحثي، هذا الأخير يعتمد على التحقق البيبليوغرافي، الاستشهادات، الاقتباسات، المراجع المذكورة في متن المقال أو الأطروحة، فهم مهتمون بأي معلومات تكون ذات صلة بمجال بحثهم وتتسم بالجودة والموثوقية العلمية. كما يعتمد باقي أفراد العينة – بشكل عام- في الجانب الدراسي والمعرفي وإنجاز الأعمال البيداغوجية على المواقع العامة ذات المصدر المفتوح مثل ويكيبيديا Wikipédia، والموسوعات والقواميس على الخط.

ب-تنزيل وتحميل الوثائق العلمية: كما سبق ذكره، يُعدّ البحث عن المعلومات عبر الإنترنت، وخاصةً العلمية والأكاديمية، النشاط الإلكتروني الأساسي للطلبة، إذ تُشكّل المقالات الإلكترونية مصدرا يُمكن للطلبة من خلاله العثور على مواد تعليمية، والتي دائما ما تكون ذات قيمة علمية. وبالتالي فإن انتشار الخدمات الوثائقية، والتطوير المتسارع لمصادر المعلومات وتنوع أشكال تقديمها، ينطوي على ممارسات جديدة للطلاب من أجل تلبية احتياجاتهم من المعلومات بشكل عام. فكل مفردات العينة –دون استثناء- يقومون بتنزيل الوثائق العلمية المرتبطة بتخصصاتهم، وتنزيلها عندما تتاح لهم فرصة الاتصال بالإنترنت والاستفادة منها لاحقًا على أجهزتهم وللاطلاع عليها في وضع عدم الاتصال Offline . حيث تقول سعاد (طالبة ماستر علوم سياسية وعلاقات دولية): *"...اعتمد كثيرا على ملفات PDF في انجاز أطروحة التخرج لأنها ذات مصداقية وموثوقية... كما تعطي إمكانية التهميش بها..."*. وجدنا أن 50% لا تهتم بمصدر وموثوقية المستندات المعتمدة في انجاز البحوث والالتزامات البيداغوجية، بل كل ما يهم هو الإنجاز وتقديم أي مادة علمية بغض النظر عن أصالتها طالما لا توجد رقابة أكاديمية على هذا النوع من الأعمال، وتم ملاحظة استسهال الاقتباس والاستلال للمعلومات التي توفرها شبكة الإنترنت. ومن الممارسات التي تُثير الاهتمام هو ان المعلومات المستقاة من الإنترنت هي تلك المعلومات المبحوث عنها في محرك البحث Google والتي تظهر أولا على نتائج المحرك، يعني لا يوجد تمحيص وتثبّت لقيمة المعلومات. في حين أظهرت الملاحظة ان 50% من مفردات العينة وبالضبط طلبة الدكتوراه (8 مفردات)

بكل تخصصاتهم، طلبة الماستر (5 مفردات) والليسانس (4 مفردات) المقبلين على إنجاز مذكرات نهاية التخرج، يفضلون البحث عن المستندات والمواد الدراسية والتي تكون غالبًا بتنسيقPDF (اختصار يشير إلىPortable Document Format)، ويرجع ذلك إلى أن هذا النوع من الملفات يحظى بالموثوقية من جهة كمصدر علمي، والثبات من جهة أخرى، أي أنه لا يتغير ولا تحدث عليه تعديلات كباقي المحتويات الوثائقية التي توفرها الإنترنت فهي مستندات إلكترونية يُعتّد به في التهميش وذات أصالة معرفية معروفة المصدر. اما اعتماد هذه المفردات على هاته الملفات ذات الامتداد PDF، فيرجع تفسيره إلى اعطاء جودة وأصالة للعمل البيداغوجي (أطروحة تخرج، مقال علمي، ملتقى علمي..). أي هناك اختلاف في ممارسات تنزيل الملفات والمصادر الإلكترونية حسب درجة مستوى التدرج العلمي مثل طلبة الدكتوراه، وطبيعة الالتزام البيداغوجي الذي يحث الاستعانة بهذا النوع من الملفات في الإنجاز مثل طلبة الماستر والليسانس المقبلين على التخرج، مقارنة بباقي مفردات العينة.

يوضّح تحليل المقابلات لمختلف أفراد العينة، أن استخدام الإنترنت من قبل الطلبة في البحث عن المعلومات وتنزيلها، يعود في الأساس إلى السرعة التي تُوفرها هاته الأداة في توفير المعلومات المراد البحث عنها، أولا، لغياب المراجع والوثائق والمصادر في محيط الطالب، وفي أحسن الحالات إذا كانت موجودة في مكتبات الكليات التي ينتمي إليها الطالب، أو المكتبات العمومية، فهي ناقصة ولا تلبي رغبات الطالب الباحث عن المعلومة، هذا من جهة، وسهولة اقتنائها بعيدا عن تعقيدات البيروقراطية التي قد تمارسها بعض إدارات المكتبات من جهة أخرى، فمستخدم الإنترنت يتفادى كل هذا التعقيد، وفي هذا الصدد صرّح سمير (طالب ليسانس في معهد التربية البدنية والرياضية): *"..انا متواجد في هذا المعهد منذ ثلاث سنوات ولم استعر كتابا واحدا من مكتبة المعهد... اعتمد على الإنترنت في البحث عن المراجع التي احتاجها في بحوثي واجاز مذكرة التخرج..."* .

لم نسجل أي اختلافات بين الجنسين في استخدام الإنترنت للبحث عن المعلومات، كما أن اختلاف التخصصات للمبحوثين حسب كليات جامعة الجزائر3 لم تؤثر في نتيجة الاستخدامات ذات السياق الجامعي، إلا أن طبيعة الالتزامات البيداغوجية التي يفرضها كل مستوى في التدرج العلمي أفرز ممارسات تختلف من طلبة الدكتوراه والمقبلين على التخرج من الليسانس والماستر، عن غيرهم من الطلبة، فتم تسجيل ممارسات جديدة، تخص طرق وكيفيات البحث عن المعلومات، بدأ من استخدام الكلمات

الرئيسة، البحث المتقدم، نوع الملفات مختلفة الامتدادات Les Extensions مثل (pdf, doc, html ...)، بالتالي فالانتقال من طور إلى آخر يجعل الطالب يمتلك قدرا من الكفاءة التقنية، إذ يجب على الطالب/المستخدم إظهار حد أدنى من الإتقان التقني والمعرفي فيما يتعلق بالهدف التقني (البحث عن المعلومات واستغلالها)، وهذا الإتقان التقني وبمرور الوقت يتحول إلى ممارسات يومية للطالب/المستخدم. الحد الأدنى من التحكم المعرفي موجود في عينة الدراسة وهو يتحسن من طور إلى طور، إذ تقتضي طبيعة كل طور (ليسانس، ماستر، دكتوراه) التكيف مع متطلباته، وهو ما لاحظناه على المبحوثين، فالتحكم التقني والمعرفي أعلى لدى طلبة الدكتوراه، وبنسبة أقل عند طلبة الماستر، وأقل منه عند طلبة الليسانس.

ج- الاشتراك في الدورات التكوينية والتعلم عن بعد:

يمكن ربط مصطلح التعلم الإلكتروني بعدة تسميات: التدريب عبر الإنترنت، والتعليم عن بعد، والتدريب الإلكتروني، إلخ، ويُشير "e" بـ إلكتروني و Learningتترجم بـ "التعلم"، وهذا يعطي حرفيًا "التعلم الإلكتروني". يجمع مصطلح التعلم الإلكتروني مجالًا واسعًا جدًا من الوسائل والأساليب والمحتويات التعليمية .توجد بالفعل مجموعة كبيرة من التعريفات التي تندرج ضمن اتجاه معين، حيث يركز بعضها على الدعم التكنولوجي .وكمقدمة، لتعريف التعلم الإلكتروني، سوف نعتمد التعريف الذي اقترحته المفوضية الأوروبية في عام 2001 :استخدام تكنولوجيات الوسائط المتعددة الجديدة والإنترنت لتحسين جودة التعلم من خلال تسهيل الوصول إلى الموارد والخدمات، وكذلك التبادل والتعاون عن بعد[1] ،نستنتج من هذا التعريف مفاهيم أساسية يقوم عليها التعليم عبر الإنترنت، تتمثل في الموارد والخدمات التي توفرها منظومة الإنترنت من ناحية، ومن ناحية أخرى، مفاهيم التبادل والتعاون.والتي ترتكز على عملية التفاعل، وهي أهم خاصية تميز الإنترنت كما مرّ معنا.

كما تُوفر الإنترنت التكوين عن بعد والذي قد يكون بمقابل أو مجاني، رسمي أو غير رسمي، ويكون متنوع الوسائط والمنصات. تُكسر في هذا النوع من التكوينات مبادئ التكوين الحضوري الكلاسيكي وهي المكان والزمان، مكانياً لا يجتمع أطراف العملية التعليمة (المدرب والمتدرب) في حيز جغرافي واحد، أما زمانياً فقد

[1] Jérôme, P. (2017). *L'apport du e-learning dans la formation initiale et continue en odontologie.* Médecine humaine et pathologie: dumas. P 26.

يكون هناك تزامني العملية التدريبية، أي في نفس الوقت، أو لا تزامني، فالمتعلم/المتدرب يتفاعل مع المنصة أو المحتوى التعليمي في الزمن المناسب له.

بعض مفردات العينة لهم اهتمام بهذا النوع من التعلم عن بعد، فقد لاحظنا أن المفردتان رشيد (طالب ماستر، معهد التربية البدينة والرياضية) ومنير (طالب ماستر، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية) لهما حسابان على منصة Edx[1](أنظر الشكل السابق)، حيث تقدم العديد من الدروس والتكوينات في تخصصات عديدة؛ يقول منير: "... *لدي حساب على منصة Edx أتابع فيه بعض الدورات التكوينية ... خاص في القانون والعلوم السياسية..."* ويضيف رشيد على ذلك قوله: "...يوجد فيها دورات تكوينية مهمة جدا... وما يميز هذه المنصة انها مجانية، كطالب ليست لدي القدرة على دفع تكاليف هاته الدورات..." . إن استغلال هذه التقنيات (المنصات) في سياق التعلم يساعد على اكتساب قيمة حقيقة مضافة لرصيد الفرد المهاراتي والعلمي، والتي يقد يترب عنها آثار اجتماعية وربما مالية. يُؤكد سمير أنه خاض دورات تكوينية على منصة Edx وتحصل منها على شهادتين تتعلقان بالقانون الدولي باللغة الإنجليزية، زادتا من قيمة سيرته الذاتية.

هذا النوع من المنصات يتطلب حد أدنى من المهارات في استخدام الإنترنت، إذ على الطالب أن يكون ملماً ببعض الجانب المعرفي المرتبط باستخدامها، مع منصة Edx أوضح كل من منير ورشيد، أن الأمر تطلب بعض الوقت، فاستخدام هذه المنصة ينطوي على كثير من التعقيد إذا ما قُورن ببعض المنصات الأخر. بداية على المتدرب ان يكون لديه حساب مفعّل على المنصة، ثم يبدأ الطالب/المستخدم في التعامل مع بعض القوائم المنسدلة التي تقترح عليه نوع الدورات والتخصصات الموجودة على المنصة، وعلى المستخدم أن يختار ما يُناسبه من تكوينات، أو أن يلجأ إلى أيقونة البحث واستخدام الكلمات الأساسية، فتظهر له نتائج البحث ويختار منها ما هو مرتبط باهتمامات الطالب. الدروس مجدولة زمانيا، فالطالب مطالب بإكمال محور أو فصل أو مشاهدة فيديو أو قراءة نص خلال مدة زمنية معينة حتى يتمكن من الإجابة عن الأسئلة المرتبطة بها، حتى تكون له القدرة على المرور إلى المرحلة الموالية من

[1] وهي منصة للتعليم عن بعد ذات مصدر مفتوح ومجانية، توفر دورات مختلفة في العديد من المجالات العلمية والتقنية، تم انشاؤها عام 2012 بمساهمة العديد من الجامعات العريقة مثل هارفرد وكامبريدج، وأيضا بمساهمة عمالقة التكنولوجيا مثل جوجل ومايكروسوفت.

التدريب. كل هذه الإجراءات تتطلب قدرا من الاستحواذ على بعض المهارات التقنية، وحتى لا يصبح عدم التحكم في هذه المنصة عائقا أمام الطالب في تكوين ذا قيمة، وقد تم اكتشاف أن التجربة الشخصية وعامل الزمن يلعبان دورا أساسيا في تملّك هكذا نوع من المنصات لدى مفردات العينة، فحسبهم فهم لم يتلقوا تكوينا على استخدام هاته المنصة.

تقدم أيضا منصة يوتيوب YouTube على غرار منصات التعليم المنتشرة على النت، دروسا ومحاضرات في مختلف المجالات، لعل أهما تعلم اللغات الأجنبية وتبسيط العلوم. فبالأساس منصة يوتيوب هي منصة للتواصل الاجتماعي، مخصصة للفيديوهات والبث الحي سواء للأشخاص الطبيعيين أو المعنويين مثل الشركات والمنظمات، رسمية مثل القنوات الإخبارية والوكالات أو غير رسمية مثل الأفراد العاديين.

في نفس السياق، تُشير دراسة أعدها François Godin بأن طالب واحد من كل أربعة طلاب جامعيين وطالب واحد من كل ثلاثة طلاب دراسات عليا يسعى إلى اكتساب معارف جديدة مرتبطة بدراسته على موقع يوتيوب[1]. وإذا كان من الصعب قياس التأثير الحقيقي الذي تحدثه مقاطع الفيديو في التعلم، خاصة مقارنة بدورة دراسية تقليدية، فيبدو مع ذلك أن هناك أثراً لا يمكن تجاهله لهاته المنصة في اكتساب المعرفة، وهو أمر معترف به على نطاق واسع اليوم في الأدبيات العلمية والمهنية، وذلك بسبب تنوع محتوى اليوتيوب، وتسهيلها تطوير أشكال مختلفة من التدريس والتدريب، مثل الجلسات المتزامنة أو غير المتزامنة، سواء بمفردهم أو بالتعاون، كما يوفر مرونة متزايدة في اكتساب المعرفة من خلال السماح بإيقاف الفيديو مؤقتًا، وإعادة تشغيله، أو تشغيل مقطع منه، أو تخطي مقطع، و الوصول إلي المحتوى على مدار 24 ساعة في اليوم، بالإضافة إلى مزايا أخرى مثل الترجمة الفورية للفيديوهات.

على الرغم من أن حجم عينة الدراسة يدعو إلى الحذر، وتخفيف الاستنتاج بشأنها، فقد لاحظنا أن طلبة الدكتوراه لا يتعلمون أشياء كثيرة متعلقة بدراستهم على يوتيوب، وهو ما يبدو منطقيًا نظرًا لمستوى معرفتهم المفترض وتعليمهم العالي في مجالهم، فاليوتيوب قد لا يُقدم لهم معرفة ترضي شغفهم. فالتقدم والنضج المعرفيان لعينة طلبة الدكتوراه ينقص من اعتماديتهم على هذه المنصة، التي تعتمد في جانها المعرفي

[1] Godin, F. (2023). *YouTube en BU : de l'offre à la production de contenus, quelle stratégie adopter dans l'accès à l'information et l'apprentissage ?* Diplôme de conservateur de bibliothèque: Université De Lyon, p 30.

على تبسيط العلوم وجعلها متاحة لعامة الجمهور، وهو ما لا يتناسب مع طبيعة طلبة الدكتوراه وقدراتهم العلمية. مقارنة مع طلبة الليسانس والماستر – حسب العينة- والذين يعتريهم الفضول لاكتشاف أشياء جديدة في الجانب العلمي وتعلم لغات جديدة على اليوتيوب، خاصة الإنجليزية. وهذا ما سجلناها في المقابلة، إذ تعتمد كل من نسرين (طالبة دكتوراه، كلية الاعلام والاتصال) وسعاد (طالبة ماستر، كلية العلوم التجارية وعلوم الاقتصاد والتسيير) على منصة يوتيوب في تعلم واتقان اللغة الإنجليزية، حبت صرّحت نسرين: *"... يساعدني يوتيوب في تعلم اللغة الإنجليزية، فهو يقدم فرصة لا مثيل لها لتعلم هاته اللغة..."*، وتضيف سعاد: *"...هناك العديد من القنوات المتخصصة في التدريب على اتقان اللغة الإنجليزية، وذات قيمة وسمعة جيدة... وهي مجانية"*. لذلك يمكننا أن نستنتج أنه وراء هذا الاستخدام يختبئ بُعد مزدوج، فمن ناحية، جمهور مستخدم يبحث عن نفسه، هم طلبة الماستر وطلبة الليسانس، ومن ناحية أخرى، جمهور مستخدم أكثر نضجًا وعقلانية وهم طلبة الدكتوراه.

من حيث الاستخدام، لاحظنا أن مفردات الدراسة لم تتلقى أي مشاكل تقنية في الاستخدام، بل عبرّوا أن الاستخدام على اليوتيوب سهل وسلس جدا مقارنة بمنصات التدريب والتكوين الأخرى. وعليه يعتبر اليوتيوب سهل نسبياً مقارنة بمنصات التكوين سابقة الذكر، وهذا ما تم ملاحظته على مفردات الدراسة، فكل ما يتطلبه الأمر هو فتح حساب على المنصة وعادة ما يكون مرتبط بحساب Gmail، ثم البحث عن القنوات المراد متابعتها عن طريق الكلمات المفتاحية، وتقوم خوارزميات المنصة بتوصيات وباقتراحات قوية تتمثل في أحسن وأجود القنوات من خلا الأكثر متابعة ومشاهدة، وبعد الاختيار على المحتوى المناسب يقوم الطالب بالضغط على زر الاشتراك وتفعيل جرس الاشعارات إن كان مهتم بالمحتوى المقدم من طرف القناة. وبالتالي إن خطوات الاستخدام سهلة بسيطة لا تتطلب مهارات معقدة ومركبة.

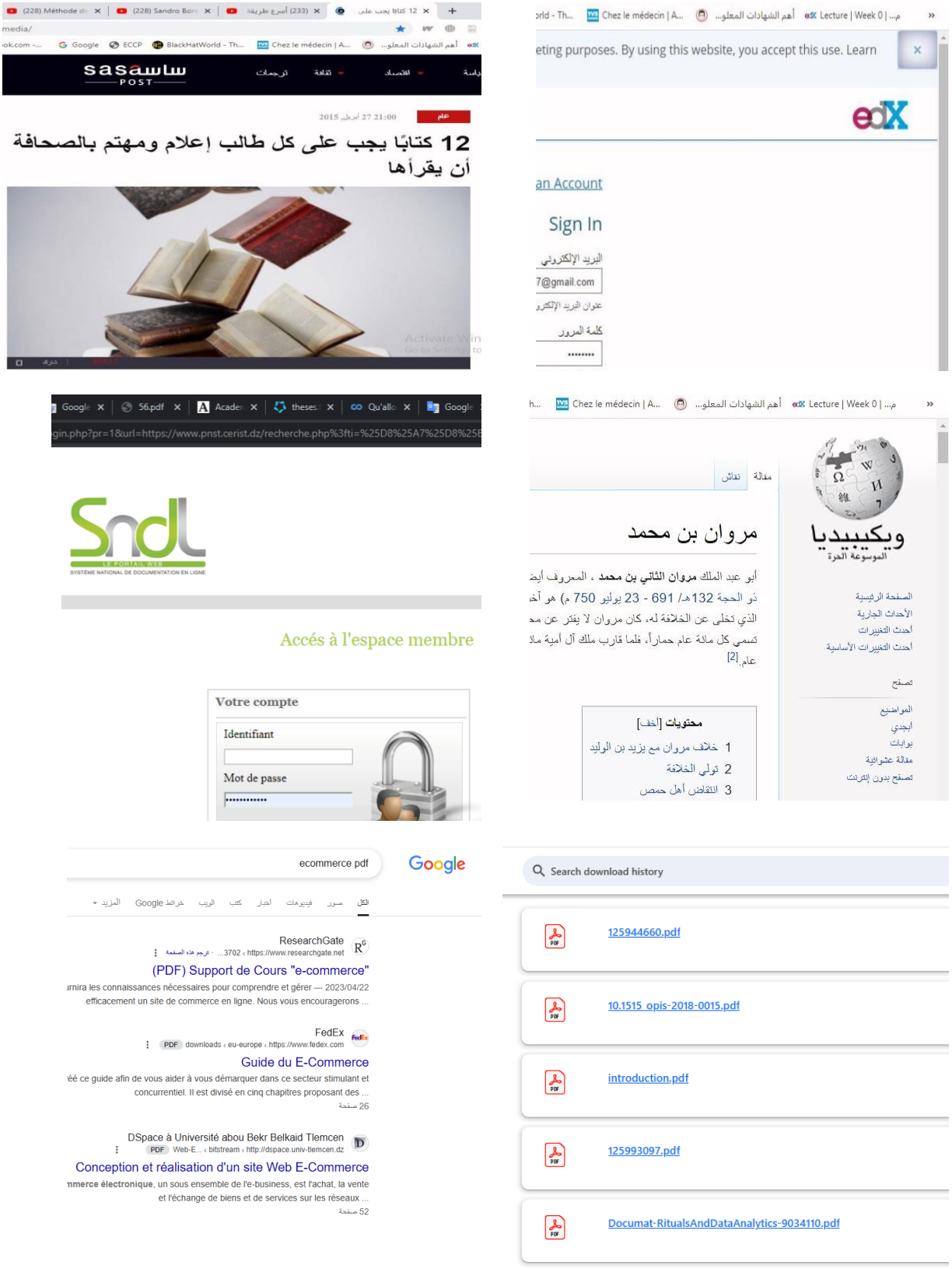

الشكل رقم 08 لقطات شاشة لبعض حواسيب المبحوثين ذات السياق العلمي والأكاديمي

2-معلومات واستشارات ذات سياق يومي: تُحيلنا الملاحظة عن بعد إلى وجود تصفح للإنترنت ذو طابع شخصي/ يومي، يتعلق بالأساس بالحياة الشخصية لمفردات العينة واهتماماتهم اليومية البعيدة عن السياق الجامعي، فهذا الأخير هو جزء من كل، قد يزيد وينقص حسب كل مفردة واهتماماتها المستقبلية. ما يُثير الانتباه في الملاحظة عن بعد، أن السياق الجامعي والسياق اليومي لاستخدامات الإنترنت، متداخلان، بمعنى أنه لا يوجد فاصل زمني في البحث عن المعلومات ذات السياق العلمي الأكاديمي وذات السياق اليومي، ولا نستطيع أن نحدد الفترة المخصصة لكليهما، فالطالب عند استخدامه للإنترنت، في البداية يقوم بالحث عن معلومات مرتبطة بدراسته والتزاماته البيداغوجية، لكنه ما مرور الوقت ينتقل إلى البحث عن معلومات ويقوم باستشارات خارج هذا الإطار، تُشير الدراسات إلى هذا السلوك على أنه نوع من التشتت في الاستخدام Dispersion، لكن يحدث أحياناً العكس، أي المستخدم/ الطالب ينتقل من السياق اليومي إلى ما هو جامعي. هذا ما تؤكّده مجموعة الصور الملتقطة لشاشات أجهزة حاسوب المبحوثين، مثال: خلال جلسة زمنية واحدة مدتها ساعتان (2سا) و13 دقيقة، قام خالد (طالب ماستر، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية) بالبحث عن معلومات أكاديمية مرتبطة بواجب بيداغوجي تم تكليف به في الكلية، وأثناء البحث وفتح العديد من نوافذ التصفح وتنزيل المادة العلمية، قام أيضا وفي نفس الوقت بتصفح أخبار الرياضة والبحث عن نتائج مباريات في كرة القدم، وتشغيل مقاطع من الموسيقى وقام ببعض المحادثات على مسنجر Messenger، ففي جلسة واحدة قام خالد بالتواصل، البحث عن المعلومات (علمية و إخبارية)، وبالترفيه. أنظر الشكل رقم (09) الذي يوضح تنقل الطالب بين ما هو يومي وما دراسي. وهذا هو النمط السائد في عينة الدراسة مع الاختلاف في تفضيل محتوى على آخر، هذا التفضيل، من جهة محكوم بمحددات اجتماعية، ثقافية وحتى سياسية، ومن جهة أخرى نفسية وفردية مرتبطة بالطالب. هذا ما توصلت إليه العديد من الدراسات[1]، إذ يمكن اجمال العيديد من المحددات مثل: تقدير الذات، الانبساطية أو الانفتاح الاجتماعي، العصابية، الانفتاح على التجارب، الدافعية الإيجابية، الميل نحو التجارب المثيرة، كما يلعب العمر والجنس دوراً أساسياً في استخدامات الإنترنت.

[1] Jean-Pierre, M., Adolf, M., Lilly Berthe, K., Prosper, G., & Lamou, B. (2025). Déterminants de l'usage problématique des réseaux sociaux. *Psychotropes, 30*(4), 53.

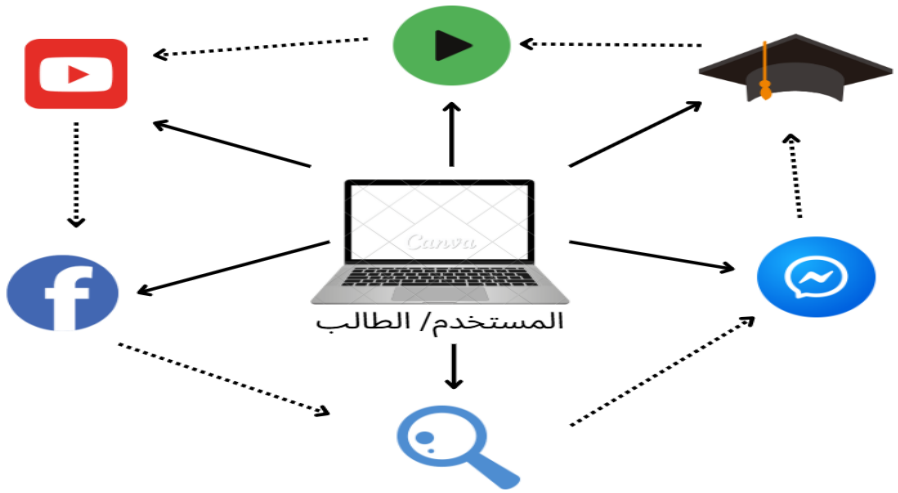

الشكل رقم(09) يوضح كيفية انتقال الطالب بين التصفح الدراسي واليومي في جلسة واحدة

وكغيرهم من مستخدمي الإنترنت، لاحظ الباحث أن مفردات العينة مهتمة بمتابعة الأخبار بكل أنواعها مع تفضيل موضوعات على أخرى (أنظر الشكل 10) مثل الرياضة، السياسية وأخبار الفن والفنانين. ويرجع ذلك إلى ذهنية المواطن الجزائري الذي يُتابع كرة القدم وأخبارها بشغف، خاصة تلك المتعلقة بالفريق الوطني لكرة القدم، وتتغطى الاخبار المتعلقة بالشأن العام على اهتمامات مفردات العينة خاصة السياسية منها. كما تم رصد إبحار بعض مفردات العينة إلى المواقع التي تقدم خدمة الطقس مثل météo dz، يتصفح الطالب/المستخدم (خالد، نسرين، أمال، عثمان، نورالدين، سعاد، عبدو، عبد الرحمن) هذا الموقع لطلب الاستشارة والمعلومة فيما يخص حالة الطقس لذلك اليوم أو تقديرات الطقس لأسبوع، حتى يتمكن من ارتداء الملابس المناسبة، أخذ الاحتياطات اللازمة من تقلبات الطقس، وإن كان اليوم مناسب للخروج ام لا. لاحظ الباحث أن بعض مفردات العينة (جمال، فريدة، غنية، خالد، محمد، رشيد، منير، ليندا، عمر، خديجة، سمير) يقومون بالتجول في مواقع التسّوق، خاصة موقعا AliExpressوOuedkniss، والهدف هو الاطلاع على جديد المنتجات والسلع، البحث عن سلعة بعينها، مقارنة الأسعار لسلعة ما.

لم يسجل الباحث أية فروق بين الجنسين في البحث عن المعلومات ذات السياق اليومي، ولكن هناك اختلاف في المحتوى والمضمون الناجم عن التنشئة الاجتماعية والهوياتية لكل جنس.

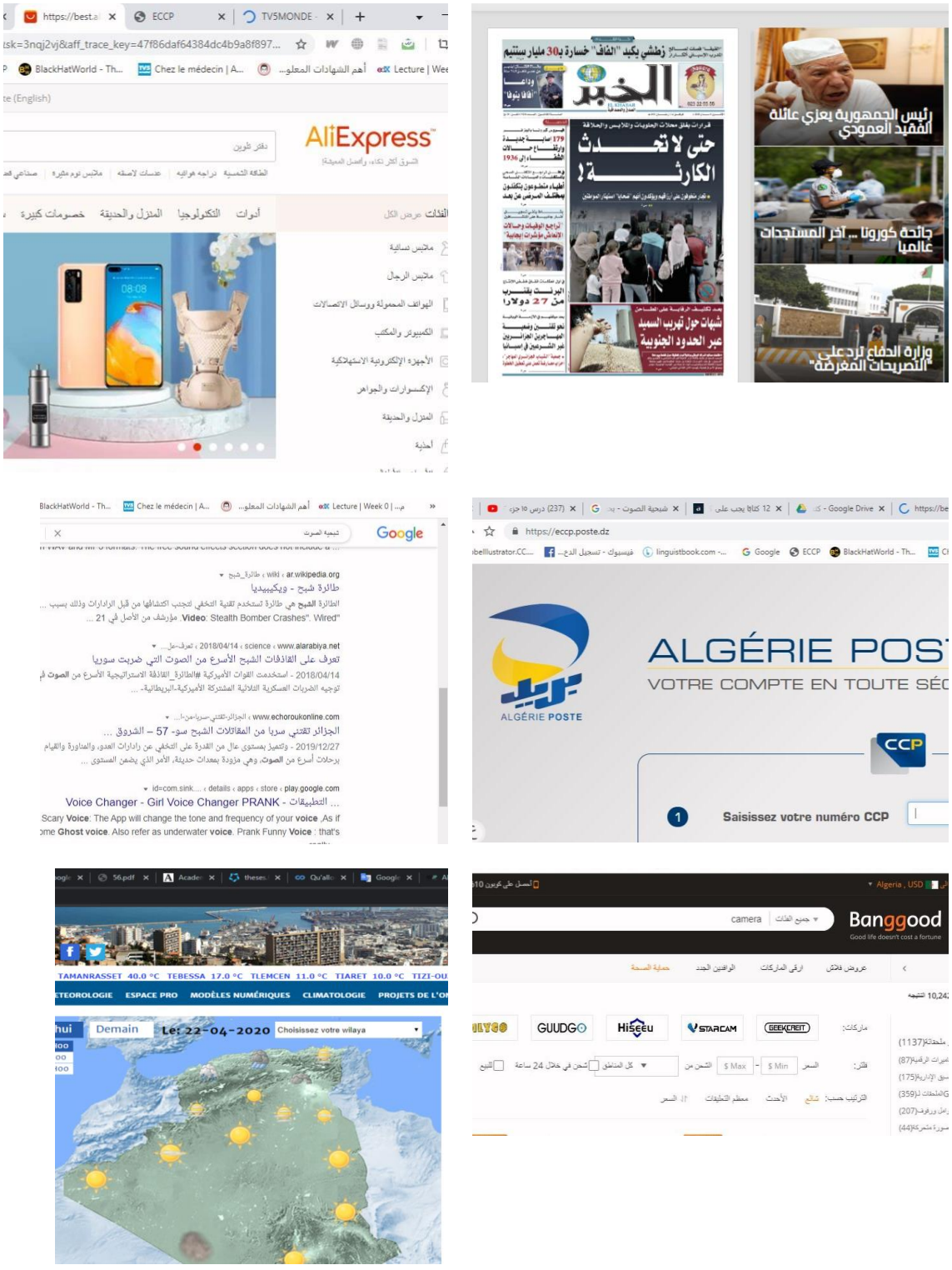

الشكل رقم 10لقطات شاشة لبعض حواسيب المبحوثين ذات السياق اليومي

ثانياً: استراتيجية البحث عن المعلومات والاستشارات: بناءً على نتائج التحليل الكيفي للمقابلات النوعية في مرحلة ثانية للدراسة، تم الكشف عن أهم الممارسات والسلوكيات الاستراتيجية التي اتبعها الطلبة في البحث عن المعلومة عبر الإنترنت، سواء تلك المتعلقة بالدراسة والحياة الجامعية أو تلك المعلومات المتعلقة بما هو يومي والحياة الخاصة للطلبة. مكننا هذا التحليل، ومقارنة ببعض الدراسات من حصر هذه الاستراتيجيات[1] في:

1- التحكم التقني: ونقصد به مدى قدرة الطالب على البحث عن المعلومات والاستشارات داخل شبكة الإنترنت. فقد أشار الطلبة في المقابلات إلى صعوبة البحث عن المعلومات ذات السياق العلمي والمتعلقة بالدراسة، فغالباً ما تكون هذه المعلومات معقدة ومركبة وتتطلب تنقيحاً، مما جعل الطلبة يجدون صعوبة في البحث عنها، عكس المعلومات ذات السياق اليومي والمتعلقة بمختلف قضايا الحياة، التي تتميز بالوفرة وسهولة البحث عنها، مما يُعطي للطلبة قدراً أكبر في التحكم فيها. هذا ما صرّح به نورالدين (طالب ليسانس، كلية العوم التجارية والعلوم الاقتصادية والتسيير)، حيث قال: *" ... الأمر أسهل عند البحث عن المعلومات المتعلقة بالحياة اليومية ...، والأمر أكثر صعوبة إذا حاولت أن تبحث عن شيء يتعلق بالدراسة..."* . وتفسير ذلك أن المعلومات العامة، منها معلومات الحياة اليومية متوفرة بحجم كبير جدا، وهي ما يصادفه الجميع غالبًا عند البحث، في حين أن المعلومات البيداغوجية والعلمية على كثرة وفرتها في دائما تحتاج إلى نوع من الفلترة والتقييم، وهذا ما يقوم به طلبة الدكتوراه، حيث لا يجدون صعوبة في التحكم التقني في عملية البحث عن المعلومات ذات السياق العمي، وكشفت الملاحظة أنهم يستخدمون البحث المتقدم Advanced search للوصول للمعلومات الاكاديمية، كما أسلفنا سابقاً، فمستوى الطور (دكتوراه، ماستر، ليسانس) يلعب دورا حاسما في استراتيجية التحكم التقني لاستخدامات الإنترنت. وبحكم وجوب أن يكون البحث عن المعلومات على مستوى الدراسات العليا دقيقاً وشاملاً، ينزع كثيراً من طلبة الدكتوراه إلى استخدام تقنيات البحث المتقدم، والمتمثلة في تستخدم كلمات وعبارات مفتاحية مختارة

[1] Tsai, M.-J., Liang, J.-C., Hou , H.-T., & Tsai, C.-C. (2012). University students' online information searching strategies in different search contexts. *Australasian Journal of Educational Technology, 28*(5), p 886.

بعناية عبر مجموعة واسعة من المصادر، بالإضافة إلى استخدام المنطق البولياني Boolean logic[1] وتقنيات الاختصار، وصولاً إلى حفظ نتائج البحث من أجل المقارنة، تعقب التغيرات التي قد تحدث للمعلومة والرجوع إليها عن الحاجة.

2- في جانب الارتباك: كسلوك مؤثر في عملية البحث، أعربت عينة الدراسة عن أن البحث عن المعلومات المخصصة للدراسة غالبًا ما يسبب توترًا وإجهادًا للطلبة، فالبحث في سياق الدراسة يُعتبر مهمة غير محددة المعالم. مقارنة بالبحث عن معلومات الحياة اليومية الذي عادة ما يكون مدفوعًا بحرص الطلاب على حل المشكلات اليومية التي تواجههم، وبالتالي هناك نوع من الارتياح في الاستخدام لدى الطلبة. هذا ما أدلت به فوزية (طالبة ماستر، معهد التربية البدنية والرياضية): *"...عادة البحث عن المعلومة الدراسية يكون بتكليف من أستاذ المقياس... هذا يشعرني بعدم الارتياح والارتباك... وأحيانا لا أفهم عما أبحث..."*. سجلنا أن هذا الارتباك موجود عند جميع مفردات العينة، سواء طلبة دكتوراه، ماستر أو ليسانس، فمعلومات الدراسة تطرح تحديات لا يمكن تجاهلها، تتمثل في ماذا نريد من هاته المعلومات؟، وأين نبحث عنها؟، هناك الكثير من المعلومات الضخمة وذات الصلة، وبالتالي ماهي المعلومة التي نحتاجها بالضبط؟، كل هذا يرفع من درجة التوتر لدى الطلبة، عكس المعلومات المتعلقة بما هو يومي، فهي أقل إلزاما ولا يتعامل معها الطلبة على أنها واجب يتطلب إنجازاً. تقدم لنا المقابلات فهما أكثر عمقاً لهذا الجانب، فقد تبين أن الإناث أكثر توتراً وقلقاً من الذكور، صحيح أنه يصعب قياس هذا التوتر من خلال الملاحظة عن بعد، لكن تصريحات الإناث من مفردات العينة، تُشير إلى وجود 'قلق'، يُحيل إلى حالة من الخوف أو التوتر الناتج عن استخدام الإنترنت، مما يبعث بمشاعر عدم الارتياح أو الضغوط النفسية المتعلقة بالتفاعل عبر الشبكة. هذا ما كشفت عنه دراسة[2]، والتي توصلت إلى وجود اختلافات بين الجنسين، حيث أن استخدام الإنترنت مرتبط بالهوية الجندرية (الجنس) والقلق، وهذا راجع إلى الاختلافات بين

[1] تتيح العمليات المنطقية الربط بين مصطلحات البحث الخاصة بطرق محددة. وهي تتطلب استخدام عوامل التشغيل المنطقية AND و OR و NOT. AND يضيّق نطاق البحث OR يوسع نطاق البحث NOT يضيّق نطاق البحث عن طريق استبعاد المصطلحات.

[2] Joiner, R., Gavin, J., Brosnan, M., Cromby, J., Gregory, H., Guiller, J., . . . Moon, A. (2012). Gender, Internet Experience, Internet Identification, and Internet Anxiety: A Ten-Year Followup. *CYBERPSYCHOLOGY, BEHAVIOR, AND SOCIAL NETWORKING, 15*(7), p 372.

الجنسين في المجتمع الأوسع، كما دحضت هذه الدراسة الافتراض الخاطئ بأن جميع الشباب (ذكوراً وإناثاً) لديهم مستويات مماثلة وعالية من القدرة النفسية والخبرة التكنولوجية. هذا ما يؤكد علاقة متغير الجنس بالجانب النفسي لاستخدامات الإنترنت في البحث عن المعلومة على الأقل في جانبها العلمي والأكاديمي، وهو ما ينطبق على مفردات الدراسة.

3- الجانب التقييمي للمعلومات: تُعدّ معالجة المعلومات وتقييمها واتخاذ القرار بشأن استخدامها أثناء البحث على الإنترنت ظاهرةً معقدة. أشار المبحوثون – إذا استثنينا طلبة الدكتوراه- إلى أنه عند البحث عن معلومات متعلقة بالدراسة، فإن مجرد العثور على إجابة كان جيدًا بما فيه الكفاية؛ ومن ناحية أخرى، عند البحث عن معلومات المتعلقة بالحياة اليومية، كانوا يريدون أن يفهموا أكثر ويقوموا بتقييم أكثر شمولاً، صرّح نبيل (طالب ليسانس، كلية الاعلام والاتصال) : *"...أُفضّل البحث عن معلومات الحياة اليومية لأنني أهتم بها أكثر... لنفترض أنني أريد شراء شيء للاستخدام اليومي، فسوف أقوم بالبحث على الإنترنت لمعرفة المزيد عنه، وإيجاد المزيد حول ماهية هذا المنتج، ولكن عند البحث عن معلومات للدراسة، لن أبذل جهدًا إضافيًا.... وأكتفي بنتائج البحث الأولية..."* . على عكس طلبة الدكتوراه، فالأولوية عندهم هو بذل جهدّ إضافي للوصول إلى المعلومة المطلوبة. تتفق هذه البيانات المتحصل عليها من الملاحظة عن بعد والمقابلات مع نتائج دراسات سابقة في هذا المجال[1]. إذ يواجه الطلاب صعوبة في تقييم المعلومات، ولا يتبنون موقفًا نقديًا تجاهها حول موثوقيتها، وأقر المبحوثون (الليسانس والماستر) بأنهم لم يكونوا متأكدين حقًا من كيفية التمييز بين المعلومات الجيدة والسيئة، كما أن تعامل طلبة الليسانس والماستر في البحث عن المعلومة ليس بنفس طريقة تعامل طلبة الدكتوراه، الذين يعكفون على تقييم نتائج البحث والمصادر والمعلومات، إذ يدركون –بسبب طبيعة تكوينهم- أن المعلومات على الإنترنت ليست جميعها موثوقة.

أعطانا تحليل هذه المقابلات وبما تم تسجيله من على شاشات حواسيب مفردات العينة فهمًا أعمق لممارسات والاستراتيجيات التي ترافق الطلبة في البحث عن معلومات الحياة اليومية مقارنةً بالحالة المحددة

[1] Koot, U., & Hoveijn, M. (2005). Google, de magische antwoordmachine. *Pedagogiek in Praktijk, 11*(28), p 20.

للدراسة. والأداء الجامعي، والتي تتمثل في التحكم والارتباك والتقييم. بناءً على التحليل المذكور أعلاه، تشير هذه المعطيات إلى أن مفردات العينة عمومًا يميلون إلى تملك استراتيجيات بحث أفضل عبر الإنترنت للحياة اليومية مقارنة بموضوعات الدراسة والتعلم، في حين تم تسجيل اختلافات في استراتيجيات التحكم التقني وتقييم المعلومات، إذ هي أكثر فاعلية عند طلبة الدكتوراه مناه عند طلبة الليسانس والماستر، أما استراتيجية القلق والارتباك غالبًا ما تحدث عندما يواجه الطلبة مهام صعبة، والتباسا في البحث عن المعلومات المتعلقة بالدراسة، ويزيد الارتباك في بعض الحالات إذا كان المستخدم أنثى.

المطلب الثاني: الأثر التواصلي والترفيهي

1-الأثر التواصلي

من حيث الاتصال، فإن أفراد العينة يستخدمون الإنترنت لعمية التواصل مع الآخرين، سواء العائلة، زملاء في الجامعة، أصدقاء...إلخ؛ طبعا دون الاستغناء عن طرق التواصل الأخرى والتي يمكن أن تكون أكثر فاعلية من جهاز الحاسوب المرتبطة بالإنترنت، مثل الهاتف النقّال من خلال المكالمات الهاتفية والرسائل النصية sms وتطبيقات التواصل الأخرى كتطبيقات الدردشة. إذا تُعتبر الأدوات التواصلية بمثابة واجهات سوسيوتقنية تزيد من إمكانية التواصل Joignabilité، حيث تُتيح هذه الدعامات عبر الإنترنت بناء مجال علاقاتي وآخر أكاديمي ومهني، سمته الجاذبية والحرية. ومن خلال الملاحظة يمكن إجمال برامج ومواقع الاتصال في:

أ-**البريد الإلكتروني e-mail**: ما يمكن ملاحظته أن مستوى التدرج العلمي يفرض نفسه على العملية التواصلية التي تتم عبر الإنترنت، فطلبة الدكتوراه (8 مبحوثين) كلهم، دون استثناء، يستخدمون البريد الإلكتروني كأداة لإنجاز أعمالهم والتزاماتهم البيداغوجية المطالبون بها خلال مسارهم في طور الدكتوراه؛ هذا ما أكدته ريمة (طالبة دكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير) بقولها: " ... *لا يمكنني أن أستغني عن البريد الإلكتروني في إنجاز واجباتي البيداغوجية بصفتي طالبة دكتوراه، حيث في هذا المستوى لا يتم التعامل إلا به كأداة تواصل...*"

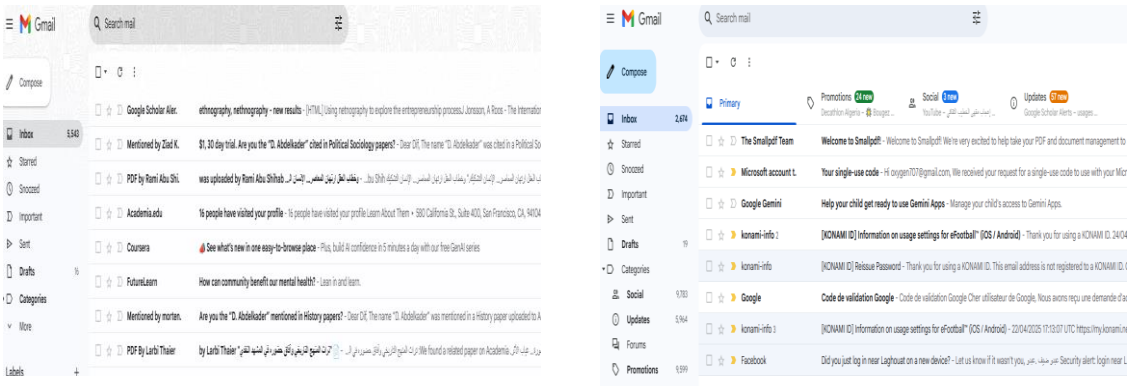

لقطات شاشة screenshots لحاسوب ريمة يُبين استخدامها للبريد الإلكتروني

فطلبة الدكتوراه يستخدمون البريد الإلكتروني للتواصل مع المشرف على رسالة الدكتوراه الخاصة بهم، المشاركة في الملتقيات الوطنية والدولية، وكذلك النشر الأكاديمي في مختلف المجلات العلمية، والتواصل بين زملاء الدفعة لتبادل المعلومات والنقاشات والمطبوعات البيداغوجية؛ إذا فهو أداة تواصل تتسم بالمهنية والجدية. وعليه فهناك نوع من الممارسة التي فرضها هذا العبور من الماستر إلى الدكتوراه، حيث يجد طالب الدكتوراه نفسه أمام ممارسات جديدة تُحيله إلى استخدامات للإنترنت ربما لم يقم بها من قبل. مع مرور الزمن وبالاستخدام المتكرر لهذه الأداة يتشكل لدى الطالب نوع من التّملك الاجتماعي لهاته التكنولوجيا، من خلال رصد الاستحواذ على بعض المهارات ولو بدائية في استخدام هاته الأداة. فتملك البريد الإلكتروني انعكس على الأداء البيداغوجي لطلبة الدكتوراه في انتاج المعرفة العلمية، لما تنطوي عليه من تنظيم من جهة، وضبط في استخداماتها من جهة أخرى، بمعنى آخر أنها أداة واضحة الاستخدام والذي يقتصر على الإنجاز البيداغوجي بشكل عام مقارنة بأدوات التواصل الأخرى. كما لم يتم تسجيل وجود فروقات في الاستخدام بين الذكور والإناث في هذا المستوى (الدكتوراه)، ولا على مستوى التخصصات حسب الكليات، فالعمل الفردي هو النمط السائد بين أفراد العينة، وليس العمل الجماعي والسبب في ذلك أن هذه التخصصات كلها تندرج في العلوم الاجتماعية والإنسانية التي تتطلب غالبا العمل الفردي عكس التخصصات العلمية التي تسعى إلى تكوين مجموعات عمل للإنجاز البحثي والعلمي (أُنظر الدراسات السابقة، الفصل الأول).

لكن هذا لا يعني أن استخدام البريد الإلكتروني يقتصر على طلبة الدكتوراه دون سواهم من المستويات الأخرى؛ هناك استخدام لهاته الأداة من طرف عمر (طالب ليسانس في العلوم السياسية

والعلاقات الدولية)، غنية (طالبة ماستر في علوم الاعلام والاتصال) وتفسير ذلك، انهما في السنة الأخير من التخرج لنيل شهادة الليسانس والماستر على التوالي، وبالتالي هناك التزام بيداغوجي بإنجاز مذكرة تخرج نهاية السنة، تطلب هذا استخدام البريد الإلكتروني كوسيلة تواصل مع المشرف من أجل الإرشاد، التوجيه وتحديد مواعيد الالتقاء والاجتماع، بالإضافة إلى أن البريد الإلكتروني مرتبط ببعض التطبيقات المكتبية الموجودة في الكومبيوتر مثل: برنامج الوورد ms word، فأغلب الرسائل الإلكترونية تكون مرفوقة بملف وورد Word الذي يحوي الأعمال البيداغوجية المتنوعة (مقالات علمية، مداخلات، ملخصات، أجزاء من أطروحات التخرج...). فالبريد الإلكتروني بالنسبة لهما أداة لتحقيق هدفهما الدراسي وهو التخرج بتقديرات جيدة، "... *أريد أن أتخرج بتقدير جيد جدا حتى أُسعد عائلتي*..." هذا ما صرحت به غنية. هذا الاستخدام يتطلب حد أدنى من الثقافة الرقمية والتي تُكتسب بالتكرار، وهو استخدام منتج.

ب–مواقع التواصل الاجتماعي والدردشة: يمكن اعتبار استخدام شبكات التواصل الاجتماعي مثل (فيسبوك، تويتر...) وتطبيقات الدردشة (مسنجر...)، أدوات تواصل غير رسمية، إذا ما قُرنت بالبريد الإلكتروني، فجانب التواصل مهم في بيئة العمل الجامعي واليومي بالنسبة للطلاب، كما أن استخدامها لا يقتصر فقط على الأنشطة الترفيهية أو الاجتماعية، بل يستخدم الطلاب هذه الأدوات الشخصية كجزء من حياتهم الأكاديمية مثل (إعداد عمل جماعي مع أعضاء المجموعة. تبادل المعلومات حول الامتحانات والواجبات البيداغوجية، مواعيد الامتحانات وتنظيمها وسيرها، قاعات الامتحان...). فالمعلومات المتبادلة عبر الرسائل الفورية هي جزء من الحياة الجامعية (بيئة العمل) والحياة الشخصية (اليومي). صحيح أن الهاتف الذكي كوسيط تكنولوجي، يسمح للطلاب بالاتصال بالإنترنت بسهولة كبيرة مقارنة بالحاسوب دون إضاعة كبيرة للوقت، إذا يُمكّنهم من الاطلاع بسرعة على الرسائل الفورية ذات المحتوى (العلمي الأكاديمي، الترفيهي، الاخباري...) ودون الحاجة للبقاء على اتصال لفترة طويلة، وهو في متناول اليد يمكن استخدامه كلما دعت الحاجة إلى ذلك. لكن ذلك لم يمنع من تسجيل لقطات شاشة حول استخدام مواقع التواصل الاجتماعي وتطبيقات الدردشة من جهاز الحاسوب، ودعمته إجابة المبحوثين في المقابلة، حيث قال فريد (طالب ماستر2، العلوم السياسية والعلاقات الدولية): *" ... عندما أكون على جهاز الحاسوب وأنا بصدد القيام ببعض الاعمال، أقوم في نفس الوقت بتفقد حساباتي على مواقع التواصل الاجتماعي، خاصة فيس بوك، واستخدم المسنجر في الدردشة الرد على بعض الرسائل.. "*

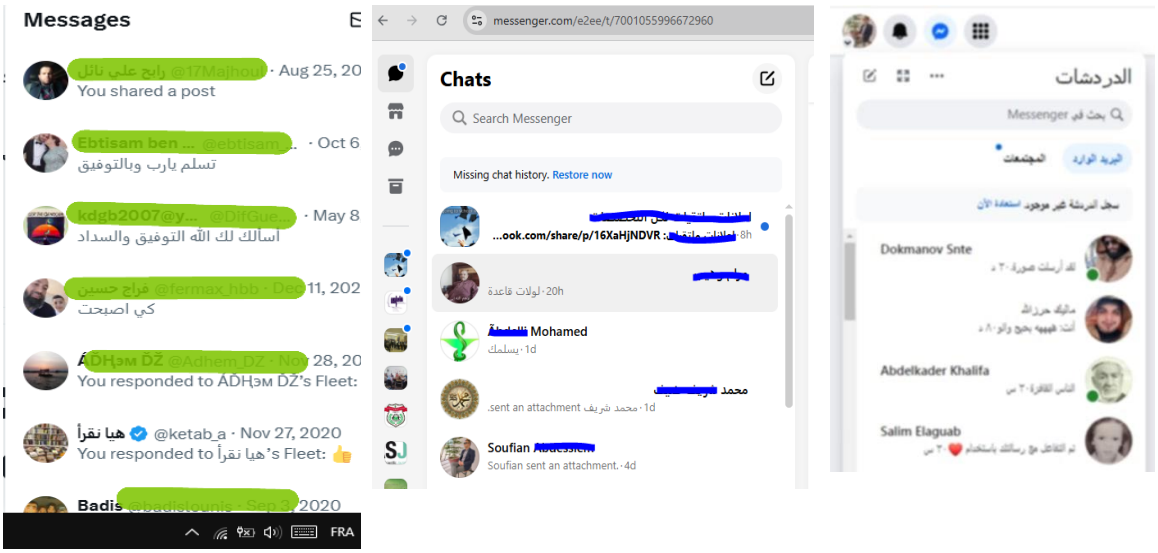

لقطات شاشة screenshoots من حواسيب بعض المبحوثين

تفسير ذلك، هو الاتصال المتعدد multitâche، فمن خلال شاشة اتصال واحدة، من الممكن إنشاء اتصالات مختلفة، للوصول إلى محتوى متعدد من جهة، واستخدام متزامن من جهة أخرى، فهو يشير إلى وضع جهاز الكمبيوتر الذي يسمح نظام التشغيل الخاص به بتشغيل العديد من البرامج في وقت واحد. فالمستخدم له القدرة على االتبديل من مهمة إلى أخرى خلال فترات زمنية قصيرة بما يكفي لإعطاء الانطباع بأن جميع البرامج تعمل في وقت واحد.

لاحظنا أن كل المبحوثين (24 مفردة) يقومون بمتابعة لصفحات الكليات الأربع المشكلة لجامعة الجزائر3 على فيسبوك والتي يزاولون فيها دراستهم حسب التخصص العلمي لكل مبحوث، رغم أن هذه الصفحات ليست رسمية ولا مُوثّقة من طرف إدارة فيسبوك –الملحق رقم (05) – إلا أن مفردات العينة يقومون بالتفاعل مع هذه الصفحات بالنشر وإعادة النشر والتعليق. فالوظيفة الاتصالية هي احدى السمات البارزة لهاته المنصات الرقمية، خاصة فيسبوك، فهي تسمح للطلبة باستخدامها لأغراض اجتماعية، وهي وسائل لبناء وتعزيز الروابط الاجتماعية كإرسال الرسال النصية، المكالمات الصوتية والمصورة اليومية...الخ، فالممارسات اليومية لاستخدامات فيسبوك للتواصل مطروحة بقوة في عينة الدراسة، هذا ما أكدّته سعاد (طالبة ماستر، علوم تجارية وعلوم الاقتصادية): "*...لقد قمت أنا وزملائي في الفوج الدراسي بإنشاء مجموعة group من أجل تبادل الاخبار والمعلومات حول الدراسة في الجامعة، لكي يبقى كل عضو على إطلاع بأي جديد، مثل: تاريخ وموعد برمجة امتحان لمقياس ما...*". بالإضافة إلى الوظيفة

الاتصالية لفيسبوك، هناك وظيفة نشر المحتوى، وهي أيضا وظيفة اتصالية، والتي قد تكون في شكل نصوص، صور، وثائق وفيديوهات، وهذا ما تّم رصده من خلال الملاحظة على الخط ودعمته المقابلة المعمقة مع أفراد عينة الدراسة. تظهر الصور الملتقطة لحواسيب بعض أفراد العينة أنه هناك تفاعل مع المنشورات والمحتوى المقدمة على صفحات فيسبوك الخاص بكل كلية، فمحمد طالب دكتوراه أبدى تفاعله مع منشور على صفحة كلية العوم التجارية والاقتصادية خاص بملتقى وطني من خلال الاعجاب والتعليق، وعندما سألناه في المقابلة عن تفاعله مع هذا المنشور قال بأنه مهتم بهذا النوع من المنشورات التي تبقيه على اطلاع بكل جديد حول الملتقيات الوطنية والدولية، فالالتزام البيداغوجي كونه طالب دكتوراه يفرض عليه المشاركة في هذا النوع من الملتقيات، وشبكة فيسبوك إحدى المنصات التي تساعده في انجاز التزاماته من خلال معرفة كل جديد حول هذه المتلقيات. أما ليندا وسهام، وهما طالبتا ليسانس في كلية الاعلام والاتصال وكلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية على التوالي، قامتا بإعادة نشر محتوى يتعلق بتاريخ وسير الامتحانات السداسية في كل كلية، وأكّدتا ان فيسبوك يُتيح لهما مشاركة المعلومات ونشرها للأصدقاء خاصة تلك المتعلقة بالجامعة وأخبارها، دون أن نهمل تسجيل اتصال خارج السياق الجامعي، دردشة مع الأصدقاء، نشر وإعادة نشر محتوى ترفيهي، سياسي، اجتماعي، رياضي...إلخ.

لقطات شاشة لحواسيب بعض العينات أثناء تصفحهم لفيسبوك

هناك أثر رقمي للتواصل ناتج عن استخدامات الإنترنت لدى عينة الدراسة يتمثل في البريد الإلكتروني وإن كان مقتصر على طلبة الدكتوراه وبعض طلبة الماستر والليسانس كما سبق شرحه، ومواقع التواصل الاجتماعي (خاصة فيسبوك ومسنجر)، حيث يقوم الطلاب ببناء استخداماتهم للبريد الإلكتروني

ومواقع التواصل الاجتماعي (خاصة فيسبوك)، إذ يجعلون هذه المنصات الرقمية مساحات لنشر صورهم الخاصة أو العامة، أو أي محتوى مهما كانت صيغته، من أجل تعزيز الروابط السوسيو-علائقية، وتعزيز الهويات الفردية وتقديم الذات، وبالتالي دمج هاته المنصات الرقمية في الحياة اليومية للطلاب والذي يُعتبر نوع من التملك الاجتماعي لهاته الأدوات التقنية.

2- الأثر الترفيهي:

رأينا أن الإنترنت في سياقها الجامعي أداة دعم دراسية تمكّن الطلبة من الإنجاز الدراسي ومتابعة الأخبار المتعلقة بها، مثل: تنزيل المواد التعليمية الإلكترونية، الانخراط في دورات تدريبية عبر الخط، الاشتراك في صفحات التواصل الاجتماعي للكليات التابعين لها...إلخ، إلى جانب الحياة الشخصية التي يعيشونها خارج السياق الجامعي والمتعلقة بما هو يومي. إضافة إلى ما سبق، يبرز مظهر آخر لاستخدامات الانترنت من قبل الطلبة لا يقل أهمية في حضوره المتكرر عند الاستخدام، وهو الترفيه (أنظر الشكل رقم11). في دراستنا، شكّل الترفيه ما نسبته 23% من اجمالي الوقت المستغرق في استخدام الإنترنت عن طريق الحاسوب الشخصي (سواء المحمول أو المكتبي)، وهي نسبة معتبرة ذات دلالة تفسيرية (الشكل رقم12).

ستسمح لنا مقارنة استخدام الإنترنت وفقا للمعطى الزمني على التأكيد على العديد من جوانب بيئة عمل الطلاب. من ناحية، على استخدام الإنترنت كأداة ذات صلة بالأداء البيداغوجي للطلبة، ومن ناحية أخرى على صلة الإنترنت بالترفيه، وربما التشتت الذهني الذي يُؤثر على التحصيل العلمي والبيداغوجي للطلبة.

يمكننا أن نلاحظ أنه خلال العُطل وفترات الراحة تكون الأنشطة المتعقلة بالترفيهية في أوجها، ويمثل الترفيه وخاصة مشاهدة الفيديوهات على منصة اليوتيوب نسبة 30٪ من الوقت مقارنة ب 19٪ أثناء الامتحانات، حيث يقضي الطلاب وقتا أطول في البحث عن الوثائق والمعلومات خلال أوقات الدراسة ووقت الامتحانات. هذا ليس مفاجئا، بالنظر إلى أن العُطل هي بالتأكيد فترة راحة.

إن التحليل الزمني الملاحظ على مفردات العينة أنه تم قضاء المزيد من الوقت في ألعاب الفيديو، ومشاهدة الأفلام والمسلسلات على منصة اليوتيوب ومنصات الستريمينغ، خلال العطلات التي تعتبر مرادفة

للاسترخاء. من المؤكد أن الوقت الذي يقضيه في ألعاب الفيديو أثناء الامتحانات وخلال أسبوع المراجعة يكون أقل مما كان عليه خلال العطلات.

سجل الباحث انه لا اختلاف بين الجنسين في استخدام الإنترنت من أجل الترفيه، فكل مفردات العينة، بما فيها الذكور والإناث يميلون إلى الترفيه بمختلف أشكاله، الاختلاف يكون في مضمون الترفيه، حيث تمثيل الإناث إلى الاستماع للموسيقى ومتابعة المسلسلات العربية والتركية، في حين أن الذكور يميلون نحو متابعة مباريات كرة القدم، مشاهدة الأفلام والمسلسلات الأجنبية، إضافة إلى الاستماع إلى الموسيقى. كما سجل الباحث أن الطور الأكاديمي (دكتوراه، ماستر، ليسانس) لم يكن حاسما في الأثر الترفيهي، فكل مفردات العينة تستخدم الإنترنت للترفيه بشكل أو بآخر.

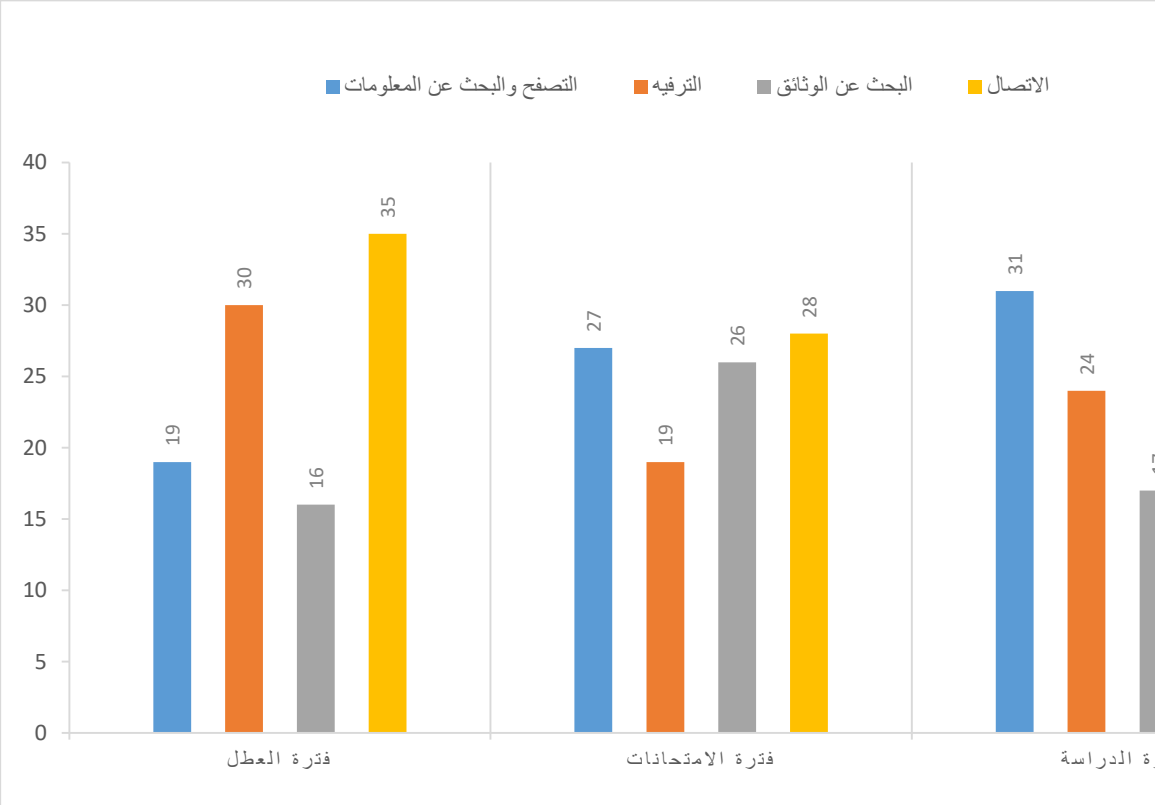

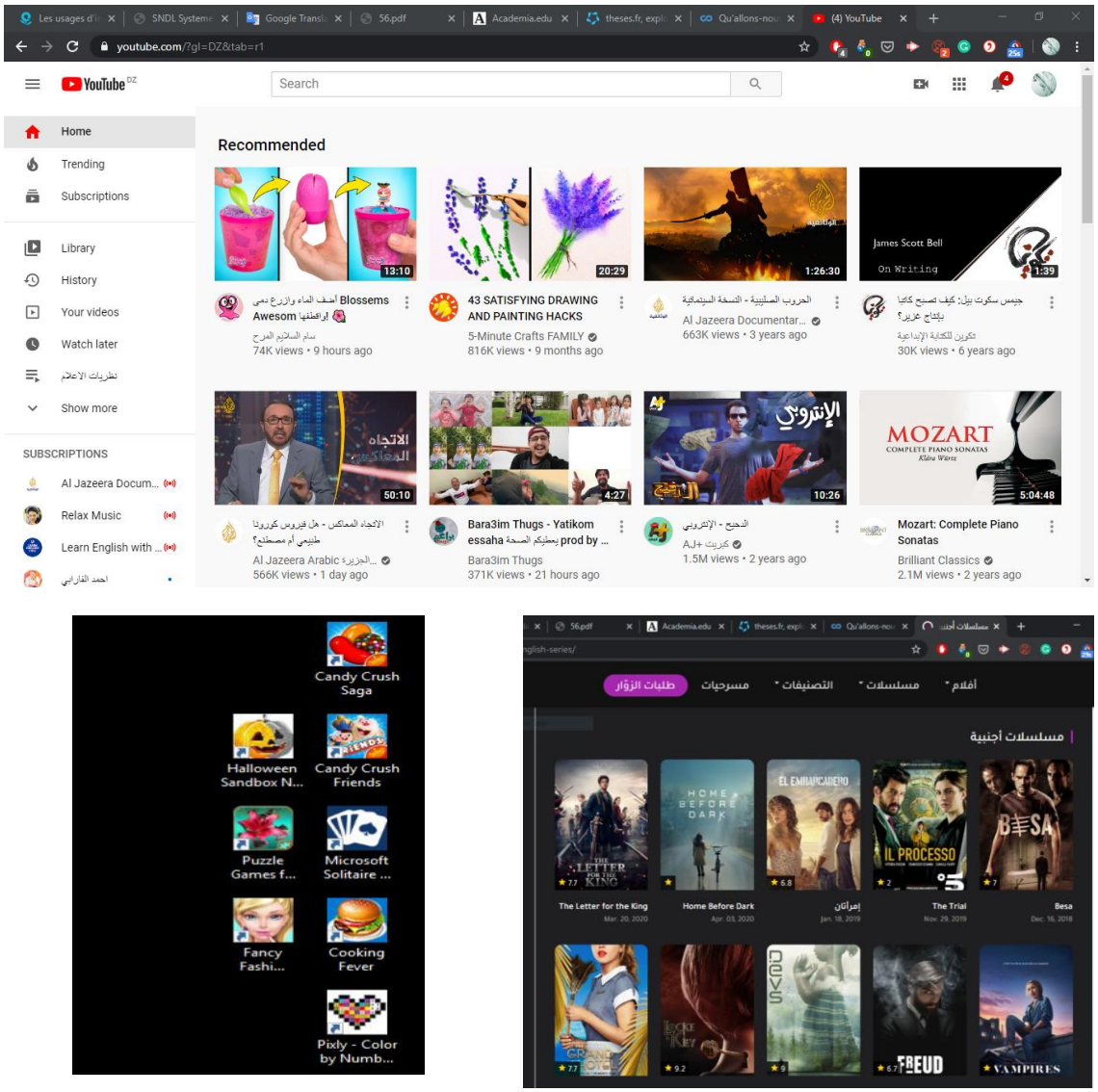

الشكل رقم (11)لقطات من شاشات حواسيب لبعض عينات الدراسة متعلقة بالترفيه

تطرقنا في هذا المبحث إلى الأثر الذي تتركه أداة الإنترنت على حياة الطالب الأكاديمية والحياتية اليومية، وتتبع الباحث هذا الأثر من خلا اهم الثيمات التي انبثقت من تحليل الملاحظة عن بعد والمقابلات المعمقة مع الطلبة، وتوصل الباحث إلى وجود أثر معرفي يتمثل في البحث عن المعلومات الأكاديمية وارتباطها بالسياق الجامعي والإنجاز الأكاديمي، بالإضافة إلى وجود أثر تواصلي، من خلال استخدام مفردات العينة لتطبيقات التواصل المهنية مثل البريد الإلكتروني، الاجتماعية ممثل مواقع التواصل الاجتماعي، وكيف لعب الطور الاكاديمي دورا في هذا الأثر التواصلي حيث يميل طلبة الدكتوراه إلى

استخدام التطبيقات الأكثر مهنية مقارنة مع طلبة الماستر والليسانس، كما تم الكشف عن أهم الاستراتيجيات التي يستخدمها الطالب/ المستخدم في البحث عن المعلومات. إضافة إلى الأثر الترفيهي، حيث كل مفردات العينة تستخدم الإنترنت كأداة للترفيه. ولعب النوع الاجتماعي (الجنس) دورا في هذا الأثر من حيث المضمون حيث يعمل كل جنس على بناء هوياتي عند استخدامه للإنترنت، لأن الإنترنت ليست تقنية محايدة، فكل مستخدم يُضفي المعنى والرموز التي يُريدها.

الفصل الخامس

التملك الاجتماعي لأداة الإنترنت من طرف الطلبة الجامعيين

الفصل الخامس: التملك الاجتماعي لأداة الإنترنت من طرف الطلبة الجامعيين

المبحث الأول: إجراءات وسيرورات تملك الطالب الجامعي للإنترنت

المبحث الثاني: تحليل سياقات التملك وطقوس الاستخدام للإنترنت من قبل الطلبة الجامعيين

الفصل الخامس: التملك الاجتماعي لأداة الإنترنت من طرف الطلبة الجامعيين

المبحث الأول: إجراءات وسيرورات تملك الطالب الجامعي للإنترنت

في هذا المبحث سوف نتطرق إلى سيروروات وإجراءات تملك أداة الإنترنت من طرف مفردات عينة الدراسة، انطلاقا من المقاربة النظرية لسيسيولوجيا الاستخدامات، حيث يعتبر التملك أعلى مستوى للاستخدامات ومنتهاها، فإذا كان الاستخدام يتقاطع مع الكثير من المصطلحات مثل: الاستعمال، التبني، فإن التملك يركز على بعدين أساسين، هما الممارسات من جهة والبعد الرمزي لهذه الممارسات من جهة أخرى. وهذان البُعدان يصعب فصلهما في عملية التملّك. فتملّك أداة تقنية، شأنها شأن أي نشاط إنساني، يُحيل دائمًا إلى تمثّل معيّن للواقع الاجتماعي ومكوّناته. وبالتالي فدراسة تملك الإنترنت يفترض نظرة أشمل لا تقتصر على مجرد الاستخدام العملي، أي البُعد النفعي للأداة التقنية، ولهذا السبب، تُعدّ المخيلات، والعوالم الرمزية للمستخدمين، جزءًا لا يتجزأ من عملية الاستخدام. بناء عليه يمكن إجمال هذه المراحل على النحو التالي:

المطلب الأول: الولوج التقني والتحكم المعرفي في الإنترنت

تتحدد بداية تملّك الإنترنت بما يسمى بالولوج التقني، وهي قدرة المستخدم على النفاذ إلى تكنولوجيات الاعلام والاتصال المتواجدة في بيئته ومحيطه. صحيح أن المحيط الجامعي لا يُوفر لمفردات العينة النفاذ إلى الشبكة العنكبوتية بسب ضعف البنية التحتية في الجامعة الجزائرية لمنظومة الإنترنت. لكن مفردات العينة لديها القدرة على ولوج الإنترنت من خلال الاشتراك الشخصي للمبحوثين أو لعائلاتهم، هذا من جهة، من جهة أخرى دراستنا تقوم أساساً على عينة قصدية تشترط الولوج للإنترنت من طرف مفرداتها، وبالتالي وجود حد أدنى من النفاذية الذي يُمكّن من استخدام هاته الأداة. الملاحظ أن الدعم العائلي في الولوج إلى الانترنت واضح في عينة الدراسة، والذي يتمثل –حسب رأينا– في دفع اشتراكات الانترنت والذي يفوق 91% إجمالي العينة أي إثنان وعشرون (22) مفردة، فالعائلة تلعب دورا محفزا في استخدام الإنترنت، والتي ترى أن الإنترنت أداة مفيدة في الدراسة، فتسعى العائلة إلى توفيرها لأفرادها، صرّح عبدالرحمن (طالب ماستر، كلية العلوم التجارية والعلوم الاقتصادية وعلوم التسيير) قائلاً: *"...لدينا خط إنترنت من نوع ADSL... يقوم الوالد بدفع الاشتراكات شهرياً، ويحرص دائما أن تكون متوفرة*

داخل المنزل... ويستخدمها أفراد العائلة كلٌ حسب احتياجاته...". فإذا استثنينا مفردتان واللتان تقومان بدفع الاشتراكات بنفسها، فالعائلة تعد مصدرا داعما لاستخدام الإنترنت لأفرادها من خلال توفير جهاز الحاسوب وتسهيل عملية الولوج إلى الشبكة. يمكن أن نقول إن استخدام الإنترنت يتطلب تكلفة للاتصال، ويقوم المستخدم/الطالب بمعية العائلة أو بمفرده في بتقييم هذه التكلفة بناءً على أهميتها في حياته اليومية. وبالتالي، فإن طرق استخدامه للإنترنت والأهمية التي يُوليها لها ترتبط أيضًا بظروف معيشة الفرد، خاصةً وضعه الاجتماعي والمهني.

لا يكفي الولوج التقني حتى نتحدث عن الاستخدام في أبسط صوره، بل يجب أن يتوفر إلى جاب ذلك تحكم معرفي في الأداة (الإنترنت)، ومن خلال الملاحظة تبّين ان هناك نوع من المعرفة بهاته الأداة وكيف تشتغل. تحليل المقابلات أبان عن هذه المعرفة وكيف تم اكتسابها من طرف مفردات العينة. ففي المقام الأول، صرّح المبحوثون أنهم لم يقوموا بأي دورات تكوينية أو تربصات تتعلق باستخدام الإنترنت، كل ما في الأمر أنه تم الاعتماد على التجارب الشخصية والتكرار والمحاولة، واستخدام نفس الأداة واستشارتها في كيفية الاستخدام لبعض التطبيقات والأدوات المرتبطة بالإنترنت، هاذ ما قالته فريدة (طالبة ماستر، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية): "*... لم أتلق تكوينا متخصصا في الانترنت... اعتمدت على نفسي في الاستخدام وكل مرة أطور نفسي من خلال التجارب المكتسبة...*". فالتجارب الشخصية والتكرار وعامل الوقت، كلها أمور تساعد الطالب على اكتساب معرفة في التحكم في الإنترنت، كما أبانت المقابلات ان المكتسبات القبلية لدى الطلبة لعبت دورا هاما في هذا السياق، مثل أخذ مادة الإعلام الآلي في المتوسطة والثانوية عندما كانوا تلاميذ، وبالتالي لديهم فكرة ولو بسيطة عن الحاسوب وشبكة الإنترنت، بالإضافة إلى استخدام أجهزة أخرى مثل الهاتف المحمول المزود بالإنترنت يعطي معرفة قبلية للطالب/ المستخدم لكيفيات استخدام هاته الأداة، صحيح أن جهاز الكومبيوتر سابق في وجوده على الهاتف المحمول، لكننا نتحدث عن جيل نشأ على الهاتف واستخداماته قبل الحاسوب الشخصي. وبالتالي يتطلب استخدام الإنترنت حدًا أدنى من المعرفة والخبرة اللازمة للتعامل مع الأداة التقنية. هذه المعرفة والخبرة تتعلق أولاً بما يسميه سيرج برولكس "الثقافة الرقمية". يعرّفها بأنها "الإتقان المعرفي والتقني للحد الأدنى من

المعارف والخبرات التي تسمح في نهاية المطاف بدمج هذه التكنولوجيا بشكل هادف وخلاق في الحياة اليومية للفرد أو المجتمع"[1] . إنها أيضًا القدرة على استخدام لغة مدونة ومتفق عليها للإبحار عبر الإنترنت.

ومن خلال الملاحظة عبر الخط، يمكن ان نجمل عنصر الولوج التقني والتحكم المعرفي في استخدام الإنترنت في قدرتين أساسيتين يجب على الطالب/المستخدم أن يحوزهما:

1- القدرة على اتباع البروتوكول التقني المناسب للاتصال بالإنترنت

ونقصد بها في هذه الدراسة، مدى معرفة المستخدم/ الطالب بخطوات الربط التقني الأساسية بين الحاسوب والإنترنت، والتي تشمل: تشغيل جهاز الحاسوب ونظام التشغيل بشكل صحيح، الاتصال بشبكة الإنترنت (سواء عبرWiFi ، أو كابلEthernet)، معرفة إعدادات الشبكة (مثل إدخال كلمة المرور، اختيار الشبكة المناسبة)، تشخيص مشكلات الاتصال البسيطة (كإعادة تشغيل المودم، أو التحقق من حالة الاتصال، أو التعامل مع رسائل الخطأ)، استخدام برامج الحماية لضمان الاتصال الآمن مثل الجدار الناري (Firewall) أو برامج مكافحة الفيروسات.

إن تحليل الملاحظات، بيّن أن مفردات العينة ليسوا على قدر واحد من الكفاءة والقدرة على اتباع بروتوكولات الاتصال بالإنترنت، أي ليس لديهم نفس المهارة التقنية للولوج إلى عالم الإنترنت. وبعض مفردات الدراسة تواجههم صعوبات ومشاكل تقنية عند الاتصال بالشبكة. وهذا ما أكدته تصريحات المبحوثين في المقابلات، يقول محمد (طالب دكتوراه، كلية العلوم التجارية والاقتصادية وعلوم التسيير):*" ... شخصيا، ليست لدي أي مشاكل في اللوج إلى الشبكة العنكبوتية... بدأ من تشغيل الحاسوب وصولا إلى التصفح الآمن ... وإذا اعترضتني مشاكل الولوج إلى الشبكة فغالبا ما أجد الحل"* ، وعندما سألناه عن كيفية حل هاته المشاكل التقنية، أجاب:*" ... من خلال التجربة والممارسة المستمرة"*. لكن في المقابل صرّح عمر (طالبة ليسانس، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية): *" ... لا يهتم كثيراً لأنظمة الأمان والحماية التي يوفرها جهاز الحاسوب وشبكة الإنترنت... فهذا النوع من التطبيقات والإعدادات يُسبب لي الارتباك ... وبالتالي فإنني اتجاهل هذا النوع من الإعدادات وأكتفي بالإعدادات الضرورية فقط"*.

[1] Proulx, serge. "Usages de l'Internet : la " pensée-réseaux " et l'appropriation d'une culture numérique, dans Guichard." *Comprendre les usages de l'Internet* 2001: p282.

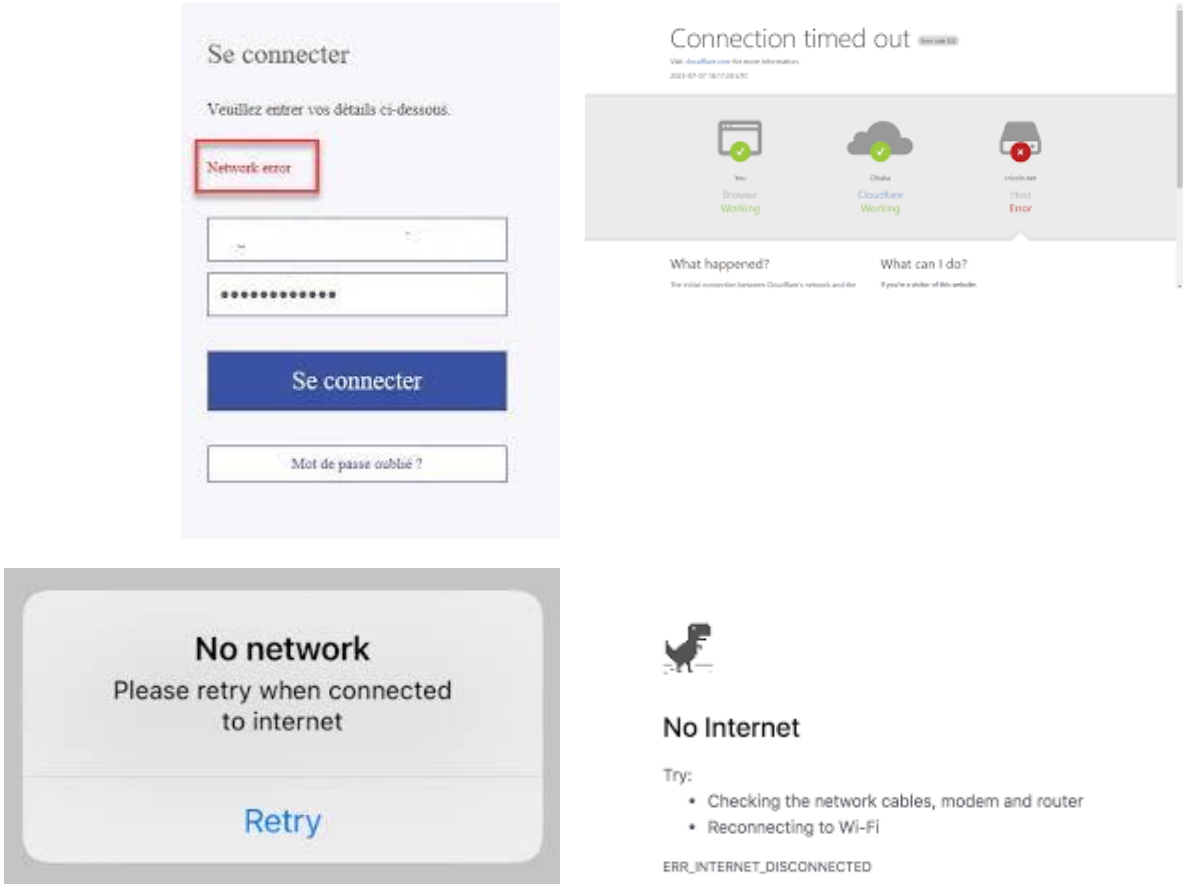

الشكل رقم(13): لقطات من شاشات حواسيب تظهر بعض المشاكل تقنية في الاتصال بالإنترنت

عند مطابقة صور الشاشات الملتقطة عن طريق الملاحظة عبر الخط لمفردات العينة (الشكل رقم13) مع استجواباتهم، يتضح أن هناك إشكالات في الولوج للشبكة تصادف الطالب/المستخدم، تتمثل بالأساس في إعدادات الشبكة وبرامج الحماية للاتصال الآمن. يُظهر طلبة الدكتوراه وطلبة الماستر من عينة الدراسة مهارات إيجابية في التعامل مع المشاكل التقنية للاتصال بالشبكة، ويرجع ذلك في الأساس إلى التجريب والمحاولة المستمرة من جهة، والخبرة الشخصية المكتسبة والتي مصدرها العلاقات الاجتماعية الداعمة مثل شبكة العائلة والأصدقاء والزملاء من جهة أخرى. ويلعب الطور (دكتوراه، ماستر) ضغطاً إضافيا –إن جاز التعبير– على الطلبة في اكتساب المهارات التقنية وتحكما معرفيا في استخدام الإنترنت، فالولوج للشبكة بالنسبة إليهم يعني إنجاز الالتزامات البيداغوجية ذات السياق الجامعي، وتسيير شؤون الحياة اليومية مثل متابعة الأخبار، الترفيه...إلخ. في مقابل ذلك نلاحظ ان طلبة الليسانس أقل مهارة في امتلاك هاته القدرة (الولوج التقني والتحكم المعرفي في استخدام الإنترنت)، لأنهم لم يأخذوا كفايتهم في استخدام

الإنترنت، والذي يترتب عنه خبرة أقل، التي ربما تكون غير كافية في حل مشكلات التقنية المتعلقة بالإنترنت والاتصال بها.

وهذا يتقاطع مع بعض الدراسات التي ترى أن تعقد أنماط الاستخدام يزيد بشكل جوهري مع مستوى تعليم الأفراد. فالاستخدامات المهنية أو ذات الطابع البحثي المتقدم هي ممارسات تقترب أكثر من الهابيتوس Habitus للأفراد الذين ينتمون إلى مستويات تعليمية عليا[1]. وهكذا، فإن استخدام الإنترنت يتأثر بشكل كبير بمستوى تعليم الفرد. في هذا السياق، فإن طلبة الدكتوراه وطلبة الماستر –بشكل أقل– لديهم النسق الكافي والمكتسب من العادات والممارسات في استخدام الإنترنت، والذي بالضرورة يسبقه التحكم المعرفي والتقني للاتصال بشبكة الإنترنت.

يُحيلنا التحليل الإثنوغرافي إلى وجود اختلافات بين الجنسين في عملية الولوج إلى الإنترنت والتحكم المعرفي بها. ففي الوقت الذي يُبدي فيه الذكور قدرة أكبر على التحكم في تقنية الإنترنت، نجد أن الإناث أقل تحكما في الجانب التقني المرتبط بالاتصال بالإنترنت، ودوما ما يطلبن المساعدة من أشخاص آخرين والذين غالبا ما يكونون أفراد العائلة أو الأصدقاء والزملاء في الجامعة. هذا ما صرّحت به سهام (طالبة ليسانس، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية): *" ... أجد صعوبة في التعامل مع الأمور التقنية والمشاكل المرتبطة بها... أستطيع أن أتدبر أموري في مسائل بسيطة مثل: تشغيل جهاز الحاسوب... أما إعدادات الشبكة مثلا أستعين بأحد من أفراد العائلة، خاصة أخي الأصغر مني سنا..."*.

يُعد استخدام الحاسوب من أبرز مجالات الاتصالات التي يتجلّى فيها البناء الاجتماعي المرتكز على متغير الجنس بوضوح. وعمليًا، يُظهر متغير الجنس توجهًا في أنماط استخدام الإنترنت، حيث يتمحور عند الأفراد من الجنس الأنثوي حول العلاقة الاجتماعية والارتباط بالآخرين، في حين يتجه عند الذكور نحو الاستقلالية والاعتماد على الذات [2]. ويمكن إعطاء تفسير لذلك، إذ يتعلق الأمر بالتنشئة الاجتماعية التي يتلقاها كل من الذكر والأنثى فيما يخص تكنولوجيات الاعلام والاتصال بشكل عام والإنترنت بشكل

[1] Fluckiger, C. (2009). *L'appropriation des TIC par les collégiens dans les sphères familières et scolaires.* Français: École normale supérieure de Cachan - ENS Cachan, 2007. P 63.

[2] Ndiaye, M. (2008). *Approche comparative de l'appropriation de la téléphonie mobile et de l'internet dans les lieux d'accès publics des villes de Rennes et de Thiès.* Rennes: Université Rennes 2, p239.

خاص، ففي المراحل المبكرة للفرد تظهر أولى علامات التوجّه المرتكز على الجنس في الاستخدامات :إذ يُمنح الأولاد ألعابًا تنطوي على مهارات تقنية، في حين تُعطى للفتيات ألعاب تعبّر عن الأنوثة التقليدية . ونتيجة لذلك، يصبح الحاسوب، وهو أداة تتطلّب تفاعلاً تقنيًا، أحد الأدوات التي يتجلى فيها بوضوح البناء الاجتماعي لكل نوع.

بل هناك من يذهب إلى وجود نوع من الهيمنة الذكورية في مجال المعلوماتية، وخاصة الوسيط التقني للإنترنت، وأنها لا تعود فقط إلى التنشئة الاجتماعية التي تمنحهم آليات أكثر ملاءمة لاكتساب المعارف والمهارات، وهناك أيضًا دراسات أخرى تُبرز أن هناك استثمارًا وجدانيًا وهوياتيًا لدى الذكور في التفاعل مع الآلة، ما يجعل من استخدامهم لهذه الأدوات وسيلة لتأكيد الذات والهوية .وهكذا، يُظهر الذكور كفاءة أكبر في التعامل مع الأجهزة وميلًا واضحًا نحو الاستقلالية، وهي سمة تنبع من بيئتهم الاجتماعية والتربوية التي تُعزز لديهم المبادرة وتحمّل المسؤولية الذاتية أكثر من الإناث[1]. وبالرجوع إلى مفردات عينة الدراسة يتضح بشكل جلي تفوق الذكور على الإناث في التحكم التقنية والمعرفي للولوج للإنترنت، والتعامل مع مشاكل الاتصال بكفاءة أكبر من الإناث. لكن ذلك لا يعني عدم وجود حد معرفي أدنى من طرف الإناث في الوصول إلى الشبكة والقيام بعملية التصفح، وبالتالي تفوق الذكور على الإناث في هاته الجزئية يتعلق بدرجة القدرة وليس بوجودها من عدمه.

2- القدرة على تصفح الشبكة

تتجلى هذه القدرة —في دراستنا- في امتلاك المستخدم/الطالب لمهارات التعامل مع الإنترنت بمجرد الاتصال بها، وتشمل: فتح متصفح الإنترنت Chrome أو Firefox واستخدامه بفعالية والقدرة على البحث عن المعلومات باستخدام هاته المحركات، التنقل بين الصفحات، وتحميل الملفات، واستخدام البريد الإلكتروني، التمييز بين المواقع الآمنة والمشبوهة، إدارة الحسابات الإلكترونية وكلمات السر بشكل فعال وآمن. وبالتالي القدرة على التصفح هي معرفة ما الذي سيفعله الطالب على الإنترنت؟ بعد الولوج إليها.

أبانت الملاحظة عن بعد، أن هناك سياقين لمحتوى التصفح —كما مرّ معنا سابقاً – الأول ذو طابع دراسي أكاديمي، والثاني يتعلق بالحياة اليومية والشخصية لكل مفردة. وإذا استثنينا المحتوى ذو الطابع

[1] Ipid p 240.

الأكاديمي والذي لعب فيه مستوى التدرج العلمي (الدكتوراه، الماستر، الليسانس) دورا حاسما، حيث كلما زاد المستوى العلمي زادت قيمة البحث عن المعلومة الأكاديمية وتقييمها واستخدامها؛ فإنه لا فرق في هذا النوع من المحتوى بين الذكور والإناث (أنظر البحث الثالث من الفصل الرابع). اما المحتوى الشخصي واليومي، فقد رصدت الملاحظة نمطا معينا، لعب فيه النوع أو الجنس دورا حاسماً. ولتأكيد هذا النمط فقد تمت مطابقة صور الشاشات الملتقطة لمفردات العينة مع تصريحات المبحوثين في المقابلات. أكّدت نسرين (طالبة ماستر، كلية الاعلام والاتصال) *" ... أقوم بتصفح الإنترنت بحثاً عن أصدقاء محتملين أو إعادة بعض العلاقات القديمة مع صديقات كانت لي معهم معرفة سابقة في الحياة... أستخدم كثيرا تطبيقا الدردشة خاصة مسنجر..."* . في المقابل صرّح عثمان (طالب ماستر، معهد التربية البدنية والرياضية): *" ...استخدم الإنترنت في البحث عن الوظائف في بعض المواقع المتخصصة في ذلك....كما استمتع بمشاهدة الأفلام والمسلسلات ... ومتابعة المباريات.."* .

من خلال التحليل لهاته التصريحات، كشف لنا واقع استخدامات الإنترنت وتصفح المحتوى عن طبيعة متمايزة لها حسب نوع جنس المستخدم .إذ يُلاحظ أن الاستخدامات لدى الإناث تتجه بدرجة أكبر نحو أغراض التواصل الاجتماعي، مثل الدردشة متابعة المؤثرين والمحتوى ذو الطابع اليومي الخاص بالإناث، الاستماع إلى الموسيقى. أما لدى المستخدمين الذكور، فإن الاتصال بالإنترنت يكون مدفوعًا أكثر بحاجات البحث عن والمعلومات والبحث عن الوظائف ومتابعة الأخبار ومشاهدة المباريات وممارسة ألعاب الفيديو.

بناءً على تفضيلات المحتوى لدى الجنسين، يتبين أن الاستخدامات ذات الطابع الاجتماعي تحتل مكانة مهمة لدى الجنسين، إلا أنها أكثر وضوحًا لدى الإناث. أما الاستخدامات المهنية، فهي تحمل طابعًا ذكوريًا قويًا. لكن رغم ذلك، لا يمكن إغفال حاجة الذكور إلى التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت . فقد لاحظت جوزيان جووي أن التواصل الشخصي الحميمي ليس مركزيًا لدى الرجال، لكنه يبقى حاضرًا عبر الاستخدامات الكثيفة لوسائل الإعلام، حتى وإن كانت هذه الاستخدامات تبدو أكثر وظيفية من كونها وجدانية، فإنها تعكس أيضًا اهتمامًا بالعلاقة الاجتماعية لدى الذكور[1].

[1] Jouët, J. (1987). *L'écran apprivoisé: télématique et informatique à domicile.* Réseaux: CNET.

ومن هذا المنطلق، فإن نوع الجنس يُعد مدخلًا غنيًا للتحليل، كما بينته بعض المقاربات، وخصوصًا تلك التي تربط بين التقنيات والنوع الاجتماعي .وقد ثبت بالفعل أن استخدامات الإنترنت تخضع لتنظيم قائم على نوع جنس المستخدم، على الأقل في دراستنا فهي مرتبطة بالجانب المتعلق بالتحكم التقني والمعرفي، كما قلنا فاستخدام الحاسوب يتطلب قدرة المستخدم على اتباع البروتوكول التقني المناسب للاتصال وتصفح الشبكة. هاتان القدرتان اللتان تبرزهما أداة الإنترنت ترتبطان بشكل أساسي بالمستوى التعليمي للمستخدم المعني وجنسه (ذكر أم أنثى).

المطلب الثاني: تبني ودمج الإنترنت في الحياة الدراسية واليومية للطلبة:

يجد مفهوم التبني والإدماج للتكنولوجيا بصفة عامة مرتكزاته في عدة مقاربات نفسية واجتماعية، لكن في هذه الدراسة، ننطلق من مقاربات سوسيولوجيا الاستخدامات، إذ يعتبر كل من بروتون وبرولكس أن التبني يُعدّ المرحلة الأولى من الاستخدام التي تسبق التملّك appropriation، فالتبني مرحلة ضرورية للمرور إلى التملّك الذي هو منتهى الاستخدام سوسيولوجياً. كما يُعرّف روجرزRogers هذا المفهوم بأنه قرار استخدام الابتكار بشكل مستمر، وأن تبنّي الابتكار هو عملية قبول شيء جديد، سواء فكرة، منتج، أو علامة تجارية من قبل وحدة اتخاذ القرار، فردًا كان أم شركة، ضمن نظام اجتماعي معيّن (أنظر الإطار المنهجي)، ويُحيل تبني التكنولوجيا إلى العملية التي يقبل بها الأفراد والمؤسسات التقنيات الجديدة ويدمجونها ويستخدمونها. وقدم معجم لاروس الفرنسي تعريفًا لمفهوم "تبني التكنولوجيا" بأنه "اختيار شيء ما لنفسك من أجل استخدامه بانتظام[1]. فمفهوم التبني واسع جدًا، إذ يشمل القبول، والتجريب، والاستخدام، واستيعاب هذه التكنولوجيا، ومن هذا المنظور، فإن سلوك التبني يُشير إلى سلسلة متواصلة من المراحل التي يمر بها الفرد أو المنظمة في عملية إدماج التكنولوجيا.

لاحظ الباحثون التقدّم الحتمي لانتشار واندماج الإنترنت في صميم بيئتنا الاجتماعية والثقافية، سواء من حيث إمكانيات الوصول إليها أو من حيث الممارسات نفسها، كما هو معلوم فقد أحدث الانتقال إلى الويب 2.0 تحولًا جذريًا في ممارسات استخدام الإنترنت، طبعاً لم ينجُ الشباب – الحالي- من

[1] *Larousse*. (n.d.). Retrieved from dictionnaire français: http://www.larousse.fr

هذه الثورة، إذ وُلِد معظمهم في بدايات ظهور الإنترنت، وأصبحت جزءًا لا يتجزأ من حياتهم اليومية. ويُطلق مصطلح جيل الألفية إلى الأفراد الذين وُلدوا بين أواخر التسعينيات أوائل الألفية الجديدة ومنتصف، حيث نشأ هؤلاء المراهقون والشباب في فترة كان استخدام الإنترنت فيها منتشرًا على نطاق واسع وقاموا بتبنيها في حياتهم اليومية. ينطبق هذا على عينة دراستنا، إذ تتميز بمتوسط عمري 25.33 سنة للذكور و23.16 للإناث، أي متوسط سن العينة أجمع هو 24.25 سنة. وهو سن شبابي بامتياز، على الأقل بيولوجيا (أنظر الفصل الثالث). فمفردات العينة ولدو وترعرعوا في بيئة كان فيها مفهوم الانترنت سائدا بشكل واضح، حتى ولو مع غياب البنية التحتية التي تحسنت مع مرور الوقت سواء داخل المجتمع فأصحبت معظم الأسر الجزائرية لها اتصال مع الإنترنت، أو داخل المؤسسات العمومية أو الخاصة مثل (المدرسة والجامعة) والتي قامت بدمج الإنترنت والحوسبة في صميم عملها كدعامة لبنيتها التحتية.

في جانب التبني وإدماج الإنترنت لم تسعفنا الملاحظة عن بعد في فهم دوافع هذا التبني، فكانت المقابلة المعمقة الأداة الأمثل لذلك، وبتحليل المقابلات تم الكشف عن هذه الدوافع والأسباب التي جعلت الطالب/ المستخدم يتبنى الأنترنت، وأن هناك ثيمات themes مشتركة بين مفردات العينة، يُمكن من خلالها بناء نمط معين يُساعدنا في فهم وتفسير هذه الأسباب والدوافع.

ولقد اعتمدنا في هذا الصدد على استخدام نموذج UTAUT(النظرية الموحدة لقبول واستخدام التكنولوجيا) الذي وضعه V. Dimkêeg Sompassaté Parfait و P. Marie Bernadin، 2023) وآخرون في عام 2003. يقترح النموذج النظري لـ UTAUT أن الاستخدام الفعلي للتكنولوجيا يتحدد بالنية السلوكية. تعتمد الاحتمالية المتصورة لتبني التكنولوجيا على التأثير المباشر لأربعة عوامل رئيسية، وهي توقعات الأداء، وتوقعات الجهد، والتأثير الاجتماعي، والظروف الميسرة. يتم تعديل تأثير المتغيرات التنبؤية حسب العمر والجنس والخبرة في الاستخدام[1].

نرى أن هذا النموذج يتناسب تفسيريا مع ما أبانت عنه تصريحات المبحوثين، ومع ذلك، يتطلب هذا النموذج تكييفًا ليتناسب مع جزئية التبني والذيُ يُعتبر لبنة أو مرحلة في بناء صرح التملّك .وقد مكّن

[1] Viswanath , V., Michael , G., Gordon B, D., & Fred D, D. (2003). User Acceptance of Information Technology: Toward a Unified View. *MIS Quarterly, 27*(03), p 427.

تطبيق هذا النموذج انطلاقا من المقابلات المعمقة من التوصل إلى أن العوامل الأساسية التي تؤثر إيجابيًا على تبني الطالب/المستخدم للإنترنت في أنشطتهم الحياتية والتعليمية هي: المنفعة المتصورة، سهولة الاستخدام، التأثيرات الاجتماعية.

1- المنفعة المتصورة:

تشير فائدة النظام التكنولوجي إلى التوافق الجزئي أو الكلي بين القدرات التقنية (الوظائف) للنظام واحتياجات المستخدم المعلنة أو المستقبلية، وبشكل أكثر وضوحًا، تُعرَّف المنفعة بأنها "التطابق بين ما يمكن أن تحققه التكنولوجيا وما يريد المستخدم أن يفعله بها[1]. تغطي المنفعة المتصورة لاستخدامات الّإنترنت حسب التعريفات المقدمة جانبين، من جهة ينظر الطالب/ المستخدم إلى التطبيقات التي توفرها الإنترنت على أنها مفيدة عندما تقدم له مكسبًا وتضيف له قيمة مادية أو معنوية، ومن جهة أخرى يجب أن تكون هذه التطبيقات متوافقة مع توقعاته من حيث المزايا المتصورة. وهذا ما لمسناه في تصريحات بعض عينات الدراسة.

- يقول جمال (طالب دكتوراه، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية): *" ...كطالب جامعي، أجد فوائد كثيرة في استخدام الإنترنت ... مثل البحث عن المعلومات بشتى أنواعها، أكاديمية، إنجاز البحوث، أخبار يومية ورياضية... أقوم بالتسوق وتصفح المنتجات التي تهمني وأقارن الأسعار بينها... أجد في الانترنت أيضا الترفيه لتمضية وقت الفراغ... الإنترنت مفيدة لي من الناحية الشخصية أو الأكاديمية.."*

– صرّحت غنية (طالبة ماستر، كلية علوم الإعلام والاتصال): *" كشابة جزائرية لا أستطيع الاستغناء عن الإنترنت... فهي ضروريه جدا بالنسبة لي... تُبقيني دائما على اطلاع بما هو جديد اجتماعيا، سياسيا، اقتصاديا.... أتواصل مع صديقاتي واتناقش معهم في أمور كثيرة مثل أمور تتعلق بالجامعة ... الصراحة الإنترنت فيها منفعة كبيرة ولا أتخيل نفسي من دونها"*

يُظهر تحليل تصريحات مفردات العينة أعلاه أن هناك علاقة بين المنفعة المتصورة وفكرة تبني الإنترنت، والتي تأتي من إدراك مفردات العينة لمنفعة أداة الإنترنت. يتماشى هذا مع نتائج العديد من الدراسات حول قبول

[1] Sylvestre Kouass, K. (2014-2015). *Les déterminants de l'adoption en situation professionnelle des réseaux sociaux numériques.* ULB: Etude au sein des bibliothèques des universités ivoiriennes. P 42.

التكنولوجيا، وإن كانت في معظمها دراسات كمية (ف. د. ديفيس وآخرون، 1989؛ ف. ديفيس وف. فينكاتيش، 2000؛ فينكاتيش وآخرون، 2003؛ ك. س. كواكو، 2017؛ ب. ويدراوغو، 2011)[1]. فالطلبة يدركون فائدة الإنترنت، لهذا يميلون إلى استخدامها في أنشطتهم التعليمية واليومية.

2- سهولة الاستخدام:

عادة ما يتم تعريف سهولة الاستخدام بمدى سهولة وفاعلية قدرة الأشخاص على تحقيق أهدافهم، باستخدام منتج أو نظام مع التمتع بتجربة إيجابية[2]. وعليه تشير سهولة الاستخدام إلى اعتقاد الفرد بأن استخدام التكنولوجيا سيكون دون أي صعوبة. بمعنى أن سهولة الاستخدام المتصورة تؤثر على نية الطلبة في تبني تكنولوجيا ما. كما يطرح نموذج القبول الموحد للتكنولوجيا (UTAUT) مفهوم "الجهد المتوقع"، والذي يُشير إلى درجة سهولة استخدام التكنولوجيا، وبالتالي فإن الطلبة الذين يعتقدون أنهم قادرون على استخدام شبكة الويب تكون لديهم تصورات إيجابية بشأن استخدامها في ممارستهم اليومية والأكاديمية، في اعتقادنا يقابل هذا المفهوم مفهوم الملاءمة والتعقيد لدى روجرز، والذي يُعد محددًا مهمًا في سلوك التبني أو الرفض للابتكار التكنولوجي بصفة عامة ومنظومة الإنترنت بصفة خاصة.

بالرجوع إلى عينة من تصريحات المبحوثين التي سجلناها في المقابلات، وجدناها تتمحور حول سهولة استخدام الإنترنت كأداة تكنولوجية، يقول سمير (طالب ليسانس، معهد التربية البدنية والرياضية): *" استخدم محرك Google في التصفح لأنه يوفر عدة مزايا ... أهما سهولة الاستخدام في البحث عن المعلومة... لا أجد صعوبة تذكر في استخدام الإنترنت... يسهل التعامل معها"*.

[1] Dimkêeg Sompassaté Parfait, K., & P. Marie Bernadin, O. (2023). ADOPTION ET USAGES DU NUMERIQUE PAR LES ETUDIANTS EN SITUATION D'APPRENTISSAGE. REVUE INTERNATIONALE DES SCIENCES DE L'EDUCATION ET DE LA FORMATION(08), p 70.

[2] *Usability*. (n.d.). Retrieved 12 29, 2021, from digital.gov: https://digital.gov/topics/usability#:~:text=Usability%20refers%20to%20the%20measurement,success%20rates%20and%20customer%20satisfaction.

تُضيف سعاد (طالبة ماستر، كلية العلوم التجارية والعلوم الاقتصادية):" *في المجمل لا أجد مشكلة في استخدام الإنترنت... في الحلات العادية أراها أداة سهلة مريحة غير مزعجة في الاستخدام... توفر الجهد والوقت في البحث عن المعلومات التي أحتاجها*"

بتحليل مقابلات عينة الدراسة، يُجمع الطلبة أن الإنترنت في مجملها أداة سهلة الاستخدام والاستغلال، وتتراوح درجة السهولة من مفردة إلى أخرى حسب التجربة والخبرة المكتسبة من استخدامات هاته الأداة، بمعنى أن سهولة الاستخدام ليس مفهوماً دقيقاً يمكن القبض عليه وتحديد معالمه بالضبط، لكن يُمكن الاستدلال عليه ببعض المؤشرات، والتي إذا توفرت نستطيع أن نقول أن المستخدم/ الطالب يجد سهولة في استخدام الإنترنت، من بينها:

- أن الإنترنت كمنظومة استخدام ليست صعبة الإتقان، إذ يستطيع الطالب تعلم استخدامها بسهولة نتيجة التطبيقات المرتبطة بواجهاتها التفاعلية والبصرية والتي تجعلها أكثر مرونة وسهولة.
- القدرة على تذكر طريقة استخدام الإنترنت بسهولة بعد فترة من عدم الاستخدام، أي سهولة تذكر استخدام الوظائف والتطبيقات المرتبطة بها.
- أن الإنترنت كمنظومة تقدم أداء يُمكن من خلاله تحقيق الأهداف المرجوة من الاستخدام لعد عملية تقييم لموثوقية الأداة (الإنترنت).
- الإنترنت تكنولوجيا ممتعة للمستخدم/ الطالب، يشعر من خلالها بالرضا الشخصي.

كل هذه المؤشرات (والتي هي من استنتاج الباحث) تتوفر بدرجات متفاوتة بين مفردات العينة، والتي تعطي فكرة عن السهولة التي يجدها المستخدم/ الطالب في تبني تكنولوجيا الإنترنت وإدماجها في حياته اليومية والدراسية، كما أنه لم يتم تسجيل فروقات واضحة بين الجنسين في سهولة الاستخدام ما دام أنها تحقق رضا الطالب من الاستخدام، كما أنه لم يتم معاينة اختلافات واضحة في علاقة الطور (دكتوراه، ماستر، ليسانس) وسهول الاستخدام. بقي أن نَشير أن مفهوم السهولة هو نسبي يتفاوت ويتأرجح من مفردة إلى أخرى، لكن هذه النسبية لا تؤثر في واقع وجود سهولة الاستخدام عند أطالب /المستخدم.

3- التأثيرات الاجتماعية:

تشمل التأثيرات الاجتماعية تأثير الأشخاص المقربين كزملاء الدراسة أو العمل، أفراد العائلة، الأصدقاء، على قرار الفرد بتبني سلوك ما. أظهرت العديد من نماذج تقبُل التكنولوجيا ومنها نموذج UTAUT، ونظرية انتشار الابتكارات أن متغير التأثيرات الاجتماعية تُمارس تأثيرًا كبيرًا على نية المستخدم في تبني تكنولوجيا ما واستخدامها[1].

في دراستنا، التأثير الاجتماعي هو تصور الطالب لما يعتقده الآخرون أن استخدام الإنترنت ضرورة لا بد منها. في سياقنا، يتأثر تبني الإنترنت بالأقران (الطلاب الآخرين)، أفراد العائلة، ومن قبل حتى الأساتذة في الجامعة، يعني التأثير الاجتماعي لدور الأقران والعائلة والأساتذة بالنسبة للطالب/ المستخدم والذي يمكن أن يؤثر على سلوكه. إن استخدام الإنترنت من قبل الأقران وأفراد العائلة يؤثر على تبنيها من قبل الطلبة الآخرين. وعليه تمارس التأثيرات الاجتماعية تأثيرًا إيجابيًا على فكرة استخدام الإنترنت من قبل طلبة الجامعيين في حياتهم اليومية والأكاديمية. وهذا ما تُبينه تصريحات مفردات العينة.

قال محمود (طالب ماستر، كلية الاعلام والاتصال):"*كل الذين أعرفهم يستخدمون الإنترنت... بل أكثر من ذلك فهم متواجدون في الإنترنت... إذا أردت أن أبحث عن زميل في الجامعة أو صديق سوف أجده على منصات التواصل كفيسبوك... هم متواجدون في العالم الافتراضي أكثر من الواقع... مضطر لأن أكون هناك أيضا*". فيما قالت سهام (طالبة ليسانس، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية): "*الجميع يستخدمون الانترنت بدأ بأفراد عائلتي مرورا بالأصدقاء ووصولا إلى زميلاتي في الجامعة... لا أريد أن أكون شاذة عنهم ... فالوضع الطبيعي أني استخدم الإنترنت مثلما يستخدمونها..*"

تُظهر تحليل المقابلات أن التأثيرات الاجتماعية ترتبط إيجابيًا بفكرة تبني الطالب/ المستخدم للإنترنت. إذ يمكن لنصائح العائلة والأصدقاء، وتجاربهم الناجحة مع استخدامات الإنترنت، أن تؤثر بشكل كبير في الطلبة لتبني هذه الأداة، كما أن الطلبة يعتبرون أن نصائح ودعم الأساتذة والمختصين ضرورية في هذا التبني. وأخيرًا، فإن التقدير الأكاديمي يمثل عاملاً مهمًا، من خلاله يقوم الطلبة بإدماج

[1] Sylvestre Kouass, K. (2014-2015). *Les déterminants de l'adoption en situation professionnelle des réseaux sociaux numériques.* ULB: Etude au sein des bibliothèques des universités ivoiriennes. P 105.

الإنترنت في حياتهم اليومية والأكاديمية، كما لا يخفى أصبحت حضور الإنترنت رمزًا للمكانة الاجتماعية، وتحسينا للصورة الذاتية داخل المجتمع وبين الأقران.

ختاما لهذا المطلب الذي حاولنا من خلاله أن نجد تفسيرا إثنوغرافياً لفكرة تبني وإدماج الإنترنت في حياة الطالب الشخصية والعلمية، فاعتمدنا على نموذج UTAUT النموذج الموحد لتبني التكنولوجيا والذي ابتكره Venkatesh وزملاؤه عام 2003، والذي رأينا انه يتقاطع مع مفهوم التبني في سيسيولوجيا الاستخدامات وانتشار المبتكرات عند روجرز، ولقد ساعدنا هذا النموذج في اقتراح مؤشرات من خلالها نستطيع أن نقوم بتحليل الملاحظة عن بعد والمقابلات، لنستطيع أن نقبض على شرط تبني وإدماج الإنترنت من قبل الطلبة كصيرورة لعملية التمّلك النهائي لهاته التكنولوجيا. الشكل رقم (14) يوضح العناصر المرتبطة بتبني الإنترنت في دراستنا والتي تتمثل في المنفعة المتصورة، سهولة الاستخدام والتأثريات الاجتماعية، وتأثير الجنس ومستوى التدرج العلمي في كل عنصر.

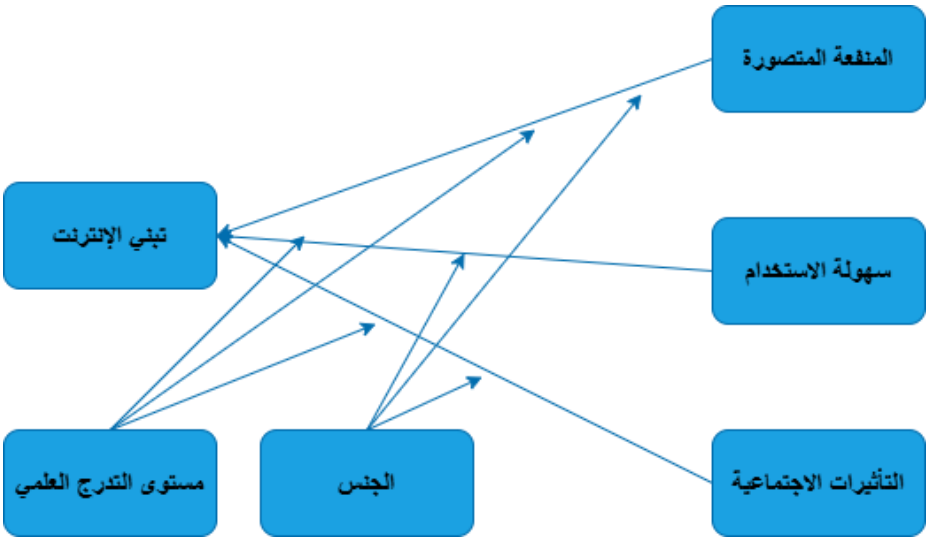

الشكل رقم (14): نموذج بسيط يوضح تبني الإنترنت من قبل الطلبة

المطلب الثالث: الابتكار والترميق في استخدامات الإنترنت من قبل الطلبة

أبرزت بعض الأعمال استقلالية المستخدمين وقدرتهم على تحوير التقنية عن استخداماتها التي حددها المصممون مسبقاً مثل أعمال ميشال دوسارتو وليفي ستراوس (أنظر الفصل الثاني). حيث أظهرت هذه النقاشات أن المستخدم ليس كائنًا سلبيًا أو مطيعًا، بل هو على العكس من ذلك قادر على الترقيع والانحراف وابتكار استخدامات جديدة تناسب احتياجاته، وبالتالي الإفلات من سلطة المنتج.

لا نقصد في هذه الدراسة بالابتكار Innovation أن المستخدم يقوم باختراع تكنولوجيا جديدة على غرار ما تقوم به الشركات والمؤسسات التكنولوجية، بل الابتكار الذي نرمي إليه هو ذلك الاستخدام المنحرف Détournement عن استراتيجيات التصميم الأولي للمُنتج، والذي يُضفي من خلاله المستخدم بُعداً اجتماعية ومعنا حسب احتياجاته الخاصة وفق سياقات معينة بهذا الاستخدام. فالتملك الاجتماعي لتكنولوجيا ما يمّر حتماً عبر فكرة الترميق أو الترقيع Bricolage وإعادة الابتكار، إذ يتعلق الأمر بتكتيكات الاستخدام في مواجهة استراتيجية المصمم، والذي نجم عنه اكتشاف الاستخدامات الفعلية للتقنيات المختلفة (الهاتف والكاميرا والتلفزيون والكمبيوتر...) في مواجهة الاستخدامات المفترضة لهاته التقنية.

سجلنا من خلال التحليل الإثنوغرافي لعينة الدراسة وجود ممارسات متعلقة باستخدام الإنترنت ذات طبيعة غير مألوفة تتميز بالتحوير والالتفاف حول استعمالات الإنترنت المتوقعة. بداية لقد أظهر الطالب/المستخدم حدا أدنى من الاتقان التقني والمعرفي فيما يتعلق باستخدام الإنترنت، وعليه يجب أن يتكامل هذا الإتقان التقني بطريقة هادفة ومبتكرة في الممارسات اليومية للطالب. ولقد لاحظنا عبر الملاحظة عن بعد أن الطالب/المستخدم لأداة الإنترنت يقوم بنوع من الابتكار، بدأً من الولوج وطرق الاتصال بالإنترنت وصولا إلى تحقيق أهدافه واحتياجاته من هذا الاستخدام. لقد أتبعنا هذا الرصد بمجموعة من الأسئلة في المقابلة لتأكيد أو دحض فكرة الترميق والابتكار لدى مفردات العينة لاستخدامات الإنترنت.

1- الهاتف الجوال كنقطة اتصال بالحاسوب الشخصي:

لدينا ثمانية عشر (18) مفردة لديها جهاز حاسوب محمول laptop، أي 75% من عينة الدراسة، لما يُوفره الحاسوب المحمول من استعمال في عدة أماكن وفي أوقات مختلفة مقارنة بالحاسوب الثابت، ويُعد فضاء الجامعة أكثر هذه الفضاءات استخداما للحاسوب المحمول إذا استثنينا المنزل، لكن مشكل الفضاء الجامعي أنه لا يُوفر ولوجاً للإنترنت بسبب ضعف البنية التحتية، فيلجأ الطلبة إلى طرق وحيل أخرى للتغلب على هاته العقبة.

تقول أمال (طالبة دكتوراه، كلية التجارة والعلوم الاقتصادية وعلوم التسيير): *" استخدم حاسوبي الشخصي في الكلية للاستخدام الأكاديمي وأحيانا للترفيه... وفي غياب الإنترنت أقوم بإنشاء نقطة اتصال مع جوالي للولوج إلى الشبكة... فالكلية لا توفر خدمة الإنترنت... يساعدني كثيرا ذلك في استغلال وقتي"*. نظراً لغياب تغطية الشبكة في كلية العلوم التجارية، وهي من المشاكل التي يواجهها عموما الطلبة في كلياتهم، وكما ذكرنا أن استخدام الإنترنت يقتصر على الإدارة والهياكل المرتبطة بها، تلجأ أمال إلى كغيرها من الطلبة إلى التغلب على هذا المشكل باستخدام بإنشاء نقطة اتصال مع هاتفها الشخصي والذي يكون مزود بخدمة إنترنت الجوال (4G)، إذ تُعتبر الإنترنت بالنسبة لآمال أداة جوهرية تدخل في صميم أدائها وممارساتها كطالبة دراسات عليا، وتُضيف *"لا يمكن انجاز رسالة الدكتوراه دون إنترنت"*، فتسهيلا للجهد واختصارا للوقت، تقوم أمال بالتغلب بما هو متاح من أدوات تقنية (هاتف جوال مزود بالإنترنت متصل بالحاسوب) على هذا الوضع القائم، الذي فرضه نقص البنية التحتية للاتصال بالإنترنت داخل الكلية.

يُشاطر أمال كل مفردات العينة الذين يأتون بالحاسوب المحمول إلى الجامعة، وفي ظل انعدام الإنترنت في فضاءات الكليات المختلفة لجامعة الجزائر 3، يقوم الطلبة/ المستخدمون بإنشاء نقاط اتصال كل حسب وضعه من الهواتف النقالة المزودة بخدة الإنترنت. وحسب كل من نبيل (طالب ليسانس، كلية الاعلام والاتصال) ورشيد (طالب ماستر، بمعهد التربية البدنية والرياضية) فإنهم يقومون بالتزود بخدمة الإنترنت بواسطة الهاتف النقال، أحيانا من هواتفهم الشخصية وأحيانا أخرى من هواتف زملائهم من خلال خاصية مشاركة الشبكة.

فضاء جامعة الجزائر 3 يخلو من مفهوم الإتاحة Affordance للإنترنت، الذي يُعتبر دعوة للاستخدام، ويقصد بالإتاحة ذلك الجهد الذي يُمكّن الفرد أو المنظمة من القدرة على استخدام التكنولوجيا أو نظام المعلومات[1]. حيث منظومة الإنترنت غير متاحة للطلبة ومقتصرة على هياكل معينة وأشخاص بذاتهم، يلجأ الطلبة/ المستخدمون إلى الترميق كوسيلة مبتكرة لتوفير الإنترنت داخل الفضاء الجامعي كنوع من الابتكار والتحايل على الواقع، ويزول هذا الترميق في فضاء المنزل حيث تتوفر الشبكة عن طريق خدمة adsl، 4g lte والألياف البصرية.

2- حساب واحد وعدة مستخدمين:

اعتمدت بعض مفردات العينة في استخدامها للإنترنت وتطبيقاتها على ممارسة تنطوي على نوع من الابتكار، فقد تمت ملاحظة أن بعض المبحوثين يتشاركون حساب واحد مع عدة أشخاص آخرين، سواء زملاء في الجامعة أو أصدقاء أو حتى أفراد من العائلة. فقد صرّح عبدو (طالب دكتوراه، كلية العلوم التجارية والعلوم الاقتصادية وعلوم التسيير): *" لدي اتصال مع بعض الزملاء في الدفعة داخل الكلية وخارجها... نستخدم موقع Jstor وهو موقع أكاديمي يوفر العديد من الأوراق البحثية والمخطوطات... فنحن نتشارك نفس الحساب ... أي نفس اسم المستخدم وكلمة السر"*، وعندما سألناه، لماذا لا يحوز حساب خاص به، أجاب: *" هذا الموقع ليس مجاني بالكامل وهو يطلب مبالغ مالية خاصة في الوراق العلمية حديثة الصدور... وليس لدي القدرة المالية لدفع الاشتراكات"*، وكنوع من التغلب على العائق المالي والالتفاف حول مصممي الموقع ومُنشئيه والذين يفترضون أن لكل مستخدم حساب خاص به، يحوز عدة مستخدمين حساب واحد يستخدمونه بالتناوب بواسطة أجهزتهم الحاسوبية، والذي تم دفع اشتراكاته من قبل مستخدم واحد أو عدة مستخدمين لتقليل التكلفة، أو أن الحساب مقرصن...إلخ، ومهما تكن طريقة الحصول على الحساب فالمستخدم/ الطالب قد تغلب بطريقة مبتكرة على عقبة مالية واجهته في استخدام أحد تطبيقات الإنترنت. نفس الأمر بالنسبة لخالد (طالب دكتوراه، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية)، والذي قال:"*لقد حصلت على اسم مستخدم Username وكلمة السر*

[1]Majchrzak, A. (2013). echnology affordances and constraints theory (of mis). *Encyclopedia of management theory, 2*,p 833.

Password لموقع Sage Journals بطريقة ما... لأتمكن من تنزيل أحدث الأوراق العلمية.." .

ويُضيف خالد بأن الأمر لا يتعلق بالاشتراكات –مثلما رأينا مع عبدو–، وأن له القدرة المالية لدفع هاته الاشتراكات، لكن المشكل حسبه هي طريقة الدفع mode de paiement، فهذه المواقع والتطبيقات تشترط الدفع بالعلمة الأجنبية، وفي الجزائر هذا أمر صعب فقوانين الصرف لا تشجع على ذلك. وبالتالي فنحن هنا نتحدث عن عقبة تتعلق بالقوانين والتشريعات، ولتجاوز هاته العقبة قام الطالب/ المستخدم بالاشتراك مع عدة مستخدمين لنفس الحساب.

وفي نفس سياق استخدام حساب واحد لعدة مستخدمين، قالت نسرين (طالبة دكتوراه، كلية الاعلام والاتصال): *" لدى زميلتي في الدراسة حساب على منصة sndl... وعند الحاجة أستعير منها اسم المستخدم وكلمة المرور للدخول إلى النظام للاطلا ع على مختلف المجلات العالمية والوطنية وأقوم بتنزيل ما يُناسبني من المادة العلمية"*. و sndl هو نظام وطني للتوثيق عبر الإنترنت الوصول إلى وثائق إلكترونية وطنية ودولية غنية ومتنوعة تغطي جميع مجالات التعليم والبحث العلمي، وهي مخصصة للباحثين – الأساتذة والباحثين الدائمين وطلاب الدراسات العليا (دكتوراه وماجستير) وطلاب الهندسة في نهاية الدورة والماستر 2. يتم الوصول إلى هذه الفئة الثانية من الوثائق دون قيود ولكنه يتطلب حسابًا فرديًا[1]. ورغم علمها بأن لها الحق في امتلاك حساب خاص بها على هاته المنصة بحكم أنها طالبة دكتوراه، أجابت نسرين: *" لدي رُهاب الاتصال بالإدارة والتعامل معها، أُحس بالانزعاج من الإجراءات البيروقراطية"*، نلاحظ أنه يوجد سبب آخر في الاعتماد على فكرة حساب واحد وعدة مستخدمين يتمثل في تجاوز العقبات البيروقراطية والإدارية للمستخدم/ الطالب كحالة نسرين.

إن استخدام تكتيك حساب واحد لعدة مستخدمين للتغلب على استراتيجيات المواقع والتطبيقات من طرف المستخدم، لا يقتصر على الجانب الأكاديمي فقط بل يتجاوزه إلى الترفيه، فقد رصدنا أن بعض مفردات العينة (رشيد: طالب ماستر، عمر: طالب ليسانس) يستخدمون بعض منصات الترفيه المختصة في الأفلام والمسلسلات وغيرها، هذه المنصات تتطلب اشتراكاً حتى يتمكن المستخدم من الاستمتاع والترفيه، حيث صرّح رشيد: *" أشاهد أفلامي المفضلة على شبكة Netflix على جهاز الحاسوب... أقوم بمشاركة*

[1] أنظر https://www.cerist.dz/index.php/en/portails-2/809-sndl

اسم المستخدم وكلمة المرور الخاصين بي مع أصدقائي" يُضيف عمر: *" أتابع قناة مختصة في قرصنة شبكة Netflix على تطبيق تليجرام تُوفر حسابات لهاته الشبكة يشترك في استخدامها الكثير من المتابعين"* . نلاحظ أن رشيد يُشارك حسابه الخاص بمنصة Netflix مع أصدقائه كنوع من التضامن، ولعلمه عدم قدرتهم على دفع الاشتراكات أو رغم قدرتهم فليس لديهم المعرفة اللازمة عن طريقة الدفع، وهو مشكل لاحظناه عند خالد، أما عمر فقد اختار طريقة غير آمنة وغير قانونية باستخدام حسابات مقرصنة يتشاركها مستخدمون مجهولو الهوية، كل هذا من أجل تلبية حاجاته من الترفيه.

يُعد استخدام حساب واحد على إحدى مواقع أو تطبيقات الإنترنت من قبل عدة طلبة مثالاً على الترميق والانحراف في الاستخدام، فقد لاحظنا أن هناك استخدام إبداعي وتكتيكي للأدوات الرقمية بطريقة بعيدة عن إرادة المصممين الأصليين. فالطالب/المستخدم ينخرط في حساب واحد يضم العديد من المستخدمين، مثل حساب بريد إلكتروني، منصة تعليمية أو ترفيهية، اشتراك مدفوع، فهم لا يلتزمون الاستخدام الأولي المتوقع من قبل الجهة المقدِّمة للخدمة. بل كما رأينا يقومون بالتحايل على القيود المالية لتوفير كلفة الاشتراك عبر تشارك حساب واحد بدلاً من الدفع الفردي؛ التغلب على الحواجز التقنية أو البيروقراطية :مثلاً استخدام حساب زميل مسجل في منصة تعليمية للحصول على موارد غير متاحة لهم، دخول جماعي لحساب بريد إلكتروني جامعي لمتابعة أخبار الجامعة أو تسليم الواجبات، خاصة عند تعطل حسابات أفراد آخرين؛ تحقيق نوع من التضامن الرقمي بين الزملاء، خصوصاً في البيئات التي تعاني من ضعف البنية التحتية أو عدم عدالة الوصول للمعلومة. هذا الاستخدامات تكشف عن ممارسات فردية أو جماعية لتجاوز القيود التقنية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، مثل ضعف التغطية، غلاء الاشتراكات، أو القيود الإدارية.

3- الجمع بين الرسمي وغير الرسمي:

بداية، نقصد بالرسمي وغير الرسمي في دراستنا، أن كل ما يتعلق بحياة الطالب داخل الجامعة ومتطلباتها البيداغوجية والإدارية يدخل فيما هو رسمي، وبالتالي فالطالب ملتزم بجملة من القواعد واللوائح التي يتقيد حريته، والجامعة كمنظومة تدخل في هذا الإطار، أما ما هو غير رسمي فهي حياته الخاصة حيث يجد الطالب حرية في ممارسة سلوكيات معنية في إطار ثقافي واجتماعي عام.

من خلال الملاحظة، شد انتباهنا أن مفردات العينة (عمر، ليندا، سهام، خديجة، سمير، غنية، فريد، عبد الرحمن، عثمان، رشيد، فوزية، محمود، نبيل) وهم طلبة ليسانس وماستر من مختلف كليات جامعة الجزائر3، يقومون بمراجعة الدروس والتحضير للامتحانات عن طريق منصات هي في الأساس منصات ترفيهية مثل اليوتيوب والانستغرام وحتى التيكتوك، بدل المنصات الرسمية التي وفرتها الهيئات الرسمية والمتمثلة في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في الجزائر، مثل منصة Moodle.

تقول ليندا (طالبة ليسانس، كلية علوم الاعلام والاتصال): *" أعتمد كثيرا على منصة اليوتيوب لمراجعة دروسي وتحضيرا للامتحانات... كما أتابع حساب على أنستغرام يقدم شرح للمصطلحات والمفاهيم الإعلامية..."*، *ولما سألناها عن منصة* Moodle، أجابت: *" لدي حساب على منصة مودل، لكني لا أستخدمه كثيرا بسبب تعقيد استخدامه.."*

وMoodle هي منصة تعليمية إلكترونية مفتوحة المصدر تستخدم على نطاق واسع لإدارة المقررات الدراسية عبر الإنترنت ودعم التعلم التقليدي (وجهاً لوجه)، تم تطويرها لمساعدة المعلمين على إنشاء بيئات تعليمية تفاعلية عبر الإنترنت. حيث أثبتت الدراسات التي تناولت هاته المنصة في السياق الجزائري، أنها منصة يصعب التعامل معها بسلاسة، فالطالب يجد صعوبة في تحميل الدروس بصيغةpdf ، ومحتواها غير المحفز خصوصا عدم وجود أي طريقة للتواصل مع الاستاذ والسؤال عن الدرس غير المفهوم، بالإضافة إلى إن الدروس في المنصة لا تجذب وتشد انتباه الطلاب لأنها ترتكز فقط على المحاضرات الكتابية، مع صعوبة انجاز الوظائف والأعمال التي تقدم لهم عن طريق المنصة بسبب التعطل المستمر لها، عدم تلقي أي تكوين أو دورات بخصوص استخدام هذه منصة[1]. وعليه استخدمت ليندا لمراجعة دروسها تكتيكا يسمح لها يتجاوز عقبة وتعقيد منصة Moodle، وتعويض ذلك بمنصتين غير رسميتين بالنسبة لها كطالبة هما منصة يوتيوب وأنستغرام.

أما عبد الرحمن (طالب ماستر، كلية العلوم التجارية والعلوم الاقتصادية وعلوم التسيير) ن فقد صرّح بأنه: " *يستخدم منصة Moodle للقيام بواجبته البيداغوجية ... وكذلك أستخدم منصات أخرى*

[1] بن عمور جميلة، و بلاحجي فوزية. (15 10, 2021). صعوبات استخدام منصة التعليم عن بعد (موودل) من وجهة نظر الطلبة الجامعيين. *دراسات في التنمية والمجتمع، 6*(3)، ص 81.

تقيدني في دراستي مثل اليوتيوب والتيكتوك". هنا عبد الرحمن قام بالجمع بين منصة رسمية معتمدة من طرف كليته وبين منصات أخرى هي في الأساس منصات للترفيه والتواصل الاجتماعي، بمعنى آخر أنه دمج بين ما هو رسمي وبين ما هو غير رسمي من أجل تحقيق احتياجاته التعليمية والبيداغوجية. يُعنبر ما قام به عبد الرحمن ممارسة هجينة، تجد تبريرها في انها نوع من التكتيك يستخدمه الطالب/ المستخدم للإنترنت لإكمال النقص في الشرح والفهم للدروس الموجودة على المستوى الرسمي (منصة مودل) بواسطة منصات أخرى غير رسمية مثل مواقع التواصل الاجتماعي.

لاحظنا أيضا، أن مفردات العينة (نورالدين، منير، نسرين، سعاد، جمال، ريمة أمين) وهم طلبة ليسانس، ماستر ودكتوراه، قاموا بنشر ومشاركة بعص الوثائق التي تُعتبر رسمية مثل: إعلان حول انعقاد مجلس تأديبي في كلية الاعلام والاتصال، إعلان آخر حول ملتقى دولي في كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، تداول الوثائق والاستمارات الخاصة بالتربصات لطلبة الليسانس في ميدان الاعلام وميدان التجارة ، الإعلان الخاص بفتح مسابقة الدكتوراه للموسم 2022/2021 لجامعة الجزائر3...إلخ من الوثائق الرسمية التي يفترض أن مكانها الأصلي هو الموقع الرسمي لكليات جامعة الجزائر3، لكن الطلبة نقلوها من موقعها الرسمي إلى الفضاء غير الرسمي وهو مواقع التواصل الاجتماعي خاصة موقع فيسبوك، حيث قامت مفردات العينة المذكورة أعلاه من نشر ومشاركة هاته الوثائق عبر العيديد من الصفحات والمجموعات الفيسبوكية، هذه الأخيرة تعتبر قنوات غير رسمية تم نقل فيها مادة ومحتوى رسمي. التواجد الدائم لمفردات الدراسة على مواقع التواصل الاجتماعي وباعتبارهم أعضاء في صفحات ومجموعات تُعنى بأخبار الكليات التي ينتمون إليها يوفر عليم عناء تصفح المواقع الرسمية لجامعة الجزائر3، هذه الأخيرة التي تتسم بعدم الجاذبية وغياب التفاعل والمشاركة، تجعل الطالب/المستخدم يعزف عن تصفح هذا النوع من المواقع رغم ما تكتسيه من أهمية في حياة الطالب الجامعية، ويستعيض بالقنوات غير الرسمية لإرسال أو تلقي محتوى رسمي، هذا نوع آخر من الترميق bricolage وإعادة الابتكار التي يمارسها الطالب في استخدامه للإنترنت. الشكل رقم (15) يوضح ذلك.

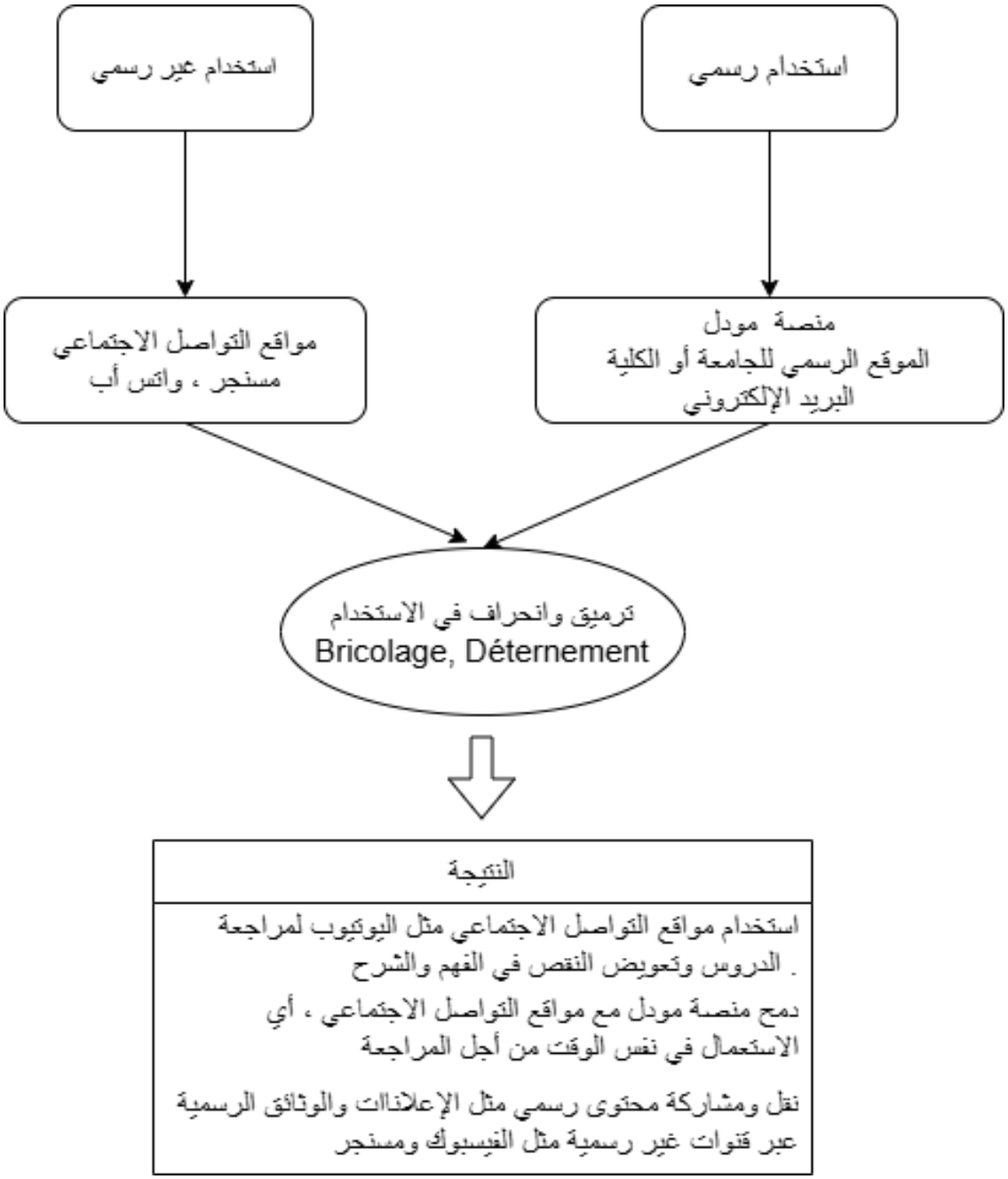

الشكل رقم (15) يوضح : البريكولاج بين ما هو رسمي وغير رسمي

4- الانتقال من online إلى offline:

تمكننا الملاحظة عن بعد من رصد استخدامات مفردات العينة للإنترنت عن طريق برنامج TeamViewer المثبّت على حواسيب المبحوثين (أنظر الفصل الأول)، يعني عندما يكون الحاسوب في وضع الاتصالonline ، لكن ماذا يفعل الطالب المستخدم على حاسوبه في الوضع offline؟.

لاحظنا أنه عندما يكون الطالب متصلًا بالإنترنت مباشرة ويستخدمها في الوقت الفعلي، فإنه يقوم بتحميل المحاضرات أو الفيديوهات من منصات التعليم، ويقوم بإجراء البحوث والبحث عن المعلومات من خلا محركات البحث خاصة Google، والانخراط في مجموعات فيسبوك والواتساب للتواصل مع الزملاء، إرسال واجبات عبر البريد الإلكتروني أوMoodle ، وممارسة الترفيه على وسائط متعددة.

وأرشدتنا المقابلة أنه عندما لا يكون الطالب متصلًا بالإنترنت offline، فإنه يستخدم محتويات سبق له تحميلها أو إعدادها للاستفادة منها لاحقًا، مثل: قراءة ملفات PDF سبق تحميلها، مشاهدة فيديوهات تعليمية محمّلة مسبقًا منYouTube ، أو مشاهدة أفلام ومسلسلات تم تنزيلها سلفاً، كتابة تقارير أو ملاحظات على Word دون اتصال. هذا ما يُؤكده كل من خالد (طالب دكتوراه، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية) ومحمود (طالب ماستر، كلية الاعلام والاتصال)، حيث قال الأول: *" عندما أجد ملفات pdf لها علاقة بموضوع أطروحتي لا أتردد في تنزيلها ... ربحاً للوقت والجهد وحتى لا أضطر للبحث عنها مرة أخرى... وربما لا تتوفر لي خدمة الشبكة في لحظة أتجت فيها للمادة العلمية خاصة عندا أكون في الكلية ... فهي موجودة على الحاسوب دون اتصال بالإنترنت.."*، وقال الثاني: *" أعشق الأفلام ومتابعة المسلسلات خاصة الأجنبية... أقوم بتحميل ما يعجبني لكي أشاهدها في وقت لاحق لا يكون لدي اتصال بالإنترنت"*. ولاحظنا أيضاً أن مشتركي خدمة 4G lte وعددهم ثلاثة (3) من مجل عينة الدراسة، يقومون بتخفيض جودة الفيديوهات التي يُشاهدونها على منصة اليوتيوب أو مختلف مواقع الستريميتغ streaming للأفلام، حيث صرّحت خديجة (طالبة ليسانس، معهد التربية البدنية والرياضية): *" لدينا في المنزل خدمة idoom 4g lte... وللحفاظ على رصيد التدفق فإننا نقوم بنوع من التحايل في إعدادات الأجهزة لدينا في المنزل... منها جهاز الحاسوب الذي أشتغل عليه... حيث أقوم بتخفيض جودة موقع اليوتيوب من أجل الحفاظ على رصيد البيانات"*.

تفسيراً لذلك، يستخدم الطلبة الوضعOffline ، هذا الوضع عادة يكون دون إرادتهم، بسبب انقطاعات الإنترنت المتكررة أو ضعف التغطية لشبكة الإنترنت في بعض المناطق، أو عدم وجودها في فضاءات بذاتها مثل فضاء الجامعة، وبعض الطلبة لا يستطيعون البقاء متصلين دومًا لأن لديهم رصيدًا محدودًا في استهلاك البيانات وبالتالي نقص جودة وقوة التدفق كما رأينا مع مشتركي 4g lte، وبعض الطلبة يفضلون الوضع Offline للاتصال لتجنب المشتتات مثل مواقع التواصل والرغبة في التركيز. فهم يستغلون لحظات الاتصال لتحميل أكبر قدر ممكن من الموارد المتاحة من الملفات ذات الوسائط المتعددة، من أجل استغلالها لاحقاً في الدراسة أو الترفيه.

يعكس هذا قدرة الطالب/ المستخدم على التكيّف مع بيئة رقمية غير مستقرة، ويبيّن كيف أن الطلبة ينتجون حلولاً بأنفسهم بدلًا من انتظار بنى تحتية مثالية، كما يسعى الطالب إلى ترشيد الوقت والجهد عبر تنظيم الموارد الرقمية مسبقًا. هذا الاستخدام المزدوج (وهو الانتقال من onlineإلى offline) هو عبارة عن ترميق من قبل الطلبة يُظهر كيف يُكيّفون علاقتهم بالإنترنت حسب السياقات والقيود التي يواجهونها.

أخيراً، هذا ما تم رصده عبر الملاحظة عبر الخط وما ابانت عليه المقابلات لأهم الابتكارات والترميق الذي مارسته مفردات العينة، والتي تتمثل في تكتيكات الهاتف الجوال كنقطة اتصال بالحاسوب الشخصي، حساب واحد وعدة مستخدمين، الجمع بين الرسمي وغير الرسمي والانتقال من online إلى offline هذه الأشكال من البريكولاج كما يسميه ميشال دوسارتو، هو نوع من المقاومة التي لا يملك الأفراد إيزاءها سلطة تغيير البنية، لكنهم يتحايلون عليها عبر تكتيكات بسيطة. فالطالب/ المستخدم يقوم بنوع من التفاوض مع النظام انطلاقاً من المهارات والموارد المتوفرة لديه ليُطور بدائله الإبداعية الخاصة به.

لم يتم تسجيل فروقات واضحة بين الجنسين في الابتكار والترميق في استخدام الإنترنت، لا يمكننا القول بأن جنس أكثر ابتكار وترميقاً من جنس آخر، صحيح أنه يوجد تقسيم للأدوار الاجتماعية في استخدام الإنترنت بين الجنسين من خلال كثافة الاستخدام، واختلاف التوقيتات، وتفضيلات المحتوى، والتي تُظهر الهوية الجندرية للمستخدم، لكن هذا لا يعني أن الذكور مثلا أكثر ابداعا وترميقا من الإناث، فلاحظة تؤكد على أن كل مفردة من عينة الدراسة، سواء ذكر أو أنثى، لها القدرة على الابتكار في

استخدام الإنترنت حسب احتياجاتها وقدراتها، وربما يتقاطع هذا الابتكار والابداع بين مفردات العينة مع بعضها البعض.

وخلاصة لهذا المبحث، التملّك إذن سلسلة تُشكل روابطها الصورة الرمزية التي ترتبط بها الأداة، من جهة، وأنواع استخدامها من قِبل المستخدمين، من جهة أخرى. لذلك، نتفق مع مفهوم سيرج برولكس وفيليب بروتون، اللذين يعتبران التملّك عمليةً تتميز، من جهة، بالإتقان المعرفي والتقني، ومن جهة أخرى، بالدمج الهام والإبداعي لهذا الإتقان في الحياة اليومية للمستخدم. وهذا ما تناولناه في المطالب الثلاث لهذا المبحث، والتي اعتبرناه كشروط لصيرورة التملك بالنسبة للطلبة الجامعيين، بداية بالولوج التقني والتحكم المعرفي بالأداة الإنترنت، ثم تبني ودمج هاته الأداة في الحياة البومية للطلبة، وصولاً إلى الابتكار والترميق حتى تكتمل عملية التملّك للإنترنت. كما أننا لم نهمل متغير النوع الاجتماعي (الجنس) كعنصر أساسي لفهم ديناميات التملك واستخدام الإنترنت .ويتجلّى ذلك من خلال البناء الاجتماعي للجنس، وتَمثُّل الأدوار والمراتب الاجتماعية، والتي يُعاد إنتاجها في أساليب الاستخدام والصور الرمزية المحيطة بهاته الأداة التقنية. كما بيّنا أنه يوجد تمييز في القيم والتوجيهات السلوكية في التربية حسب الجنس، إذ تُمنح الروابط والعلاقات الاجتماعية أولوية لدى الأفراد من الجنس الأنثوي، في حين تُعطى الأولوية للاستقلالية لدى جنس الذكور. ويمكن اختصار صيرورة التملك الاجتماعي للإنترنت من طرف الطلبة في الشكل رقم (16)

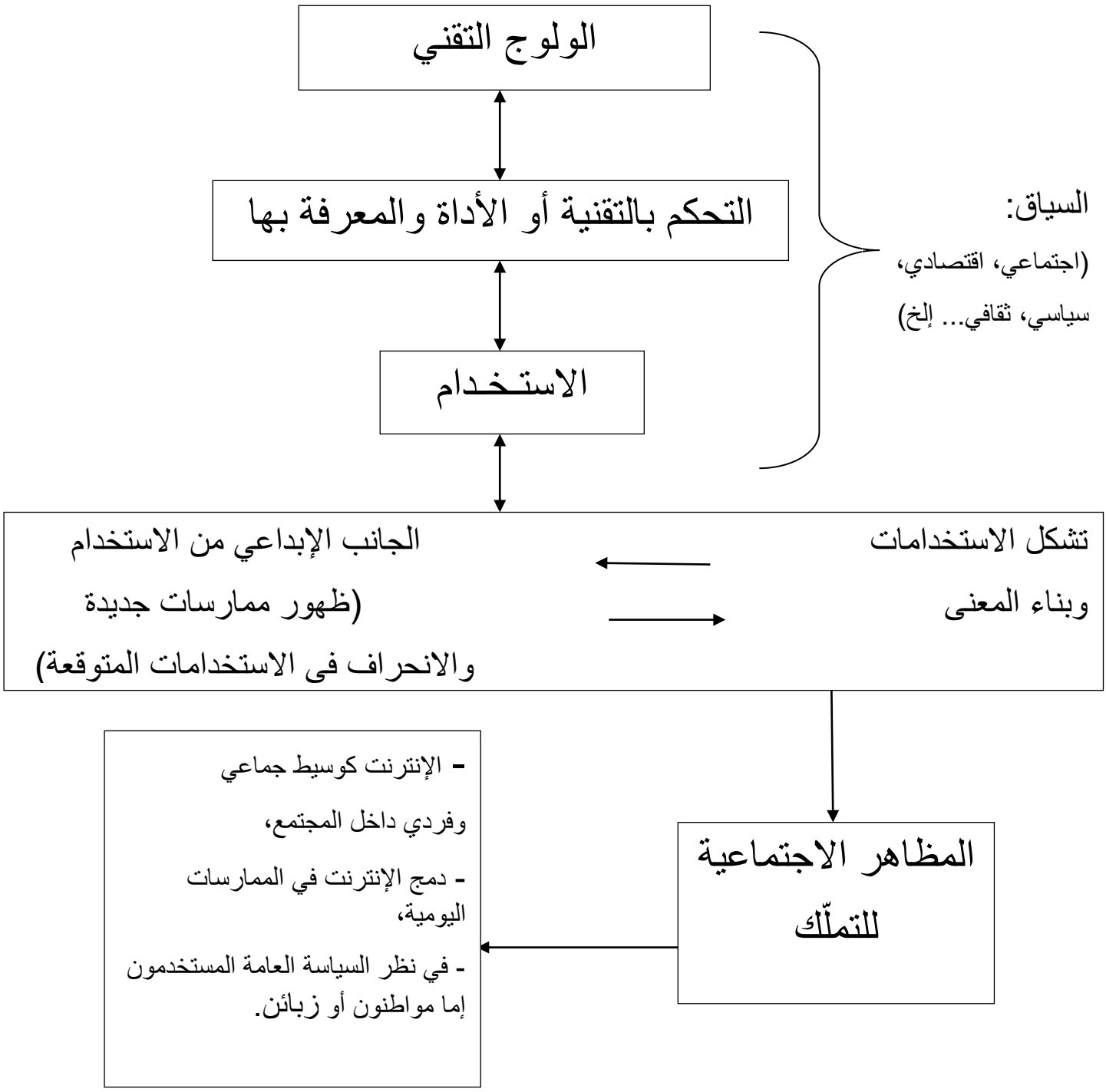

الشكل رقم (16): يوضح صيرورة التملك الاجتماعي للإنترنت من قبل الطلبة الجامعيين

لمبحث الثاني: تحليل سياقات التملك وطقوس الاستخدام للإنترنت من قبل الطلبة الجامعيين

تلعب السياقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية دورا هاما في عملية صيرورة التملّك الاجتماعي لتقنية الإنترنت، فهي تُوجِّه الاستخدامات بطريقة ما، إذ لا يمكن عزل استخدام الأداة التقنية عن محيطها السوسيوثقافي. وعليه تُبنى هيكلة الاستخدامات بناءً على السياقات والاهتمامات والاحتياجات الفرد داخل المجتمع. ويؤدي التملك على هذا المستوى إلى عملية تعبير تبرز من خلالها خصائصها الفريدة. من ناحية أخرى، يُعد التملك عملية بناء اجتماعي لأنها تتضمن التنشئة الاجتماعية للفرد وتمثّلاته للأداة. ومن المهم مراعاة هاته السياقات، والتي تلعب دوراً في تملّك التقنية من عدمها (اللاتملّك). كما ‘ن دمج التقنية في الحياة اليومية يتولد عنه ممارسات أشبه بالطقوس التي يمارسها المستخدم، وتصبح جزءا من روتينه اليومي.

المطلب الأول: السياقات السوسيولوجية والاقتصادية لاستخدامات الطلبة للإنترنت

بداية، يجب أن نشير إلى أن السياق السياسي مهم في عملية استخدام الإنترنت من قبل المواطن بشكل عام والطلبة بشكل خاص، وقد تم التطرق سابقاً إلى السياسات الوطنية في الجزائر والتي تُعنى بتطوير البنية التحتية لتكنولوجيا الاعلام والاتصال والإنترنت على وجه التحديد (أنظر الفصل الثالث) ، وإلى أهم المحددات والمعيقات التي تندرج ضمن الفجوة الرقمية بين الجزائر ودول العالم من جهة، والفجوة الرقمية المحلية بين مناطق الوطن، وذلك لغياب هاته البنية التحية في الجامعة الجزائرية والتي تؤثر بشكل سلبي على استخدامات الطلبة للإنترنت داخل الحرم الجامعي. لكن هذا لا يمنع من وجود قفزات حققتها السياسة العامة في الجزائر بشأن تكنولوجيا الاعلام والاتصال في السنوات الأخيرة.

وبعد ملاحظة ممارسات منحرفة متعددة، غالبًا ما تكون متعمدة من طرف الطلبة، وتوصلنا أن لدى الطلبة/المستخدمين استراتيجيات لاستخدام شبكة الإنترنت. ومع ذلك، يبدو أن سياق الاستخدام (الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي...) يتدخل بشكل كبير في هذا الاستخدام.

في هذا المطلب سوف نتطرق إلى أهم السياقات التي أفرزتها الدراسة من خلال البيانات التي تم جمعها ورصدها بدأ بالملاحظة عبر الخط وثانياً عبر المقابلات المعمقة مع مفردات العينة.

1- تمثّل الطلبة لأداة الإنترنت:

إن تملّك الأدوات المعلوماتية لا يمكن اختزاله في بُعد تقني فقط، كأنه مجرد تراكم لمهارات عملية، بل تلعب التمثلات الاجتماعية لماهية الحاسوب والإنترنت وما يمكن استخدامه بهما، إلى جانب الاستراتيجيات الاجتماعية التي يُستثمر ضمنها، دورًا أساسيًا. لذلك، فإن أي إطار مفاهيمي يُراد له أن يشرح عملية التملّك، يجب أن يأخذ بالضرورة بعين الاعتبار طابعها الجماعي، دون أن يُهمل أن الاستخدام يبقى أيضًا تفاعلًا فرديًا مع أداة. من هذا المنظور، يتدخل نظام التمثلات الرمزية، سواء قبل أو أثناء عملية الاستخدام، ليضفي معناً على التملّك. فهذا العالم الرمزي للمستخدم يسمح له بربط صورة أو عدة صور رمزية بالأداة التقنية التي يتعامل معها.

رغم أننا سعينا قدر الإمكان إلى ملاحظة ممارسة استخدام الإنترنت في سياقها الفعلي(in situ) ، وليس فقط من خلال إعادة السرد اللاحق التي قد يقدمها المبحوثون، ففي الواقع، تُعدّ المقابلات مصدرًا أساسيًا لفهم التمثلات التي يشكّلها المبحوثون حول أداة الإنترنت التي يستخدمونها. علاوة على ذلك، فإن إجبار مفردات العينة على التعبير الشفهي وشرح ممارساتهم التي تكون عادة غير لفظية، يسمح لنا باكتشاف نواقص محتملة في التمثّل و التصوّر لهاته التقنية. كما أن هذه المقابلات تتيح أيضًا الكشف عن تمثلات ضمنية، تكون غالبًا كامنة خلف استخدامات شبه أوتوماتيكية للتكنولوجيا.

إن التحليل الإثنوغرافي لتمثّل الإنترنت لدى الطلبة الجامعيين، يقودنا إلى أن مفردات العينة يرون في الإنترنت أكثر من مجرد أداة تقنية ، تُختزل غالبا في حاسوب متصل بالإنترنت، أو في امتلاك مهارات تقنية مثل تحميل الملفات، تصفّح الإنترنت، استخدام برنامج word ...إلخ. مفردات العينة لا يتعاملون مع الإنترنت بوصفها أداة محايدة، بل يمنحونها معاني ضمنية.

وعليه يظل التفسير قاصرًا وسطحيًا إذا أغفلنا الجوانب الرمزية والاجتماعية والثقافية للطالب/المستخدم. ولقد مرّ معنا في السابق عدة تصريحات لمفردات العينة تتضمن داخلها الإشارة إلى مفهوم التمثلات الاجتماعية عند استخدامهم للإنترنت، من قبيل:

- "*تساعدني الإنترنت في النجاح والتخرج بتقديرات جيدة*"؛

- *" لا استغني عن الإنترنت فهي نافذتي نحو العالم الآخر"؛*

-*" الإنترنت هي أداة مهمة في الاتصال مع باقي أصدقائي وزملائي"؛*

-*" شبكة الإنترنت عي فضاء كبير للتسلية والترفيه، مشاهدة الأفلام، متابعة مبايات كرة القدم"؛*

-*" أهتم كثيرا بمواضيع الهجرة والبحث عن الوظائف... أداة الإنترنت تساعدني في ذلك"؛*

- *" تعلمت بعض وصفات الطبخ ... خاصة الحلويات...كنت لا أجيد الطبخ بتاتاً"*.

يظهر جليا من خلال هاته التصريحات – وهي على سبيل المثال لا الحصر- البعد الرمزي وإضفاء المعنى على تكنلوجيا الإنترنت، فالحاسوب المتصل بالإنترنت ليس مجرد تكنلوجيا بل يُمثل أداة للنجاح الأكاديمي عند بعض مفردات العينة، خاصة طلبة الدكتوراه من الذكور والإناث، والذين يرون فيها وسيلة لا غناً عنها لما توفره من وقت وجهد وما تُتيحه من مصادر وموارد لها علاقة مباشرة بالإنجاز الأكاديمي، هذا ما تُمثله لهم الإنترنت على الأقل في الوقت الراهن (طور الدكتوراه).

بينما يرى مبحوثون آخرون أن الإنترنت أداة للتسلية والهروب من ضغوط الحياة، مثل منير (طالب ماستر، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية)، فمشاهدة مباريات كرة القدم المشفرة على قنوات الساتل بالنسبة له مُكلف مالياً، والإنترنت تكسر هذا التشفير من خلال صفحات ومواقع مهكرة تُتيح له المشاهدة بالمجان؛ ويرى كل من رشيد وغنية (طالبا ماستر) أن الإنترنت تساعد في البحث عن الوظائف وفرص العمل، بالعمل بالنسبة لهما قيمة اجتماعية يسعى لها كل إنسان طموح، زيادة على أنه نوع من تحقيق الذات والاستقلالية.

اما بالنسبة لفريدة (طالبة ماستر، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية)، فالإنترنت وفرت لها فرصة ان تتعلم بعض وصفات الطبخ، مما جعلها تشعر بالحظوة داخل أسرتها، وبأنها فرد فاعل يتم الاتكال عليه في أمر ما (صنع الحلويات مثلا)، فالإنترنت أعطت معناً وقيمة ذات بعد اجتماعي لفريدة كفرد داخل المجتمع؛ وترى ليندا (طالبة ليسانس، كلية علوم الاعلام والاتصال)، أن الإنترنت خلقت لها علاقات جديدة وأحيت علاقات قديمة؛ فعلا، فمواقع التواصل الاجتماعي عملت على تنمية شبكة العلاقات بين مستخدميه، سواء علاقة زمالة أو علاقة صداقة وتعارف، وجمعت بين علاقات كانت موجودة من قبل في

الواقع وتلاشت بحكم تغيير المنطقة الجغرافية أو مؤسسة الدراسة أو مكان العمل، هنا عملية التمثّل للإنترنت عند الطلبة لا تحدث فقط بشكل فردي، بل تتم في سياق جماعي، يتسم بتبادل المعارف والعلاقات في مجموعات التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك، مسنجر، أنستغرام.

سجّلنا من خلال التحليل وجود اختلافات في تمثّل أداة الإنترنت من قبل مفردات العينة، لعب التدرج العلمي لمفردات العينة وعامل الجنس دوراً في ذلك؛ فطلبة الدكتوراه، باختلاف جنسهم، يتمثلون الإنترنت كأداة لتحقيق النجاح والمكانة الاجتماعية، وأن يكونوا في المستقبل أستاذة في الجامعة، فهي أداة لتحقيق التفوق العلمي والأكاديمي بين الأقران، فهب من جهة تُتيح لهم الإنجاز والنشر، ومن جهة أخرى الاتصال؛ فتصورهم عن الإنترنت انها مصدر غني بالموارد والمصادر المعرفية التي تغنيهم عناء التنقل إلى المكتبات وطبع ونسخ الكتب والمراجع وثقل حملها؛ وهي في تصورهم أفضل أداة لنشر أعمالهم العلمية وجعلها مُتاحة على الشبكة، يُسهم هذا في تمكينهم من بناء مكانة اجتماعية داخل الطبقة الأكاديمية المحلية والعالمية؛ إضافة إلى ذلك، تقدم شبكة الإنترنت أفضل أدوات الاتصال الرسمية وغير الرسمية مثل: البريد الإلكتروني، مواقع التواصل الاجتماعي، التي تجعل طالب الدكتوراه دائم الاطلاع بمستجدات حياته الأكاديمية و اهتماماته التخصصية. في حين أن تصورات طلبة الماستر والليسانس في دراستنا، هي تصورات علائقية وترفيهية بالدرجة الأولى؛ يسعى طلبة الماستر والليسانس في المجمل إلى تكوين علاقات اجتماعية مرتبطة بفضاء الجامعة أو فضاءات أخرى محلية أو خارجية، فشبكة العلاقات هي أكثر شيء يسعى الطالب/المستخدم للإنترنت لتحقيقه، من خلال خلق فضاء اجتماعي على شبكات التواصل، المراسلة الفورية...إلخ، للحفاظ على الروابط العائلية والأصدقاء، كما يتعداها إلى بناء مجتمعات جديدة على الفيسبوك ، ويتجاوزها إلى حد التمرد على العلقات الاجتماعية التقليدية.

يتمثّل الطلبة الإنترنت كأداة اجتماعية وترفيهية ضرورية في حياتهم اليومية، إلى الجانب التعليمي لها. وينعكس هذا على أنماط الترفيه وممارساتها لديهم، فالإنترنت مصدر أساسي للترفيه اليومي مثل مشاهدة الأفلام، الاستماع إلى الموسيقى، الألعاب الإلكترونية، منصات الفيديو القصير مثل TikTok وYouTube، متابعة المؤثرين، وبالتالي تُعتبر الإنترنت وسيلة للهروب من ضغوط الدراسة والواقع، وملء أوقات الفراغ؛ وهذا ينسجم مع الأثر التواصلي والاثر الترفيهي اللذين سبق ان تناولناهما (أنظر

المبحث الثاني من الفصل الرابع). وهذا لا يمنع أن مفردات الدراسة متفقون في تصوراتهم على أن الإنترنت أفضل وسيلة للبحث عن المعلومات ذات السياق الأكاديمي والشخصي.

في نفس السياق، لاحظنا أن مفردات العينة من الإناث يمكثن لفترات أقصر في استخداماتهن للإنترنت، ويتوجّهن بشكل أكبر نحو التفاعلات الاجتماعية مثل الدردشة، والتصفح، أو التسوّق عبر الإنترنت ومعاينة المنتوجات ذات البعد الأنثوي، أو متابعة صفحات الطبخ، والاستماع إلى الموسيقى، ويرجع ذلك بالأساس إلى التنشئة الاجتماعية التي حظيت بها مفردات العينة من الجنس الأنثوي بدأ من الطفولة وصولاً إلى فترة الشباب، حيث تُدرج أدوات الاتصال، بما فيها الإنترنت، في الثقافة الأسرية، وتُسهِم في نقل وإعادة إنتاج الأدوار بين الجنسين، هذه الثقافة بدورها تتسرّب إلى ممارسات الاستخدام وتُسهم في التنشئة الاجتماعية لأفراد المجتمع، فالنوع الاجتماعي للمستخدم له تصوراته حول اداة الإنترنت.

تحليل البيانات والمعطيات لعينة الدراسة، يُبرز بوضوح اختلاف التصورات لأداة الإنترنت بين الذكور والإناث، هاته التصورات مرتبطة أساساً بالتنشئة الاجتماعية لكلا الجنسين، فداخل مجتمع يُكّرس الرقابة الاجتماعية والتراتبية الأبوية، وفيه الأسرة تخاف على سمعتها، نجد أن مفردات العينة من الإناث يستخدمن صوراً وأسماءً مستعارة في ملفاتهن الشخصية، ويظهر ذلك جليا على موقع فسيبوك، فعدد طالبات الماستر والليسانس هو ثماني (8) مفردات أي بنسبة 66.66% من الإناث، يستخدمن صوراً غير شخصية في البروفايل الخاص بكل مفردة، تضع كل من (غنية، فريدة، سعاد، فوزية، نسرين، ليندا، سهام، خديجة) صورا ذات تعبيرات مختلفة ، وهي على التوالي(آلة كمان، علم الجزائر، إلا رسول الله، باقة ورد، كتاب مفتوح، علم الجزائر، صورة المذيعة خديجة بن قنة، صورة الأب)، بالإضافة إلى أسماء مستعارة في شكل حروف أو اختصارات او رموز، وبعيدا عن التحليل السيميولوجي لهاته الصور والأسماء، فإن المجهولية هي وسيلة الطالبات لكسر قيود الرقابة الاجتماعية من أجل التعبير بحرية عن مشاعرهن إبداء آرائهن في مختلف القضايا، الاجتماعية والثقافية والسياسية.

وبالتالي انعكست مظاهر التنشئة الاجتماعية للإناث على تصوراتهن لاستخدامات الانترنت، حيث يُغرس في الأنثى مفهوم الأمومة وأنها في المستقبل مدبرة منزل، كما لا يُسمح لهن بالتعبير بكل حرية عن أفكارهن ومشاعرهن، أي هناك قمع لحرية التعبير مما ينجم عنه كبت يتم إفراغه في الاستماع إلى الموسيقى

والتعبير على صفحات التواصل الاجتماعي[1]. وبالتالي فاستخدامات الإنترنت مرتبطة بعملية التنشئة الاجتماعية، وعملية التوزيع غير المتكافئ للأعمال المنزلية ومتابعة الأطفال داخل الأسرة على حساب الأنثى، مما أدى إلى وجود هيمنة ذكورية تبرز في استخدامات الإنترنت، ويمكن أيضا تفسير هذا الأثر المرتبط بالنوع الاجتماعي في استخدام الإنترنت والأدوات التقنية عمومًا من خلال التمثّلات الجندرية التي يحملها مصمّمو هذه الأدوات، وهم في الغالب رجال، يعني بدأً من المصمم وصولاً إلى المستخدم، فالبصمة الذكورية واضحة في هاته الأدوات التقنية ومنها الإنترنت.

لكن على العكس من ذلك، فطالبات الدكتوراه، وعددهن أربعة (4) مفردات، يظهرن بصورهن وأسمائهن الحقيقية، وتفسير ذلك أن المكانة التي وصلت إليها طالبة الدكتوراه أنها أهل للثقة والاحترام داخل الأسرة والمجتمع، كما أن طور الدكتوراه يفرض عليها نمط معين في استخدام حسابها على منصة فيسبوك، وبالتالي فحساب طالبة الدكتوراه هو مكان للعلم وتبادل ونشر المعرفة، بل قد يكون حسابها مكمن فخر واعتزاز لعائلتها وأفراد أسرتها. فالتدرج العلمي من الليسانس وصولاً إلى الدكتوراه مروراً بالماستر، يُغير في التصورات والتمثلات لاستخدامات الإنترنت داخل الجنس الواحد. هنا ندرك أن متغيّر النوع الاجتماعي لا يُحيل إلى وضع ثابت للتصورات والتمثلات، بل هو بناء اجتماعي يشمل جوانب كثيرة من الحياة في المجتمع، وفي الوقت نفسه، يبقى التفاعل مع الأداة فرديًا وشخصيًا، أي أن كل طالب يستخدم الإنترنت وفق حاجاته وخبراته الخاصة. وهكذا، يسمح الخيال ومعايير المجتمع بتأسيس تصورات المستخدمين. أين يتأرجح الاستخدام بين الوظيفة الأداتية والوظيفة الرمزية.

2- الدعم الاجتماعي والجامعة كسياقات محفز لتملّك الإنترنت:

أ-الدعم الاجتماعي كمحفز لتملّك الإنترنت: اختلفت وجهات النظر في تعريف مفهوم الدعم الاجتماعي، إلا أنها ترتكز على أنماط وأشكال وأبعاد الدعم المقدمة للفرد من قبل من هم يرتبطون به بعلاقات اجتماعية، فالدعم الاجتماعي: هو الدعم المادي والعاطفي والمعلوماتي الذي يحصل عليه الفرد من قبل أفراد يرتبط بهم بشبكة من العلاقات الاجتماعية .مصادر الدعم الاجتماعي: وهم الأفراد الذين

[1] سارة بوعيفي. (2017/2016). *علاقة التصورات الاجتماعية باستخدامات المرأة للإنترنت*. أطروحة دكتوراه: جامعة الجزائر3 كلية الاعلام والاتصال. ص 289.

يقدمون للطالب الدعم الذي يمكن أن يحتاجه عند مواجهة الصعاب والعقبات اليومية في حياته، وهم في هذه الحالة الأسرة والمدرسين والمرشدين الأكاديميين والأصدقاء والأقارب[1].

في هذه الدراسة سوف نعتمد المفهوم السابق للدعم الاجتماعي، وقد أفرزت الملاحظة عن بعد والمقابلات أنه يتجسد في مؤشرين، الدعم المادي: ويتمثل في دفع اشتراكات الإنترنت من قبل أحد أفراد الأسرة، وغالبا ما يكون هو الأب. والدعم المعلوماتي: ويتضمن التحفيز على استخدام الانترنت، وتقديم النصح والإرشادات بخصوص الاستخدام بشكل عام.

تُظهر السمات الديموغرافية لمفردات العينة أن اثنان وعشرون (22) مفردة لا تدفع اشتراكات الإنترنت بنفسها، بل أحد أفراد العائلة هو الذي يقوم بذلك، بسبب عدم القدرة المالية للطالب/ المستخدم، حتى وإن كان له القدرة المالية، فالأسرة تنوب عليه كنوع من الدعم الأسري لاستخدام هاته التكنولوجيا. أي أن نسبة 91.66% من مفردات العينة يلقون دعما ماديا يُشجع على استخدام الإنترنت من قبل العائلة. وكذلك على اعتبار أن الطالب مازال في كفالة عائلته المادية وليس مستقلاً مالياً. وصرّحت مفردات العينة أن الأسرة حريصة على تسديد اشتراكات الإنترنت بشكل منتظم شهريا، حتى لا يبقى البيت من دون اتصال بالإنترنت.

في الجانب الآخر من الدعم المعلوماتي، تحرص الأسرة الجزائرية أن يكون لها اتصال دائم بشبكة الإنترنت، لقناعتها بأنها أداة لنجاح وتفوق أولادها في الدراسة، وهي أيضا أداة لتعلم بعض المهارات، بالأخص تعلم اللغات الأجنبية منها الفرنسية والإنجليزية، بالإضافة إلى سعي الأسرة نحو مكانة اجتماعية مقابل الأسر الأخرى، فلا يُتصور عائلة من دون شبكة إنترنت، فهذا الأمر ينقص من قيمة العائلة. في هذا الإطار صرّحت سعاد (طالبة ماستر، كلية العلوم التجارية والعلوم الاقتصادية): " *وجود شبكة الإنترنت أكثر من ضروري داخل عائلتنا... من خلالها يقوم اخوتي بتنزيل اختبارات وفروض الفصول المرتبطة بالأطوار التعليمية... كما أقوم أنا بإنجاز واجباتي وبحوثي الجامعية*" .

[1] فيصل إبراهيم المطالقة، و هاجر تركي نصار. (2015). مصادر الدعم الاجتماعي لدى طلبة كليات الشمال التابعة لجامعة البلقاء التطبيقية "دراسة اجتماعية ميدانية". *مجلة التربية*، ص 606.

إذا نلاحظ أن الدعم الاجتماعي له تأثير على استخدامات الطالب للإنترنت، إذا يُعتبر عاملًا نفسيًا واجتماعيًا مهمًا يؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر على سلوكيات الطلبة، بما في ذلك استخدامهم للإنترنت. فالعلاقة بين الدعم الاجتماعي واستخدام الإنترنت لدى الطلبة تتجسّد في الدعم المادي والدعم المعلوماتي، كما رأينا، وكل هذا يُعزز الاستخدام الإيجابي والمتنوع، فالطلبة الذين يحظون بدعم اجتماعي قوي من الأسرة أو الأصدقاء أو الزملاء يكونون أكثر قدرة على استغلال الإنترنت في البحث الأكاديمي، التواصل مع الأساتذة، تبادل المعلومات مع الزملاء، الالتحاق بدورات تدريبية ...إلخ. فالدعم الاجتماعي لا يؤثر على استخدام الإنترنت بطريقة آلية أو موحدة، بل تختلف آثاره حسب طبيعة الدعم، واحتياجات الفرد. وهذا ما يفسر التنوع في استخدامات الطلبة وممارساتهم للإنترنت.

ب-السياق الجامعي كسياق محفّز على استخدام الإنترنت من طرف الطلبة: يلعب السياق الجامعي دوراً محفزًا رئيسيًا لاستخدام الإنترنت من طرف الطلبة، إذ تجتمع مجموعة من العوامل التقنية والأكاديمية، التي تهدف إلى استغلال شبكة الإنترنت بطريقة هادفة تنعكس آثارها على الطالب/المستخدم. تبين لنا من خلال الملاحظة عبر الخط والمقابلة المعمقة كيف يستخدم مفردات العينة الانترنت في البحث عن المعلومة ذات السياق الأكاديمي العلمي (أنظر الأثر المعرفي واهم استراتيجيات البحث عن المعلومة)، فسياق الجامعة يفرض على الطالب البحث المستمر عن المعلومات من خلال قواعد البيانات الرقمية، والمجلات العلمية الإلكترونية، والمكتبات الافتراضية، إعداد البحوث، الاعتماد على منصات التعليم الإلكتروني مثل Moodle مع تنامي ظاهرة التعلُم عن بُعد. كل ذلك يتطلب استخدام الإنترنت وتطبيقاتها لإنجاز هذه الأعمال. رغم أن فضاء جامعة الجزائر3 ، ومن خلال بنية الكليات المشكلة لها لا تُوفر شبكات للاتصال بالإنترنت، أو وجود قاعات للإعلام الآلي تسهّل الوصول المجاني والسريع للإنترنت، فغياب الدعم المؤسساتي لجامعة الجزائر3 واضح، سواء تقنياً أو حتى تكوينياً والمتمثل في المرافقة من طرف المختصين، تبقى التجارب الشخصية للطلبة هي العامل الحاسم في الاتقان والتحكم المعرفي في استخدام الإنترنت. على أمل أن يتغير الوضع في قادم السنوات.

كما لا يقتصر السياق الجامعي لاستخدامات الإنترنت من قبل مفردات العينة على ما هو أكاديمي، بل يتعداه إلى يتعداه إلى الجانب العلائقي والتشاركي (أنظر الأثر التواصلي)، مثل التواصل مع الزملاء لتبادل المعلومات، المشاركة في المجموعات الجامعية على مواقع التواصل، وتعزيز الشعور بالانتماء إلى

فضاء الجامعة من خلال التفاعل. فالسياق الجامعي لا يُمثل فقط بيئة مساعدة على استخدام الإنترنت، بل هو سياق محفّز ومُشكِّل لكيفيات هذا الاستخدام. إذ تتضافر فيه أبعاد معرفية، تقنية، اجتماعية، تجعل من الإنترنت أداة أساسية في حياة الطالب الجامعي، سواء في تحصيله العلمي أو في تفاعلاته الاجتماعية، فالانتماء إلى فئات اجتماعية مُحددة، ويتمثل في انتماء المستخدم إلى فئة الطلبة الجامعيين، والتنقل داخل بيئات مُحددة، وارتياد مساحات اجتماعية مُحددة، يُعزز تملك الطالب/المستخدم لأداة الإنترنت.

ختاما لهذا المطلب، فإن الحديث عن التمّلك هو الخروج من الإطار التقني الفردي للوصول إلى مستوى المجتمع، حيث تتم عملية التملك في سياقات اجتماعية محددة، تجد خصائصها في أقسامها المختلفة. وبذلك، فإن الظواهر التي تتطور فيها مثل تملك الإنترنت، تحمل بصمات هاته السياقات، وعليه إن ظاهرة استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وخاصة الإنترنت، لا تهرب من هذا المنطق.

المطلب الثاني: مظاهر الطقوس والروتين في استخدام الإنترنت من قبل الطلبة

بالرغم من أن الطقوس غالبًا ما تُفهم على أنها أنشطة خاصة مرتبطة قدسيًا بالتقاليد والدين، إلا أن هذه الطقوس تُشير إلى ظاهرة أوسع بكثير من ذلك. ففي الواقع، ننخرط في العديد من الطقوس كل يوم، تشمل المحادثات، وتناول وجبات العشاء معًا، ومشاهدة الحفلات الموسيقية أو مباريات كرة القدم، ولعب الألعاب، والتسوق – جميع أنواع الأنشطة التي تقوم بها مجموعات من الناس معًا، غالبًا بطريقة اعتيادية، فقد "يلعب" المشاركون "أدوارًا" ويتبعون قواعد، مما ينتج عنه ظهور طقوس عرضية ثابتة نسبيًا[1]. وفي الإنترنت تتجسّد الطقوس بشكل واضح حيث يُتيح هذا الفضاء السيبيري حرية أكثر وتحللا من قيود وطقوس الحياة الاجتماعية الطبيعية المحلية للأفراد، وحيث أن الإبحار كوني بصورة رقمية تتجاوز المحدود والمقنن والمقيد، ولا يوجد إلا القيد التكنولوجي والطقوس والقواعد الافتراضية التي تنشأ بين أفراد المجتمع، الذين يلتقون رقميا بقواعد أكثر تحررا وطقوس جديدة ينشئونها لأنفسهم تناسب طبيعة مجتمعهم الجديد بحدوده وأهدافه الرقمية[2].

[1]Boström, M. (2021). *Social Relations and Everyday Consumption Rituals: Barriers or Prerequisites for Sustainability Transformation?* Récupéré sur Frontiers: https://www.frontiersin.org/journals/sociology/articles/10.3389/fsoc.2021.723464/full

[2] محمد رحومة. مرجع سبق ذكره. ص 132.

إن التحليل الإثنوغرافي لمفردات العينة مكننا من رصد بعض مظاهر الروتين في استخدام الانترنت من قبل المبحوثين، هذا الروتين اليومي مع مرور الوقت أصبح كنوع من الطقوس المتجذرة في الحياة اليومية للطالب. لكن يجب أن نُذكر بحدود دراستنا، والتي تقتصر على جهاز الحاسوب المكتبي أو المحمول والمتصل بالإنترنت، فمظاهر الروتين التي تم رصدها لا تشمل جهاز الهاتف النقاّل والذي ربما يُعد أكثر استخدماً من طرف مفردات العينة. ومن بين هاته المظاهر، سجلنا:

-استخدام الحاسوب روتين مسائي:

تُحيلنا الملاحظة إلى أن جميع مفردات العينة تستخدم جهاز الحاسوب الخاص بها في الفترة المسائية، وهذا مرتبط بعودة الطالب إلى المنزل، هذا من جهة ولوجود البديل من جهة أخرى والذي يتمثل في الهاتف النقال، فالطالب/ المستخدم عند المساء يركن إلى جهاز الحاسوب، من أجل إنجاز واجباته البيداغوجية، والترفيهية، فشاشة الحاسوب تُوفر متعة الاستخدام والترفيه إذا ما قُورنت بشاشة الهاتف النقال التي تُعتبر أصغر حجماً، فحجم الشاشة يُلائم بعض الاستخدامات مثل مشاهد الأفلام والمسلسلات ومباريات كرة القدم. وإذا استثنينا أيام العطل والراحة، فإن الحاسوب المتصل بالإنترنت هو أداة يكثر استخدامها في المساء والليل، هذه الفترة بالنسبة للطالب تجمع بين العمل الأكاديمي مثل: إنجاز الواجبات البيداغوجية، والراحة والاسترخاء وبالتالي الاستمتاع والترفيه. يقول عثمان (طالب ماستر، معهد التربية البدنية والرياضية): "*... أغلب استخداماتي للحاسوب تكون في المساء والليل وقلما استخدمه في الفترة الصباحية...*"، يُضيف عمر (طالب ليسانس، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية): "*الإنترنت تُوفر صفحات مقرصنة تبث المباريات مباشرة... لا أستطيع المشاهدة ولا الاستمتاع بها على شاشة الجوال*"، تُؤكد ريمة (طالبة دكتوراه، كلية علوم الاعلام والاتصال): "*بعد يوم شاق في الجامعة... أجد متعتي في جهاز الحاسوب في متابعة المسلسلات الجديدة الاستماع إلى الموسيقى ... بعد أن أنجز واجباتي البيداغوجية*".

– تشغيل الحاسوب وفتح المتصفح:

أهم طقس تم رصده من خلال الملاحظة عن بعد، أن مفردات العينة، بعد تشغيل الحاسوب تقوم مباشرة بفتح متصفح جوجل كروم google chrome، قبل بدأ أي نشاط آخر على جهاز الحاسوب، كتشغيل تطبيق Word، مُسجلين بذلك نسبة 98% من ممارسات مفردات العينة تتمثل في تشغيل جهاز الحاسوب ثم النقر على أيقونة المتصفح كروم مباشرة، حيث يُعد هذا الأخير بمثابة بوابة للطالب/المستخدم للولوج إلى شبكة الإنترنت من خلال تحويل محتوى الإنترنت إلى واجهة مرئية تفاعلية، وعليه يمكن اعتبار هذه الممارسة البسيطة (تشغيل الحاسوب – فتح متصفح كروم) طقسًا رقميا، إن جاز لنا القول، يمكّن الطالب من الدخول في نوع من الاستغراق الذاتي يُعلن من خلاله الطالب بداية فترة الدراسة أو الترفيه على الإنترنت. إذن، لا يقتصر تشغيل الحاسوب وفتح المتصفح على أنه ممارسة تقنية محضة، بل هو عبارة عن استخدام ذو معنًا يخلق فيه الطالب/المستخدم نظاما يُعيد من خلاله ترتيب أولوياته البيداغوجية والحياتية.

– روتين تفقد البريد الإلكتروني:

رأينا في الأثر التواصلي أهمية البريد الإلكتروني لطلبة الدكتوراه والطلبة المقبلين على التخرج (ماستر، ليسانس) الذين يتعاملون مع المشرف بأداة البريد الإلكتروني. حيث يقوم مفردات العينة من طلبة الدكتوراه التحقق من رسائل البريد الإلكتروني، وهي مهمة تستغرق بضع دقائق يوميًا. ولاحظنا أن هذه العملية تتم على فترات زمنية في اليوم، صباحا أو مساءًا، وفي فضاءات مختلفة، خاصة بين المنزل والجامعة، يقول خالد: (طالب دكتوراه، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية): " *أتفقد بريدي الإلكتروني بشكل آلي يوميا... لا يمر علي يوم إلا وأقوم بهذا الروتين*" ، وترتبط هذه الطريقة في استخدام البريد الإلكتروني عادة باستخدام حاسوب محمول لأن له القدرة على إرفاق ملفات بالرسائل البريدية، هذه الملفات موجودة عادة على جهاز الحاسوب، فالطالب/المستخدم يرى أن البريد الإلكتروني أداة مساعدة في تنفيذ مهام العمل البيداغوجية، وليس فقط أداة للتواصل، وبالتالي فهو يحتل مكانة أكثر أهمية في سير النشاط اليومي للطالب. نستنتج أن طلبة الدكتوراه قد اكتسبوا رويتناً جديدًا من الممارسات في استخدام الإنترنت فرضته طبيعة طور التكوين الذي ينتمون إليه.

– تنزيل الملفات الأكاديمية وتصفحها:

تشكل الإنترنت مصدرا قويًا للمعرفة، وأحد أهم دعامات هاته المعرفة هي الملفات الإلكترونية، والتي يحتاجها الطالب في دراسته الجامعية. فقد رصدنا عبر تقنية الملاحظة عن بعد أن مفردات العينة يقومون بتنزيل ملفات بصيغة PDF من مختلف المنصات، خاصة منصة مودل بالنسبة لطلبة الماستر والليسانس لأنها تتعلق بالمقررات الدراسية الخاصة بهم، اما بالنسبة لطبلة الدكتوراه فتتنوع منصات التنزيل مثل sndl، asjp والمكتبات والمجلات ذات المصدر المفتوح. كما لاحظنا أن هذا التنزيل يتبعه عملية تصفح لهاته الملفات، وتزداد شدة هاته الممارسات (التنزيل والتصفح) قبل وأثناء الامتحانات السداسية لطلية الليسانس والماستر، لأنها فترة مرتبطة بمراجعة الدروس والنجاح، في حين أن طلبة الدكتوراه وعددهم ثمانية (8) مفردات ومفردتين ماستر 2 يقومون بتنزيل وتصفح الملفات بشكل يومي –خلال فترة إجراء هاته الدراسة– لأن الأمر يتعلق بالنسبة لهم بإنجاز أطروحة التخرج والتي تقتضي هذا الروتين من أجل تحقيق هدف التخرج الجامعي. هذا السلوك في بعده التقني يحمل في طياته صبغة معرفية ورمزية، وبالتالي يدخل ضمن الطقوس اليومية المرتبطة بممارسات الطالب الأكاديمية، ويتجلى ذلك في تنزيل الملفات التي يُريدها ومتى وبأي أولوية، فالطالب/ المستخدم يلجأ إلى هذا التكتيك رغبة منه في التحكم بالمحتوى ونقله من الفضاء العام إلى الفضاء الخاص، وهو جهاز الكومبيوتر.

– روتين تفقد الإشعارات على منصة moodle ومنصة يوتيوب:

هناك العديد من التطبيقات على متصفح الإنترنت تستخدم خاصية الإشعارات، لكن انصب اهتمامنا على موقعين أو تطبيقين، من جهة لا يمكن حصر جميع التطبيقات على الإنترنت التي تستخدمها مفردات العينة وتحليلها، ومن جهة أخرى اخترنا موقعين يمتازان بهاته الخاصية (خاصية الاشعارات) هما موقع moodle وموقع youtube، فالأول هو موقع أكاديمي بامتياز مرتبط بالدراسة والثاني ثقافي ترفيهي وأحيانا تعليمي أكاديمي، فحدود ملاحظة الروتين اليومي تقتصر على هذين التطبيقين.

يتفقد مفردات العينة من طلبة الماستر والليسانس الاشعارات على منصة moodle، بشكل يومي أو شبه يومي في المساء، حيث يقول نورالدين (طالب ليسانس، كلية العلوم التجارية والعلوم الاقتصادية): "*كل مساء أتفقد حسابي على منصة مودل ... وأنقر على أيقونة الاشعارات لرأى إن كان*

هناك جديد"، تشكل هذه الممارسة الروتينية وسيلة للطلبة لتنظيم واجباتهم ومعرفة جديد الدروس على هاته المنصة. كما تُحيلنا فوزية (طالبة ماستر ، معهد التربية البدنية والرياضية) إلى جانب آخر: "*كل مساء، أول شيء أفعله بعد تشغيل الحاسوب هو وفتح المتصفح كروم. أتحقق إذا ما تمت إضافة واجب جديد أو نشر إعلان من قبل الأساتذة... أصبحت لا أشعر بالاطمئنان إلا بعد أن أتفقد إشعارات حسابي*"، هنا يظهر الجانب النفسي للمستخدم فتفقد الإشعارات يمنح الطالب/المستخدم الاحساس بالتحكم بالمواعيد، كما ان هذا الروتين يسمح للطالب بتخفيف القلق النفسي، فتراكم الاشعارات يعطي الإحساس بالخوف والتوتر، فيُحاول الطالب ألا يقع في هذا الضغط النفسي من خلال تفقد الاشعارات بشكل شبه اليومي.

لا تختلف منصة اليوتيوب كثيرا على منصة مودل في روتين تفقد الاشعارات، رغم اختلاف محتوى المنصتين فالأول محتو أكاديمي والثانية تميل أكثر إلى الجانب الترفيهي التثقيفي، حيث تعتمد منصة اليوتيوب على خاصية الاشعارات التي تنبه المستخدم إلى وجود فيديوهات جديدة للقناة التي يتابعها المستخدم من خلال تفعيل خاصية التنبيهات. تُخبرنا الملاحظة عن بعد أن جميع مفردات العينة (دكتوراه، ماستر، ليسانس) من الجنسين، يقومون بتفقد اشعارات اليوتيوب في حاسباتهم الشخصية، كروتين يومي، خاصة في فترة المساء، فالنقر على جرس التنبيهات يكون بشكل آلي وأحيانا دون شعور، أي أنها ممارسة أوتوماتيكية، هذا ما صّرح به عبدو (طالب دكتوراه، كلية العلوم التجارية والعلوم الاقتصادية): "*أنقر بشكل عفوي على جرس الاشعارات... لأرى الفيديوهات الجديدة التي نزلت على القنوات التي لدي فيها اشتراك*"، كما لاحظنا أن الاشتراك في القنوات يتنوع بين قنوات تعليمية تمنح الطالب دافعًا للاستمرار في التعلم خارج السياق الرسمي للجامعة، وأخرى ترفيهية، يتحول فيها تفقد الإشعارات إلى وسيلة للهروب من ضغط الدراسة عبر مشاهدة المحتوى الترفيهي، فإذا كان هناك اختلاف في استخدام المحتوى بين مفردات العينة بسبب الجنس او التدرج العلمي (انظر المبحث الثاني من الفصل الأول)، فإننا لم نسجل أي فروقات روتينية بين الجنسين في تفقد الاشعارات على هاته المنصة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا توجد اختلافات في هاته الممارسة سببه الاختلاف في التدرج العلمي والاكاديمي بين مفردات العينة.واضح جدا الممارسات الطقوسية في استخدامات الطلبة على منصة اليوتيوب والتي تتجسد بشكل جلي في النقر على أيقونة الاشعارات بشكل روتيني وآلي.

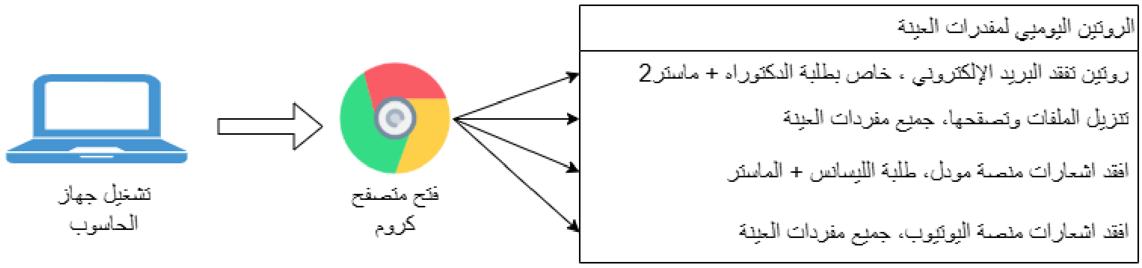

الشكل رقم (17) : يوضح الجانب الطقوسي في استخدام الانترنت من قبل الطلبة

أخيراً، إن الفضاء الواسع لشبكة الإنترنت، يُجبر الطلبة على تكوين نوع من الخصوصية في هذا العالم الشاسع من خلال إدراج ممارسات من الروتين على استخداماتهم اليومية ذهابًا وإيابًا على نفس المواقع والحفاظ على نفس الممارسات كنوع من الطقوس طورها الطالب/ المستخدم تتمثل في تكرار الخطوات التقنية (أنظر الشكل أعلاه)، التي تساعده في تقليل الجهود واختصار الوقت خلق نوع من الألفة مع منظومة الإنترنت.

وخلاصة هذا المبحث أن تملك الإنترنت من قبل الطلبة الجمعيين يتم في سياق سوسيو-ثقافي واقتصادي لا يمكن تجاهله، إذ لا يكفي توفر شرو ط التملك من ولوج تقني وتحكم معرفي من قبل الطلبة بالأداة ودمجها في حياتهم اليومية، وما ينجر عنه من ابتكارات وترميقات لهذه الاستخدامات، فلابد من دراسة صيرورة التملك داخل سياق، فكما مرّ معنا ان الإنترنت أداة غير محايدة، فالتنشئة الاجتماعية والدعم العائلي، إضافة إلى السياق الجامعي، كلها عوامل تتدخل في تشكيل ممارسات واستخدامات الطلبة للإنترنت ، كما لاحظنا أن النوع الاجتماعي يلقي بظلاله على تملك الإنترنت من قبل الطلبة، صحيح أن مراحل التملك والسياقات تتشابه لدى مفردات العينة لكن بناء المعنى عند كل جنس يختلف عن الجنس الآخر، ونفس الشيء لاحظناه بالنسبة للطور العلمي (دكتوراه، ماستر، ليسانس)و الذي يلعب دوراً في عملية التملك لدى مفردات العينة. ما يمكن قوله ان هناك تملك لأداة الإنترنت من قبل مفردات العينة، لكن كل مفردة تعطي معناً خاصاً بها في الاستخدام.

نتائـــــج الـــــدراسة

نتائج الدراسة

– قد يؤدي صغر حجم عينتنا إلى تحيز النتائج وهو النقد الموجه للدراسات الكيفية التي تعتمد على صغر العينة، في الواقع، لا يمكن لعينة مكونة من 24 مفردة أن تكون ممثلة لمجتمع البحث (الطلبة الجامعيين)، ومع ذلك، تظهر البيانات والمعلومات الملتقطة عن العينة قوة وإمكانات المنهج الإثنوغرافي للإجابة على الممارسات الرقمية للطلبة الجامعيين عند استخدامهم للكمبيوتر والإنترنت في بيئة عملهم، سواء الحياة الجامعية أو الحياة اليومية.

– على الرغم من الاختلاف من حيث استخدام الكمبيوتر والإنترنت بين مفردات الدراسة، يمكننا التأكيد على المهارات التقنية التي يمكن أن تكون أحد اهم العناصر التي تميز الطلبة في استخدامهم للإنترنت في البحث الوثائقي، البحث عن المعلومات والاستشارات المختلفة. المهارات التقنية تتطلب حيازة ضرورية Acquisition nécessaire لاستغلال المعلومات في عصر الإنترنت، في حين أن الأدوات التقنية الأخرى، مثل البرامج المكتبية، يتقنها معظم الطلاب وتستخدم بشكل متكرر.

– هناك فروقات بين الطلبة في استخدام الكمبيوتر والإنترنت بناءً على الزمن في الحياة الجامعية تتمثل في تغيير سلوك الطلاب وفقًا للضغط الزمني (الامتحانات، العطل)، بعبارة أخرى، فإن استخدامات الطلاب للكمبيوتر والإنترنت جزء من العقل الأداتي، حيث يتصرف الطلاب بعقلانية لتحقيق أهدافهم، والمتمثلة أساساً في اجتياز الامتحانات بنجاح، حيث يلجأ الطلاب إلى جوانب مختلفة من بيئة عملهم، من بينها الأدوات الرقمية ، والتنظيم المكاني والزماني لأنشطتهم البيداغوجية، يمكننا رصد هذه التغييرات في السلوك من خلال بيانات الدراسة، والمعبر عنها بالنسب لكل نشاط من استخدامات الكمبيوتر والإنترنت.

–الطلبة المستخدمون للإنترنت لهم استخدامات فردية لوظائفها المختلفة، فالبعض يتردد بشكل مكثّف على مواقع معينة، لكن لا يوجد تطابق في الاستخدام لمفردات العينة، حيث يقوم الطلاب باستخدام خبراتهم في تملك الأدوات التي تقدمها منظومة الإنترنت في حياتهم اليومية والجامعية. فالتجارب الشخصية والزمن كفيل بالاستحواذ على مهارات الاستخدام، كما أن استراتيجيات التحكم الأفضل والتقييم المتعمق التي تظهر في بحثهم عن معلومات الحياة اليومية ترجع أساسًا إلى توافر المعلومات عبر

الإنترنت، والمستوى العالي من تحفيز الطلاب، والخبرة ذات الصلة. بدأً من الاستفسارات اليومية في موضوعات أكثر شيوعًا، وباستخدام أدوات أبسط، مثل .Google ومع ذلك، يتضمن البحث عن المعلومات ذات السياق الأكاديمي استخدام أدوات أكثر تعقيدًا،

– أبانت هاته الدراسة عن وجود أثر رقمي لاستخدامات الطلبة للإنترنت، ويتجسد في الأثر المعرفي، التواصلي، الثقافي والترفيهي، وأهم الاستراتيجيات التي يستخدمها الطلبة في التحكم التقني والارتباك في البحث عن المعلومة ذات الطابع العلمي الأكاديمي خاصة عند طلبة الدكتوراه مقارنة بطلبة الليسانس والماستر ، إضافة إلى استراتيجية تقييم المعلومات المتحصل عليها، ففي الوقت الذي يكتفي فيه طلبة الماستر والليسانس بنتائج البحث الأولى التي تبرز في محرك البحث، فإن طلبة الدكتوراه لا يكتفون بذلك وتعتبر نتائج البحث الأولى كمقدمة أو بدابة للتعمق في البحث، وذلك بسبب أن الطور العلمي يلعب دورا في استراتيجيات البحث عن المعلومات ذات السياق العلمي والأكاديمي وتقييمها.

– تُظهر الدراسة بشكل واضح الجوانب الاجتماعية والرمزية والثقافية، من بين أمور أخرى، والتي تلعب دورًا في منظور استخدامات الطالب للإنترنت. إذ تكشف عن وجود فجوة بين الاستخدامات الفعلية وتوقعات مروجي تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ولا سيما الجهات المؤسسية الفاعلة. لا ترتبط هذه الفجوات بالممارسات الخاصة بالمستخدمين فحسب، بل ترتبط أيضًا بالتصورات التي لديهم عن الإنترنت. أي الطريقة الخاصة التي يربط بها كل طالب/مستخدم هذه الأدوات بنفسه. وتتعلق هذه الظاهرة بعملية معقدة تتجسد في الوساطات بين الأداة التقنية والفاعل الاجتماعي. وهي تنطوي على طبيعة الشيء التقني (الإنترنت) ووظائفه وخصائصه، والتي تتقاطع مع خصوصية الطالب/ المستخدم التي تتمثل في فالوضع الاجتماعي وعالمه الرمزي وعاداته. فاستخدام الإنترنت هو عملية تنسيق بين صورة رمزية يربطها الطلبة/ المستخدمون بالأداة التقنية ويحاولون تجسيدها من خلال إضفاء البعد الرمزي الذي يُعد عنصرًا أساسيًا في بنية التملك الاجتماعي.

–نتيجة أخرى من هذه الدراسة هي أنه يوجد تأثير للتفاعل بين سياق البحث والجنس على استراتيجيات البحث عبر الإنترنت لدى الطلاب. بناءً على النتائج المذكورة أعلاه، عندما تم فحص استراتيجيات البحث بين السياقات (السياق الأكاديمي والسياق اليومي الشخصي) حسب الجنس، تم العثور على فرق كبير في استراتيجيات المجال المعرفي بين الطالبات، وجاء هذا الاختلاف بشكل أساسي من

استراتيجيات التقييم الخاصة بهن. وأشار هذا إلى أن الطالبات الجامعيات قد يتأثرن بالسياقات بشكل أسرع من الطلاب الذكور عندما يبحثن ويقيّمن المعلومات عبر الإنترنت.

-كشفت الدراسة عن اهم السياقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي لها تأثير على تملك الإنترنت من قبل الطلة الجامعيين، وركزنا في هذه الدراسة على الدعم العائلي للطالب/ المستخدم في جانبه المادي من خلال توفير جهاز الحاسوب ودفع اشتراكات الاتصال بالإنترنت، وفي جانبه المعنوي، أن العائلة الجزائرية تشجع أفرادها على استخدام الإنترنت لارتباط هاته الأداة بتصورات النجاح والمكانة الاجتماعية داخل المجتمع. كما لعب السياق الجامعي محفز كبيرا في استخدام الإنترنت وتملكها من قبل الطلبة، الذين يسعون إلى مواكبة تطوراتها التقنية لما تُشكله في مخيالهم كأداة للإنجاز والنجاح وتحقيق الذات بين الأقران وداخل المجتمع.

-من مظاهر تملك الإنترنت من قبل الطلبة الجامعيين هو بروز الجانب الطقوسي في استخدامات الإنترنت، وبعيدا عن فكرة الإدمان في استخدام الإنترنت التي لا تعنينا في دارستنا، فإن الطالب/المستخدم يقوم بممارسة طقوس يومية تتعلق بالاستخدام، تبدأ هاته الطقوس بتشغيل جهاز الحاسوب وصولا إلى استهلاك المحتوى الرقمي مرورا بالتصفح عبر جوجل كروم، يتجاوز فيها الطالب البعد التقني الصرف، آخذاً في الاعتبار السياقات الاجتماعية، الثقافية، والاقتصادية، فهذا الجانب من الروتين ليس فعل ميكانيكي بحت بل له رمزية معنوية تقترب من الطقوس، التي يشعر من خلالها الطالب بالانتماء الاجتماعي لجمهور الطلبة، كنوع من الطائفة التي تتميز عن باقي أفراد المجتمع بأهدافها وطموحاتها وتصوراتها عن الحياة.

- توصلنا إلى نتيجة مفادها وجود تقاطع بين تكنولوجيا الإنترانت بصفتها منتجًا تقنياً، والبناء الاجتماعي للجندر .وبالتالي هناك اختلاف في أنماط التملك للإنترنت والتي تلعب فيها التنشئة الاجتماعية دورا هاما في عملية تشكّل الهوية الجندرية .وكما أن الجندر هو بناء اجتماعي، فكذلك فإن استخدام الإنترنت يتطلّب مهارات ذهنية ومعرفية للتعامل مع الأداة التقنية تختلف من جنس إلى آخر، فالذكور من الطلبة أكثر قدرة على التحكم التقني والمعرفي للإنترنت مقارنة بالإناث، إذ مرات يسعين للاستعانة بأحد أرفاد العائلة او الأصدقاء للتغلب على المشاكل التقنية، لكن هذا لا يحول دون التملك الاجتماعي للإنترنت من قبل الإناث لوجود حد أدنى من المعرفة التقنية بالإنترنت. وبالتالي هناك تملك اجتماعي للأنترنت من قبل الطلبة ذكورا وإناثاً.

الخـــــاتمة

حاول الباحث في هذه الدراسة ملامسة استخدامات الطلبة الجزائريين للإنترنت من مقترب التملك الاجتماعي. رغم حدود الدراسة نتيجة غياب البنية التحتية اللازمة لتكنولوجيات الاعلام والاتصال ومنها الإنترنت في الفضاء الجامعي والفضاء المنزلي، بسبب الفجوة الرقمية دوليًا ومحليًا، حيث يتفاوت وجود تكنولوجيات الإعلان والاتصال الحديثة من منطقة إلى أخرى، إلا أن الباحث لاحظ وجود حد أدنى من الاستخدام لتكنولوجيات الإنترنت، هذا الحد الأدنى كان إطاراً كافياً ومناسباً للدراسة.

فعمد الباحث للاستعانة بالمنهج الإثنوغرافي لوصف وتحليل المعطيات والبيانات الملتقطة من المبحوثين وسلوكياتهم عند استخدام الإنترنت، وخلص الباحث إلى نتيجة مفادها أن هناك تملك اجتماعي للإنترنت من قبل طلبة جامعة الجزائر3 ، حيث تجسد هذا التماك في جملة من الشروط والإجراءات التي يفرضها هذا المقترب الاجتماعي للاستخدامات، واتضح أن طلبة جامعة الجزائر3 لهم القدرة والمعرفة في التحكم في تقنيات الإنترنت، أي وجود حد أدنى لهذه المعرفة والتمكن المعرفي كشرط أولي ولازم للمرور إلى دمج وتبني الإنترنت في حياتهم اليومية والأكاديمية، وهذا ما تلمسه الباحث حيث وجد أن كلبة جامعة الجزائر3 يقومون بدمج وتبني هذه التكنولوجيات في السياق الجامعي السياق الاجتماعي، بل تجاوز ذلك إلى ملاحظة ورصد نوع من الانحراف في الاستخدام (ليس بمعناه الأخلاقي) والترميق الذي يُعد حسب هذه المقاربة كنوع من الابتكار وإعادة الابتكار لاستخدامات الإنترنت بعيدا عن القصد الأولي من تصميمها. إن تحقق هذه الشروط والإجراءات تقودنا وجود صيرورة للتملك الاجتماعي للإنترنت من قبل طلبة جامعة الجزائر3.

لكن هذه الصيرورة ليست بمعزل عن السياقات الاجتماعية والثقافية. وقد قام الباحث بحصر بعض هذه السياقات التي تتمثل في التنشئة الاجتماعية للطالب وكيف ان هذه التنشئة الاجتماعية تحدد نوع بناء الاستخدامات تبعا للنوع الاجتماعي (الجنس). كما للأسرة دعماً مادياً ومعنوياً في استخدامات الإنترنت، هذا بالإضافة إلى وجود السياق الجامعي الذي يعتبر في حد ذاته محفز قوي على استخدام الإنترنت من قبل الطلبة.

تجسدت أيضا هاته الممارسات (استخدام الإنترنت) في شكل طقوس وروتين يومي، حيث يقوم الطالب الجامعي باستخدام الإنترنت كنوع من الطقوس والروتين اليومي الذي لا يستغني عنه في حياته اليومية، الدراسية أو الشخصية.

ختاماً، يشير الباحث إلى أن هذه الدراسة ونتائجها محدودة، أولا لاعتمادها على المنهج الكيفي من جهة ولمحددات السياقات التي جرت فيها هذه الدراسة. لكن رغم ذلك أراد الباحث أن يتفحص استخدامات الإنترنت من قبل الطلبة بعيداً عن فكرة الإدمان الرقمي وتلبية الحاجيات والإشباعات، والتركيز على التفاعلات وبناء المعاني لهاته الاستخدامات وأن المستخدم للإنترنت هو أيضا فاعل رغم انه مستهلك لهاته التقنية.

المراجع باللغة العربية

أرمان ماتلار، و ميشال ماتلار. (2005). تاريخ نظريات الاتصال (المجلد 1). (نصرالدين لعياضي، و الصادق رابح، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

الاتحاد الدولي للاتصالات. (2023). تقرير قياس مجتمع المعلومات. ITU.

الصادق الحمامي. (2005). المساءلة النظرية لمفهوم مجتمع المعلومات. (إتحاد إذاعات الدول العربية، المحرر) مجلة الإذاعات العربية(3)، الصفحات 9-19.

الصادق الحمامي. (2012). الميديا الجديدة: الإبستيمولوجيا والإشكاليات والسياقات. منوبة: المنشورات الجامعية بمنوبة.

إلهام بوثلجي. (26 05, 2018). 2 مليون طالب بالجامعات الجزائرية في 2019. الشروق. تاريخ الاسترداد 13 12, 2020، من https://www.echoroukonline.com/2-2019-مليون-طالب-بالجامعات-الجزائرية-في

أميرة منصور. (ديسمبر, 2016). المقابلة: رؤية منهجية في بحوث تعليماللغة العربية. مجلة الأثر(27)، الصفحات 213-228.

بن عمروش, ف .(2015) .استخدامات الانترنت في البحث العلمي الجامعي .الجزائر: كلية علوم الإعلام و الاتصال جامعة الجزائر 3.

بوخنوفة, ع .(2007) .المدرسة، التلميذ والمعلم، وتكنولوجيات الاعلام والاتصال .الجزائر: أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم الاعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والاعلام.

بوكروح, م .(2011) .التلقي في الثقافة والإعلام .(Vol. 1)الجزائر: مقامات للنشر والتوزيع.

بيرنار ميج. (2011). الفكر الاتصالي. (أحمد القصوار، المترجمون) الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

ثريا أحمد البدوي. (2015). المعالجة التنظيرية والمنهجية لمشاركة المستخدم في المجال العام الرقمي. القاهرة: كلية الاعلام، جامعة القاهرة.

ثريا السنوسي. (2016). كنولوجيات الإتصال ومسألة الإستعمالات. أبوظبي: دار الكتاب الجامعي.

حسيبة لولي. (جوان, 2017). الثقافة الرقمية في وسط الشباب. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية(29)، الصفحات 61-27.

دخول جامعي 2021-2022. (10 أكتوبر, 2021). تاريخ الاسترداد 28 02, 2022، من وكالة الأنباء الجزائرية: https://shorturl.at/LgG2E

سارة بوعيفي. (2017). علاقة التصو ارت الاجتماعية باستخدامات المرأة للإنترنيت. جامعة الجزائر 3: رسالة دكتوراه ل م د.

سامية مهدي. (2018). البناءات الاجتماعي للاستخدامات. أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في علوم الإعلام والاتصال: جامعة الجزائر 3 كلية الاعلام والاتصال.

سلطة الضبط للبريد والمواصلات. (2022). مرصد سوق الانترنت في الجزائر. تم الاسترداد من https://www.arpce.dz/ar/file/l8y1k2

صيام, ش .(2009) .النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة .القاهرة: مصر العربية للنشر والتوزيع.

عبدالرحمن عزي، و السعيد بومعيزة. (2010). الإعلام والمجتمع، رؤية سوسيولوجية مع تطبيقات على المنطقة العربية. الجزائر: دار الورسم.

عبدالعالي الديربي. (01 03, 2013). المجتمعات الافتراضية. تاريخ الاسترداد 27 05, 2018، من المركز العربي لأبحاث الفضاء الإلكتروني: http://accronline.com/article_detail.aspx?id=9683

علي غربي. (2009). أبجديات المنهجية في كتابة الرسائل الجامعية. جامعة منتوري قسنطبينة: منشورات مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع.

علي قسايسية، و إسماعيل بن دبيلي. (2015). التمثلات، الاستخدام والتملك: قراءة في المفاهيم والمقاربات. وسائط الاتصال بين الاستعمال والاستخدام.

فايز المجالي. (20 1, 2007). استخدام الإنترنت وتأثيره على العلاقات الاجتماعية لدى الشباب الجامعي. المنارة، لمجلد 13(العدد 7).

فرانسيس بال. (2008). الميديا. (فؤاد شاهين، المترجمون) بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

قسايسية, ع .(2007) .المنطلقات النظرية والمنهجية لدراسات التلقي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال .قسم علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر.

محمد شوقي الزين. (20 أكتوبر, 2013). المجتمع بوصفه حقلا للصراع عند ميشال دوسارتو. تاريخ الاسترداد 25 02, 2017، من anfasse.org

محمد بومخلوف، بوزيد صحراوي، مختار جعيجع، حورية سعدو، رقية عدمان، و عبد الكريم ياسف. (2015). التقرير النهائي لمشروع بحث: التأطير الاجتماعي للشباب ومسألة الثقة. الجزائر : جامعة الجزائر 2 .

محمد رحومة. (2008). علم الاجتماع الآلي: مقاربة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب. الكويت: سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب.

محمد عبدالحميد. (1987). دراسة الجمهور في بحوث الإعلام (الإصدار ط1). بيروت: دار الفكر.

موريس أنجرس. (2006). منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية (الإصدار 2). (بوزيد صحراوي، كمال بوشرف، و سعيد سبعون، المترجمون) الجزائر: دار القصبة للنشر.

مي العبدالله. (2010). نظريات الإتصال. بيروت: دار النهضة العربية.

ميجان الرويلي، و سعد البازعي. (2002). دليل الناقد الأدبي. الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي.

ميشال دو سارتو. (2011). ابتكار الحياة اليومية، فنون الأداء العملي (المجلد 1). (محمد شوقي الزين، المترجمون) بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

نديم منصوري. (2014). سوسيولوجيا الانترنت (الإصدار ط1). بيروت: منتدى المعارف.

نصرالدين لعياضي. (02 جويلية, 2011). أنفاس نت. تاريخ الاسترداد 13 جويلية, 2017، من /http://www.anfasse.org

نصرالدين لعياضي. (2016). علوم الاعلام والاتصال: من التفكير بالمنهج إلى التفكير بالمنهجيات. تأليف مخلوف بوكروح، سعيد لوصيف، عزيز لعبان، نصرالدين لعياضي، و رضوان بوجمعة، التفكير في منهجيات دراسة الإعلام والاتصال في المجتمع الجزائري. جامعة الجزائر 3: مخبر استخدامات وتلقي المنتجات الاعلامية والثقافية في الجزائر.

قانون رقم 03-2000 المؤرخ في 05 أوت 2000، يحدد القواعد العامة المتعلقة بالبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية .(n.d.) .الجريدة الرسمية العدد 48 ص 3- 26.

قنديلجي إبراهيم عامر، و فاضل السمرائي إيمان. (2009). سبكة المعلومات والاتصالات (الإصدار ط1). عمان: دار المسير للنشر والتوزيع والطباعة.

قنديلجي إبراهيم عامر. (2016). المعجم الموسوعي لتكنولوجيا المعلومات والاتصال والإنترنت (الإصدار ط2). عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

قنديلجي ابراهيم عامر. (2018). البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية. عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.

مجد, ا .(2009) .تكنولوجيا وسائل الاتصال الجماهيري .دار أسامة للنشر والتوزيع

ويكيبيديا الموسوعة الحرة .Retrieved from (11 10 ,2018) .
https://ar.wikipedia.org/wiki/فيوار-تيم

المراجع بالغة الأجنبية

Andonova, Y. (2004). Parcours réflexif de la problématique des usages : une tentative de synthèse. *Communication et organisation*. Récupéré sur http://communicationorganisation.revues.org/2960

Appel, V., Boulanger, H., & Massou, L. (2010). *Les dispositifs d'information et de communication. Concepts, usages et objets.* Bruxelles: De Boeck.

Béché, E. (2013). *Usages et représentations sociales de l'ordinateur chez les élèves dans deux lycées du Cameroun. Esquisse d'une approche de l'appropriation des technologies.* Yaoundé: Docteur (PhD) en Sociologie.

Bernier, C., & Laflamme, S. (2005). Usages d'internet selon le genre et l'âge : une double différenciation. *CRSA, 42*(3), 301 – 323.

Biochini, E., & Lohento, K. (2002). *De la recherche sur les usages des TIC à lq communauté virtualle: réflexions à partir d'un texte de Josaine JOUET.* Paris: Séminaire GPB.

Breton, P., & Proulx, S. (2002). *L'explosion de la communication à l'aube du xxie siècle.* Montréal: Les Éditions du Boréal.

Breton, P., Caune, J., & Wolton, D. (2010). *Médiations.* france: CNRS EDITIONS.

CHAMBAT, P. (1994). Usages des technologies de l'information et de la communication. *Technologies et Société, 6*(3), 249-270.

CHAMBAT, P. (1994). Usages des technologies de l'information et de la communication (TIC): évolution des problématiques. *TIS, 6*(3), 249-270.

Degand, A. (2012). *Le journalisme face au web:Reconfiguration des pratiques et des représentations professionnelles dans les rédactions begles francophones* (Vol. 680). de Louvain: Presses univ.

Deuze, M. (2006). Participation, Remediation, Bricolage: Considering Principal Components of a Digital Culture. *The Information Society, 22*(2), 63-75.

DROLET, M.-E. (2011). *USAGES ET APPROPRIATION DE L'INTERNET PAR LES JEUNES ADULTES QUI RECHERCHENT DES INFORMATIONS SUR LA SANTÉ.* UNNERSITÉ DU QUÉBEC À MONTRÉAL.

Garcia, A. C., Standlee, A. I., Bechkoff, J., & Cui, Y. (2009). Ethnographic approaches to the internet and computer-mediated communication. *Journal of contemporary ethnography, 38*(1), pp. 52-84.

Hair, N., & Clark, M. (s.d.). *An Enhanced Virtual Ethnography: The Role Of Critical Theory.* Consulté le 6 21, 2017, sur Cite SeerX: http://citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/download?doi=10.1.1.133.1904&rep=rep1&type=pdf

Jauréguiberry, F. (2008). De l'usage des technologies de l'information et de la communication comme apprentissage créatif. *Éducation et société*(22), pp. 29-42.

Jouet, J. (2000). Retour critique sur la sociologie des usages. *Réseaux*(18), pp. 487-521.

Jouët, J. (2000). retour critique sur la sociologie des usages. (Réseaux, Ed.) *communication à l'ère des réseaux, 18*(100), pp. 487-521.

Jouët, J. (2003). Technologies de la communication et genre. Des relations en construction. *Réseaux, 21*(120), 53 – 86.

Lacroix, J., Miège, B., Moeglin, P., Pajon, P., & Tremblay, G. (1992). La convergence des télécommunications et de l'audiovisuel : un renouvellement de perspective s'impose. *TIS, 5*(1), 81 – 105.

Lewkowicz, M. (n.d.). Retrieved from https://www.cairn.info/revue-realites-industrielles-2017-2-page-33.htm

Lievrouw, A., & Livingston, S. (2006). *Handbook fo new media: social shaping and social consequences of ICTs.* London: Sage.

Massard, N. (2009). *Revisiter la notion d'appropriation : Pour une application au cas des ERP.* Lyon: Université Claude Bernard.

Millerand, F. (1998). *Usages des NTIC :les approches de la diffusion, de l'innovation et de l'appropriation.* Retrieved 07 21, 2017, from commposite.org: http://www.commposite.org/index.php/revue/article/view/21/21

Millerand, F. (2003). *L'appropriation du courrier électronique en tant que technologie cognitive.* Montréal, Département de communication.

Millerand, F. (2008, 05 28). *Usages des NTIC :les approches de la diffusion, de l'innovation et de l'appropriation.* Consulté le 04 01, 2017, sur COMMposite: http://www.commposite.org/index.php/revue/article/view/21/21

Ndiaye, M. (2008). *Approche comparative de l'appropriation de la téléphonie mobile et de l'internet dans les lieux d'accès publics des villes de Rennes et de Thiès.* Rennes: Université Rennes 2.

Plantard, P. (2014). *Anthropologie des usages du numérique.* Université de Nantes.

Poulx, S. (2005). Retrieved mai 16, 2017, from www.sergeproulx.info

Proulx, s. (2001). Usages de l'Internet : la " pensée-réseaux " et l'appropriation d'une culture numérique, dans Guichard. *Comprendre les usages de l'Internet*, pp. 139 – 145.

Proulx, s. (2002). Trajectoires d'usages des technologies de communication : les formes d'appropriation d'une culture numérique comme enjeu d'une société du savoir. *Annales des télécommunications, 57*(3-4), pp. 180-189.

Proulx, S. (2004). *La révolution Internet en question.* Qc: Québec Amérique.

Proulx, s. (2008). *Communautés virtuelles : ce qui fait lien.* Consulté le 27 05, 2018, sur http://www.sergeproulx.info: https://sergeproulx.uqam.ca/wp-content/uploads/2010/12/2008-proulx-communautes-vi-11.pdf

Proulx, S. (2015). La sociologie des usages, et aprés ? *Revue française des sciences de l'information et de la communication*.

Proulx, S., & Saint-Charles, J. (2004). L'appropriation personnelle d'une innovation : le cas d'Internet. L'importance des réseaux d'appui. *Informations sociales*, 80-89.

Proulx, S., Rueff, J., & Lecomte, N. (2007). Une appropriation communautaire des technologies numériques de l'information. (CIRST, Ed.) *Notes de recherche*(3).

REYES GARCIA, P. (2010). *L'appropriation d'Internet chez les visiteurs des télécentres au Chili.* Montréal, Département de communication: Université de Montréal.

REYES GARCIA, P. (2010). *L'appropriation d'Internet chez les visiteurs des télécentres au Chili.* Montréal: Département de communication ,Faculté des arts et des sciences.

Rogers, E. (1983). *DIFFUSION OF INNOVATIONS.* New York: The Free Press.

Serge, P. (2005). Penser les usages des TIC aujourd'hui : enjeux, modèles, tendances. Bordeaux: Presses universitaires.

Serge, P., & Latzko-Toth, G. (2000). La virtualité comme catégorie pour penser le social: l'usage de la notion de communauté virtuelle. *Sociologie et sociétés, 32*(2), pp. 99-122.

Vayre,, É., Croity-Belz, S., & Dupuy, R. (2012, juin 15). Usages d'Internet chez les étudiants à l'université: effets des dispositifs de formation en ligne et rôle du soutien social. *L'orientation scolaire et professionnelle*. Retrieved août consulté le 31, 2021., from http://osp.revues.org/1918

Vedel, T. (1994). Introduction à une socio - politique des usages. Dans A. Vitalis, *Médias et Nouvelles Technologies. Pour une socio - politique des usages.* Rennes: Éditions Apogée.

simon, K. (2023). *Digital 2023: Algeria.* DATAREPORTAL. Retrieved from https://datareportal.com/reports/digital-2023-algeria

Youth. (n.d.). Retrieved 01 13, 2023, from unesco: https://www.unesco.org/en/youth

الملاحق

ملحق رقم (01): مراحل الولوج إلى جهاز الحاسوب الخاص بمفردة الدراسة

1- في البداية يجب تشغيل برنامج TeamViewer على جهاز كمبيوتر الملاحظ عن بعد، وعلى جهاز المفردة محل الدراسة، فيظهر مربع الحوار التالي:

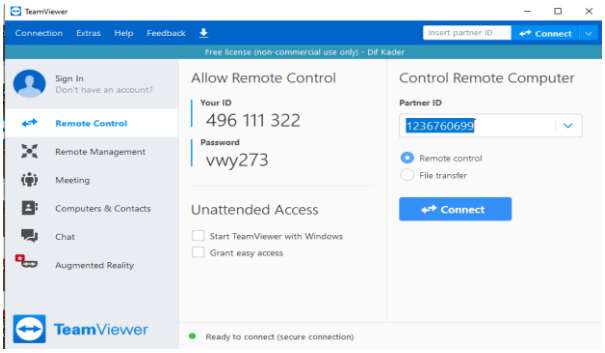

2- يجب إدخال رقم تعريف ID الخاص بجهاز الحاسوب الخاص بالمفردة محل الدراسة ثم إدخال الرقم السري والذي يكون بحوزة الملاحظ بعد موافقة المبحوث، والصورة أدناه توضح ذلك.

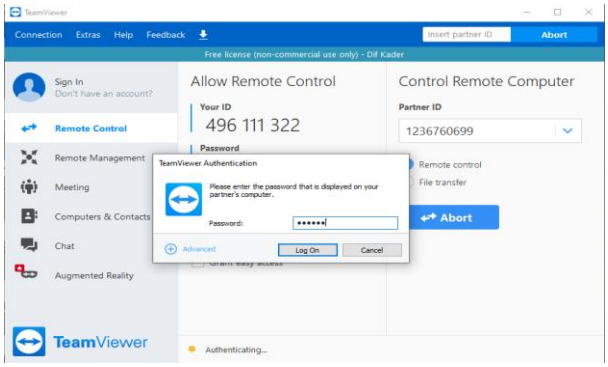

3- بهذه الطريقة يصبح سطح مكتب جهاز الحاسوب الخاص بالمبحوث مرئي للملاحظ، وله إمكانية تسجل مقاطع الفيديو وأخذ الصور captures d'écran أثناء عمل المبحوث على جهازه.

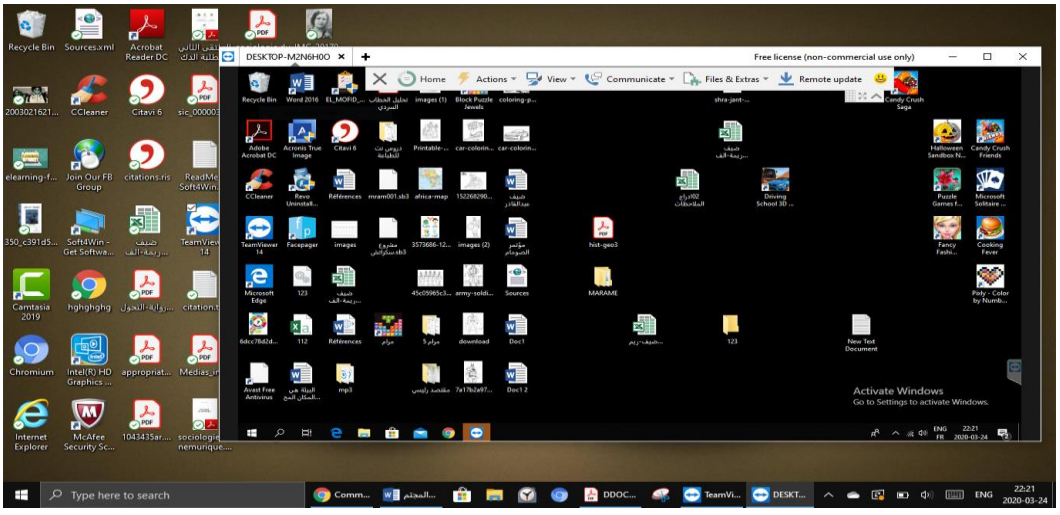

الملحق رقم (02): شبكة الملاحظة la grille d'observation

1- كيف يبني الطالب الجامعي علاقته بالإنترنت؟	نلاحظ من خلال: تصورات الطالب الجامعي عن الإنترنت؛ الولوج إلى الشبكة؛ مهارات مسبقة كاستخدام الحاسوب والهاتف النقال؛ التحكم المعرفي التقني لاستخدام الإنترنت.
2- في أي سياق وفضاء يستخدم الطالب الجامعي الإنترنت؟	نلاحظ من خلال: ملاحظة السياقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية؛ التنشئة الاجتماعي؛ الدعم العائلي؛ السياق المنزلي والجامعي.
3- ما هو أثر الإنترنت على عاداتهم الوظيفية وممارساتهم الإعلامية والثقافية والعلمية؟	نلاحظ من خلال: -طبيعة المعلومات المبحوث عنها وسياقها الأكاديمي العلمي، و اليومي ؛ استخدام المواد المكتبية وتصفح الإنترنت؛ استخدام الغنرنت للتواصل والدراسة والترفيه
4- كيف يتم إدماج الإنترنت فيما هو يومي للطالب الجامعي؟	نلاحظ من خلال: - تنزيل وتحميل الملفات متعددة الوسائط؛ ملاحظة بيئة العمل الرقمية والانتماء إليها؛
5- ماهي طرق تملك الطالب الجامعي للإنترنت؟	نلاحظ من خلال: مدى سهولة التعامل مع الإنترنت؛ إنجاز الأعمال والمشاريع الدراسية واليومية؛ تحقيق الأهداف الشخصية؛ امتلاك المعرفة التقنية المطلوبة؛ التواجد المستمر في البيئة المعلوماتية
6- فيما تتجلى طقوس الاستخدام ومظاهر الابتكار لهذه التقنية من قبل الطالب الجامعي؟	نلاحظ من خلال: استقلالية الطالب عند استخدام الإنترنت؛ إدارة أنواع مختلفة من التطبيقات؛ استخدام محركات ومنصات متعددة لجمع المعلومات والتكوين واكتشاف المعارف؛ استعمال أكثر من وسيط. ملاحظة الروتين اليومي لاستخدام الإنترنت.

الملحق رقم) 03 :(يمثل دليل المقابلة.

التاريخ: ..... الساعة: من ..... إلى ..... اليوم: .....

محور البيانات الشخصية:

-الجنس : ذكر ☐ أنثى ☐

-السن:.....

-المستوى التعليمي:.....

-كلية الانتماء: .....

محور استخدام الإنترنت:

- هل لديك اتصال بالإنترنت؟ إذا كان نعم ما نوعه؟؛
- كيف تتصل بالإنترنت؟ ما هو الجهاز المستخدم في ذلك؟؛
- كم مرة تلج إلى الإنترنت وكم ساعة تقضيها في استخدام الإنترنت على جهاز الكومبيوتر؟؛
- ما هي الأنشطة التي تقوم بها على الإنترنت؟؛
- هل لديك بريد إلكتروني؟ كيف تستخدمه ولأي غرض؟؛
- هل هناك فرق بين البحث عن المعلومات ذات السياق الأكاديمي والمعلومات ذات السياق اليومي؟
- ماهي الأماكن المفضلة لديك للاتصال بالإنترنت؟؛
- هل تشعر أنك تنتمي إلى مجتمع الإنترنت؟.

- هل تلقى دعما عائليا في استخدام الإنترنت؟ فيما يتمثل هذا الدعم؟

محور الشبكات الاجتماعية:

- هل لديك حسابات على مواقع التواصل الاجتماعي؟ ماهي؟؛
- هل تستخدم معلوماتك الشخصية الحقيقة أم أسماء مستعارة؟؛
- ماهي طبيعة الصفحات والمجموعات التي تتابعها على مواقع التواصل الاجتماعي؟
- هل تقوم بمشاركة الصور والفيديوهات والمعلومات والتعليقات؟ ومع من تشاركها: الاصدقاء، العائلة، الجميع.

محور تملك الإنترنت:

- هل تلقيت تدريب على استخدام الإنترنت؟ إذا كان موجود ما نوعه؟ أم اعتمدت على التجربة فقط؟؛
- ما هي مجالات استخدامك للإنترنت ؟؛
- هل انت ناشط وفاعل على شبكة الإنترنت؟ بمعنى هل تقدم شيء على شبكة الإنترنت؟ أي شيء أذكره اشرحه؛
- هل تعتقد أن الإنترنت أصبحت جزءا من حياتك اليومية؟ أم أنه يمكنك الاستغناء عنها؟؛
- هل أثرت الإنترنت على عاداتك المهنية والعلمية والثقافية؟ كيف ذلك؟
- ما هو روتينك اليومي في استخدام الإنترنت على جهاز الحاسوب؟

الملحق رقم 04: الاتصال بشبكة الإنترنت

a: طابعة. b: أسلاك توصيل. c: موزع شبكة Switch. d: جهاز كومبيوتر محمول وحاسوب مكتبي. e: مودم Modem.

f: شبكة الإنترنت.

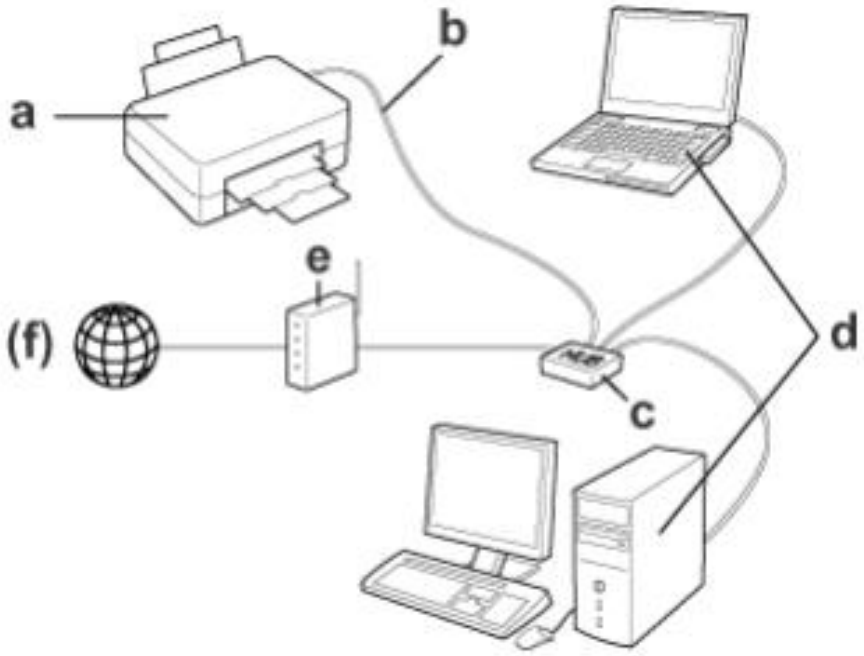

الملحق رقم (05) صفحات كليات جامعة الجزائر 3 على موقع فيسبوك

جامعة الجزائر 3

تسجيلات الإعجاب ٧٧ ألف • المتابعون ٩٨ ألف

المنشورات حول الصور مقاطع الفيديو

كلية علوم الإعلام و الاتصال - جامعة الجزائر 3

المتابعون ١٥ ألف • يتابع ٨٥

المنشورات حول الصور مقاطع الفيديو

كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير-جامعة الجزائر 3

تسجيلات الإعجاب ٣٤ ألف • المتابعون ٣٥ ألف

المنشورات حول الصور مقاطع الفيديو

كلية العلوم السياسية و العلاقات الدولية

تسجيلات الإعجاب ١١ ألف • المتابعون ١٤ ألف

المنشورات حول ريلز الصور مقاطع الفيديو

معهد التربية البدنية والرياضية، جامعة الجزائر 3

Private group · 13.7K members

Join group

About Discussion

الملحق رقم (06) استخدام برنامج Nvivo في تحليل بيانات الملاحظة عن بعد والمقابلة المعمقة